

هُوَيْهُ التَّشَبُّعُ

لِلْكَوْنِ الْمُنْتَهَى لِلْمُحْرَكِ الْأَيْمَنِ

الطبعة الجديدة منقحة و مزيدة

جُوكُسْتَهُ لِلْكَوْنِ الْمُسْلَمِيِّ

وائل، أحمد
هوية التشيع / أحمد الوائل.
دار الكتاب الإسلامي - ١٤٢٣ ق = م ٢٠٠٢ = م ١٣٨١.
ص. ٢٤٠.
نهرستویسی براساس اطلاعات فیبا.
عربی.
کتابخانه.
١. شیعه - عقاید. ٢. شیعه - دنیاعیه ها و ردیه ها.
الف. عنوان.
BP ٢٦٩ / ٥ و / BP ٢١١ / ٥
کتابخانه ملی ایران

جميع حقوق الطبع محفوظة و مسجلة للناشر

هوية التشيع	الكتاب
الدكتور احمد الوائل	المؤلف
دار الكتاب الإسلامي	الناشر
الثالثة : ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.	الطبعه
مطبعة ستاره	المطبعة
(٣٠٠٠) نسخه	عدد النسخ

الترقيم الدولي: ٦ - ٠٦٤ - ٤٦٥ - ٩٦٤

ISBN: 964 - 465 - 064 - 6



مقدمة الطبعة الثانية

والصلة والسلام على سيدنا محمد وآل الأطهار وصحبه الأبرار ومن
تبعهم بإحسان وبعد :

لقد كان لهذا الكتيب على وجازته صدى استحسان في نفوس القراء
وذلك للمنهج الذي اخترعه هذا الكتاب أكثر منه للكتاب نفسه لوضوح أن
مضمون الكتاب ليس من الصخامة بحيث يشكل رقمًا فريدياً بل هو بضعة
وريقات ربما أحسن فيها التعبير وحسن الإختيار والإلتفات لمواطن ذات وقع
خاص بالنفوس ذلك مضافاً للمنهج ، وكان من المؤشرات على إقبال القراء
عليه نفاذ نسخ الطبعه سريعاً مع أننا لم نتوه عنه في صحيفة أو دعاية بل طرح في
السوق بصورة عاديه . إن هذه الظاهرة تشجعنا على الكتابة في أمثال هذا
الموضوع مما هو محل أخذ ورد بين فرق المسلمين لا لزيادة الركام بل لصهره حتى
يذوب على أن يكون من وراء الكتابة في هذه المواضيع روح مؤمن ينشد وجه
الله تعالى ويتوخى إزالة الضباب عن طريق المعلم المشتركة بين المسلمين في
مختلف أبعاد الحضارة الإسلامية مما هو في حكم شرعي أو عقيدة إسلامية أو
تاريخ مسلم ، ولعل من نافلة القول أن نتوه بأن ثمرات الأقلام النظيفة من
الوسائل الناجعة لخدمة المسلمين ومن الطرق الصحيحة لتفاهم المسلمين .

هذا بالإضافة إلى أن ذلك يقطع الطريق على الأقلام المأجورة التي ترتكب

بأشعال النار وبث الألغام في المجتمع المسلم مما نراه عند كثير من المأجورين بين آونة وأخرى حيث يزيد ذلك من قناعتنا بأنَّ وراء ذلك أصوات تقليدية ما بربت
غافر لعيتها الخبيثة كلما سنت لها الفرصة .

وأكرر ما سبق أن أشرت إليه في الطبعة الأولى عن وجود شيء من التشنج في التعبير مما قد يعتبر كاشفاً عن ضفاعة أو حقد - معاذ الله - في حين لا يعدو أن يكون غضبة إيمانية من روح حساس إزاء كل ما يمس وحدة المسلمين وقد يبرره تصور بفاعلية هذا الأسلوب عن غيره .

ولما كان الكمال لله وحده والإنسان محل القفص كانت محاولة الإزدياد في التكامل من الأمور المحبوبة . ومن هذا المنطلق قمت بشيء من التهذيب والإضافات التي أراها متممة لمواضيع الكتاب . وأملي بالقارئ الكريم أن يرى في الكتاب صورة من صور النقد الموضوعي البناء . وصرخة في وجه بعض هواة الشتائم الذين ينجزون غيرهم بأمر هو عندهم قبل كونه عند خصومهم ولكن الهوى يعمي ويصم . وما أروع ما قيل من أنَّ شخصاً قيل له : لماذا تبدلون حرفة الذال بالزاء والقاف بالغين في نطقكم؟ فقال : كلا (نحن لا نغول ذلك) وفي نهاية هذه السطور أدعو القارئ الكريم أن يوجهني بالتنبيه على ما في الكتاب من عيب أو شطحات فالمؤمن من مرآة المؤمن . هدانا الله لما يحب ويرضى والحمد لله أولاً وأخراً .

المؤلف

مقدمة الطبعة الأولى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

والصلوة والسلام على محمد وآلـ الطاهرين وصحبه المتتجين وبعد :

هناك أمور لا غنى لقارئـ هذا الكتاب عن الإمام بها قبل الدخول في صلب الموضوع لأنـها تتضمن الإجابة لما قد يعنـ للقارئـ من سؤال خلال قراءته للكتاب كما أنها ستجعل القارئـ يفهم الكتاب في حدود عناوينه لثلا يكـبر العنوان على العنوان أو العكس . وتتلخص هذه الأمور في الآتي :

١ - قد يتـبادر إلى ذهن القارئـ من عنوان الكتاب - هوية التشـيـع - أنـ الكتاب سيـبحثـ كل ما للتشـيـعـ من سمات وخصوصـ سـواـهـ كانتـ من المقومـاتـ أوـ منـ السـماتـ التيـ أـصـيفـتـ إـلـيـهـ . ولـكـيـ أـبـعدـ القـارـيـءـ عـنـ هـذـاـ التـصـوـرـ : أـفـتـ نـظـرهـ إـلـىـ أـنـ لـمـ أـسـتـوـعـ كـلـ مـاـ لـلـتـشـيـعـ مـنـ نـوـعـ وـصـفـاتـ إـنـماـ تـعـرـضـ هـنـاـ لـأـمـورـ تـكـفـيـ لـإـيـضـاحـ هـوـيـةـ التـشـيـعـ وـفـيـ الـوقـتـ ذـاهـنـ يـدـورـ حـوـلـهـ نـزـاعـ بـيـنـ مـخـلـفـ الـفـرـقـ إـلـاسـلـامـيـةـ مـنـ جـانـبـ وـبـيـنـ إـلـإـمـامـيـةـ مـنـ فـرـقـ الـمـسـلـمـيـنـ وـمـاـ يـزـالـ جـدـلـ يـعـتـدـ حـوـلـهـ بـرـغـمـ مـاـ كـتـبـ حـوـلـهـ وـبـرـغـمـ إـشـبـاعـهـ بـالـبـحـثـ مـنـذـ أـزـمـنـةـ طـوـيـلـةـ وـهـيـ تـتـنـاؤـلـ مـنـ التـشـيـعـ جـوـانـبـ عـرـقـيـةـ وـجـوـانـبـ فـكـرـيـةـ .

٢ - وـعـلـ وـجـهـ القـطـعـ هـنـاكـ كـثـيرـونـ كـتـبـواـ فـيـ مـوـضـعـ الشـيـعـةـ وـالـتـشـيـعـ كـتـبـاـ أـكـثـرـ عـمـقاـ وـأـلـوـقـ استـيـعـابـاـ وـأـطـولـ نـفـسـاـ مـاـ كـتـبـ هـنـاـ وـلـكـيـ أـنـصـورـ أـنـيـ عـالـجـتـهـ هـاـ بـنـهـطـ وـأـسـلـوبـ يـخـتـلـفـ عـنـ الـأـغـاطـ الـأـخـرـيـ ، وـلـسـ أـرـيدـ أـنـ أـفـضـلـ هـذـاـ النـمـطـ

الذي اخترته على الأ Formats الأخرى ولكنني أعتقد أنه أوصل إلى نفس القارئ من غيره فإن كان ذلك هو الواقع فهو المطلوب وإلا فلست بأول من اجتهد وأخطأ وما أكثرهم على امتداد تاريخنا .

٣ - وسيجد القارئ في ثانياً هذا الكتاب بعض الإلتهابات التي سببها الجروح المزمنة في تاريخ المسلمين وسيجد ما يتبع الإلتهابات من ألم وتشنج مما هو ظاهرة طبيعية لا طبيعية يسببها إفلات الزمام أحياناً بالرغم من ترويض الأعصاب وقسرها على التحمل ، وكل من مارس الكتابة في أمثال هذه المواضيع يعلم مقدار المخرج والمشقة في ضبط الأعصاب هنا لما يرى - ومع الأسف الشديد - من مناولات بين فرق المسلمين فيها كثير من عدم الموضوعية وقد ان الشعور بمسؤولية الكلمة وأهميتها الأمر الذي تكون معه على مر الأيام خزین وركام من التركة الخطيرة والوباء الأسود الذي يعمد بين الآونة والأخرى جماعة من هم ليسوا ببعيدين عن الشبهات إلى إثارته والإصطياد خلال أجوانه المظلمة وسوف يبقى هذا الوضع خطراً ما دام هذا الركام موجوداً على متناول أيدينا دون أن نعمل على تصفيته وتسلیط الأضواء عليه وتعريفه تعرية كاملة لنصل إلى رأي في وجوده وآثاره . وأعود لأقول إن ضبط الأعصاب في مثل هذا الموقف أمر ليس بالهين بداعاه ان الإنسان مسير بأمره النفسي أكثر مما هو مسير بأمره العقلية إلا من عصمه الخلق وهذبه الدين والله المسؤول أن يجعلنا منهم .

٤ - وقد يقول قائل : إنه مع ما ذكرت آنفاً فما هي جدوى الكتابة في أمثال هذه المواضيع ؟ ونحن نجد إصراراً عجياً على طرحها كل مرة كما هي كأنها لم تعالج ولم يكثر حوالها الأخذ والرد ولم تحصل الإجابة على مضامينها في أكثر من مورد وورد . إن هذه الوضعية تكاد تجعل الإنسان يقنع بعدم جدوى علاج أمثال هذه الأمور والخريص على الوقت من أن يُهدر في أمثال هذه المليادين ، وللإجابة على ذلك أقول : إن افتراض أن الباب موصد في وجه

الإصلاح هو انهزامية أمام التحدي . وما كانت الفتوح في أي ميدان إلا مقابلة التحدي بمثله . إنَّ الباحثين عن الواقع لم يخل منهم عصر من العصور ، وإنَّ الذين غلبت عليهم شبهات تاهوا فيها ليسوا بالقليلين وترك أمثال هذين بدون التعاون معهما أمر ليس مما يستسيغه من يحمل رسالة في دفع الحياة إلى الأفضل كما أنه ليس من الدين في شيء . إنَّ تكين الأقلام المشبوهة من نفوس المسلمين وأفكارهم لتتخد منها فرائس هو إسهام بشكل وأخر مع تلك الأقلام فيها تجترحه من آثار . إنَّا مدعاون لكتنس هذا الركام عن طريق المسلمين حتى يكون الدرب سمحاً لا حباً أمام خطفهم . وكل نتائج تحرز في هذا الميدان هي فتح وانسجام مع دعوة الإسلام للجهاد بالقلم والفكر وليس من المنطق في شيء أن ترك المريض يصارع الداء بدون أن نعطيه جرعة دواء ونحن نملك القدرة فيها نظن على ذلك . وكم من إنسان عاش دهرًا طويلاً فريسة لعجز أو عصبية ثم رجع إلى الموضوعية نتيجة إلهاج الأقلام على تنقية الأجواء خصوصاً إذا استطاعت الأقلام أن تسافر بنا عبر دنيانا إلى فجرنا الأصيل الذي شع بالتسامح ورفت فيه نائم من نقاء الروح وطهر الضمير وطبعت الحياة فيه على مزاج الإسلام الظهور .

٥ - وما يهون الخطيب أن مواطن الخلاف بين فرق المسلمين منذ كانت لم يصل إلى الأصول وإنما هي في نطاق الفروع وإن حاول كثير منهم أن يصلها إلى الأصول عن طريق عناوين ثانوية ولو اتسع تحاول الدخول من أبواب خلفية . لكنها وبشيء من التأمل والتحليل ترتد عن الأصول إلى الفروع وما دام الإسلام في روحه الكريمة يفترض الصحة في فعل المسلم ابتداءً فعليها معالجة هذه الأمور بوحي من هذا الروح . وما دامت العقول متفاوتة والمدارك مختلفة فمن المنطق أن نقول إنَّ الاختلاف في مسائل الفكر ستة الكون وسجية النفوس وخاصة العقول وإنما يحمل على نسيان هذه الحقائق الأفق الضيق والعصبية الرعناء والتسرع في الإندفاع وما أجدنا بالإبعاد عنها .

٦ - ولما كانت مواضيع الكتاب ومسائله مختلفة فسوف لا يجد القارئ وحدة في الموضوع وتبعاً لذلك فسيختلف أسلوب المعالجة ونطاق التناول والمزاج الذي ي عليه الموقف . مع إدراكنا أنَّ هذه المسائل يجمعها عنوان العقائد ولكنَّ أجزاء هذا العنوان متنوعة . ونحن ندرك أنَّ تسمية كثير مما يحمله الإنسان المسلم ويتحله عقيدة فيه كثير من التجوز ، فقد لا يعتقد ولا يدين بما يحمله من أفكار أحياناً وإنما هو مجرد شعار عليه مصلحة أو تحتمه عصبية أو تفرضه تقاليد درج عليها الإنسان . وهذا هو سر تمسك بعض الناس بأفكار يعلم بطلانها سلفاً ولكنَّه التمذهب الإيديولوجي الناتج من مختلف الأسباب والذي هو من مصائبنا التي نرجو أن يعافينا الله منها .

٧ - وكل الذي أرجوه من القارئ أن لا يسمى بعض معالجات هذا الكتاب دعوة للطائفية عن طريق الدعوة إلى ترك الطائفية مما هو من قبيل المصادرة على المطلوب . ذلك لأنَّ منطق المقارعة أحياناً من طرق تصحيح المسار فإنَّ بعض الجراح لا يزيد الإنقاص وإن سبب المألا . وإنَّ وضع السيف أمام السيف قد لا يكون دعوة إلى القتال بل دعوة إلى تركه وإنَّ الحمل على شرب الدواء ليس عن بغض وإن كان الدواء مراً . وستبقى الأهداف دائمةً وراء الأعمال تحدد هوياتها وتشكل مبرراً لما قد يكون في وسائلها من قسوة شريطة أن لا تنزل الوسائل إلى المستويات الملوثة وما دام الهدف كبيراً فسوف تستساغ بعض الوسائل في حالات كثيرة كما ي عليه العقل ويرتها الواقع .

٨ - وبعد ذلك كله فإني ومن منطلق كوني إمامياً أدعو كل قارئ أن يتلبس الأدوار التي مرت بالشيعة والظروف والملابسات التي اكتفتهم وجوداً واستمراً ثم يتصور ما تفرزه تلك الحالات من مظاهر سلوكية حتى تكون معياراً بين يديه يفسر خلال أجوانها المعاشرة كثيراً من مظاهر السلوك الفكري والإجتماعي عند الشيعة وبذلك يتعد عن الشطط في الحكم عليهم . فإذا رأهم يشددون على فكرة التقية فليعلم أنهم لم يخرجوا بها عن نطاق واقع مر

تَكَيَّفُوا مَعَهُ صَمْنَ مِقَايِيسَ الشَّرْعِ ، وَإِذَا رَأَى أَنَّ رَدَوْدَ الْفَعْلِ عِنْدَ بَعْضِهِمْ فِي
بَعْضِ الْمَوَاقِفِ عَنِيفَةً فَلَا يَنْسَى عَنْهُ الْفَعْلُ ذَاهِنًا وَهَكُذا لِيَكُنَّ إِنْسَانٌ نَفْسُهُ
مِقَايِيسًا لِلآخَرِينَ وَمِيزَانًا يَزَنُ بِهِ سُلُوكَ غَيْرِهِ .

٩ - أَصْمَنَ هَذِهِ الْوَرِيقَاتِ دُعْوَةً إِلَى كُلِّ فَرْقِ الْمُسْلِمِينَ أَنْ يَدْرِسُوا
بَعْضَهُمُ الْبَعْضَ بِرُوحِ عَمَلِيَّةٍ وَأَنْ يَتَبَيَّنُوا هَذِهِ الْخَلْفَيَّاتِ الْمُشَبُّهَةِ الَّتِي لَعِبَتْ دُورًا
كَبِيرًا وَمَا زَالَتْ فِي تَمْزِيقِ الْمُسْلِمِينَ ثُمَّ لِيَقِيمُوا نَتْائِجَ هَذَا الْوَضْعِ لِيَرَوُا مِنْهُ
الَّذِي يَقْطُفُ الْثَّمَارُ مِنْ وَرَاءِ هَذَا الْوَضْعِ وَبَعْدَ ذَلِكَ كُلُّهُ نَحْنُ مَدْعُونُونَ إِلَى
وَضْعِ التَّارِيخِ فِي سَاحَةِ الإِتَّهَامِ وَبِالْحُرُوفِ الْكَبِيرَةِ لِنَحَاكِمَهُ وَنَنْتَهِيَ إِلَى التَّخلُّصِ
مِنْ كَثِيرٍ مِنْ مَآسِيهِ الَّتِي نَعِيشُهَا فَالْتَّارِيخُ فَاعِلٌ فِي دَاخْلِنَا وَإِنْ بَعْدِ الْعَهْدِ بِيَتَّا
وَبَيْنِ مَوَادِهِ وَمَكَوْنَاتِهِ نَسَأُ اللَّهَ تَعَالَى عَوْنَ عَلَى مَسِيرَتِنَا فِي درَبِ الْحَيَاةِ الْوَعْرِ
وَإِضَاءَةَ طَرِيقَنَا بِنُورِ مِنْهُ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ أَوَّلًا وَآخِرًا .

تمهيد

التشيع لغة :

هو المشيعة أي المتابعة والمناصرة والموالاة^(١) .

فالشيعة بالمعنى اللغوي هم الأتباع والأنصار وقد غالب هذا الإسم على أتباع علي عليه السلام حتى اختص بهم وأصبح إذا أطلق ينصرف إليهم . وبهذا المعنى اللغوي استعمل القرآن الكريم لفظة الشيعة كما في قوله تعالى : ﴿وَإِنَّ مِنْ شَيْعَتِهِ لِإِبْرَاهِيمَ﴾ ٨٣ الصافات وكقوله تعالى : ﴿هَذَا مِنْ شَيْعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ﴾ ١٥ القصص .

التشيع إصطلاحاً :

هو : الإعتقاد بآراء وأفكار معينة وقد اختلف الباحثون في هذه الأفكار والأراء كثرة وقلة وسيمر علينا ذلك مفصلاً فالتشيع بالمعنى الثاني أعم منه بالمعنى الأول . وبينها من النسب عموم وخصوص مطلقاً والعموم في جانب التشيع بالمعنى الثاني لشموله لكل منها .

وانطلاقاً من كون التشيع اعتقاداً بآراء معينة ذهب العلماء والباحثون تبعاً لذلك إلى تعريفه على اختلاف بينهم في سعة مدى هذه التعاريف وضيقه وإليك نماذج من تعريفاتهم :

(١) صالح الجوهري ج ٣ ص ١٥٦ ، وتابع المروي وبيان العرب مادة شيع .

١ - الشهيد الثاني في كتابه شرح اللمعة قال :

« والشيعة من شايع علياً - أي اتبعه وقدمه على غيره في الإمامة وإن يواافق على إمامية باقي الأئمة ، فيدخل فيهم الإمامية والجاردودية من الزيدية والإسماعيلية غير الملاحدة منهم والبراقية والفتحية »^(١) .

٢ - الشيخ المفيد في كتاب الموسوعة كما نقله عنه المؤلف قال :

« الشيعة هم من شايع علياً وقدمه على أصحاب رسول الله صلوات الله عليه وآله واعتقد أنه الإمام بوصية من رسول الله أو بإرادة من الله تعالى نصاً كبرى الإمامية أو وصفاً كما يرى الجارودية » .

وقد نقل هذا المضمون نفسه كامل مصطفى الشبيبي في كتابه الصلة^(٢)

٣ - الشهريستاني في الملل والنحل قال :

« الشيعة هم الذين شايعوا علياً وقالوا بإمامته وخلافته نصاً ووصاية أصلحياً وأما خفياً واعتقدوا أن الإمام لا تخرج من أولاده وإن خرجت فبظلي يكون من غيره أو تنتهي من عنده »^(٣) .

٤ - النوبختي في كتابه الفرق قال :

« الشيعة هم فرقة علي بن أبي طالب المسماون بشيعة علي في زمن النبي ومن وافق مودته موذة علي »^(٤) .

٥ - محمد فريد وجدي في كتابه دائرة معارف القرن العشرين قال :

« والشيعة هم الذين شايعوا علياً في إمامته واعتقدوا أن الإمام لا تخرج عن أولاده ويقولون بعصمة الأئمة من الكبائر والصغرائر والقول بالتولى والتبرء »

(١) شرح اللمعة ج ٢ ص ٢٢٨ .

(٢) موسوعة العتبات المقدسة المدخل ص ٩١ .

(٣) الملل والنحل ص ١٠٧ .

(٤) فرق الشيعة .

قولاً وفعلاً إلا في حال التقية إذا خافوا بطش ظالم^(١).

هذه النماذج من التعريفات إنما قدمتها لتعريف ما هي مقومات التشيع في نظر الباحثين . وقد تبين من بعضها :

الإقصار على وصف الشيعة بأنهم يقدمون علياً على غيره لوجود نصوص في ذلك أو وجود صفات اختص بها ولم تتوفر لغيره الواضح من ذلك أن جوهر التشيع هو الالتزام بإمامية عليٍّ وولده وتقديمه على غيره لوجود نصوص عندهم في ذلك ويترجع من ذلك الالتزام بأمررين :

الأول : بما أن الإمامة وليدة النصوص فهي امتداد للنبوة يترتب عليها ما يترتب على النبوة من لوازم عدى الوحي فإن نزولهختص بالأنبياء .

والثاني : أن الإمامة لا تتم بالإنتخاب والإختيار وإنما بالتعيين من الله تعالى فهو الذي ينص على الإمام عن طريق النبي ، وإنما يختاره لتتوفر مؤهلات عنده لا توجد عند غيره .

أما الزيادة على ما ذكرناه والتي وردت في التعريفات التي نقلناها والتي قد توجد في كتب الشيعة الأخرى فهي مستفادة من أخبار وهي أعم من كونها من أصول المذهب أو من أصول الإسلام كما سترى ذلك فيما يأتي أن الغرض من هذه الإشارة هو إلقاء الضوء على نقطة يؤكّد عليها الباحثون عند استعراضهم لذكر الشيعة وعقائدهم : ألا وهي التأكيد على إدخال آراء أريد لها أن تكون خيوطاً تصل بين التشيع واليهودية ، أو النصرانية ، أو الزندقة . ومحاولة إيصال التشيع لعرقيات معينة . وهي محاولة لا تخفي على أعين النقاد بأنها غير موضوعية . إن هذه المحاولة تريد تصوير التشيع بأنه نتطور لا كما تتطور العقائد والمذاهب الأخرى . وفي التوسيع وقبول الإضافات السليمة نتيجة تبرعم بعض الآراء وإنما هو تطور غير سليم وغير نظيف أفسد مضمون التشيع .

(١) دائرة المعارف جهـ ٤٢٤ ص ٤٢٤ .

وسأاستعراض بعض هذه الأقوال لتكون مجرد مؤشر على هذا الإتجاه وسأعقب
عليها بما أراه :

تطور التشيع

١ - رسم الدكتور عبد العزيز الدوري هذا التطور عن طريق تقسيمه
للتتشيع إلى روحي بدأ أيام النبي عليه الصلاة والسلام وسياسي حدث بعد
مقتل الإمام علي ، وقد استدل لذلك بأن التشيع بمعناه البسيط دون باقي
خواصه الإصطلاحية قد استعمل في صحيفة التحكيم التي نصت على شيعة
لعلي وشيعة لعاوية مما يعطي معنى الماشية والمناصرة فقط دون باقي الصفات
والأبعاد السياسية التي حدثت بعد ذلك^(١) .

٢ - محمد فريد وجدي في دائرة المعارف قال :

« الشيعة هم الذين شايعوا علياً في إمامته واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج
عن أولاده ويقولون بعصمة الأئمة من الصغائر والكبير والقول بالتولى والتبرى
قولاً وفعلاً إلا في حال التقى إذا خافوا بطنش ظالم وهم خمس فرق: « كيسانية
وزيدية وإمامية وغلاة وإسماعيلية » وبعضهم يميل في الأصول إلى الإعتزال
وبعضهم إلى السنة وبعضهم إلى التشبيه »^(٢) .

إن هذه المقتطفة من فريد وجدي سبق أن ذكرت قسماً منها في التعريف
بالتتشيع ، وذكرت هنا المقتطفة بكمالها ليتبين منها أن مضمونها يعطى التشيع
منذ أيام الأولى حتى الآن لأن من الواقع أن هذه المضامين لم تولد دفعة واحدة
 وإنما دخلت لمضمون التشيع تدريجياً . وقد خلط فريد وجدي فيها بين السمات
والملائكة وجعل من ليس من الشيعة منهم ونسب لهم ما هم منه براء ولا أريد
أن أتعجل الرد عليه فستمر علينا أمثال هذه النسب والرد عليها في مكانها من
الكتاب .

(١) مقدمة في تاريخ صدر الإسلام ص ٧٢ .

(٢) دائرة معارف فريد وجدي ج ٤ ص ٤٢٤ .

٣ - الدكتور كامل مصطفى في كتابه الصلة قال :

«ويتضح بعد ذلك أن التشيع قد عاصر بدء الإسلام باعتباره جوهراً له ، وأنه ظهر كحركة سياسية بعد أن نازع معاوية علياً على الإمارة وتدبر شؤون المسلمين وتبين بعد ذلك أن تبلور الحركة السياسية تحت إسم الشيعة كان بعد قتل الحسين عليه السلام مباشرة وإن كانت الحركة سبقت الإصطلاح وبذلك يمكننا أن نلخص هذا الفصل في كلمة بيانها أن التشيع كان تكتلاً إسلامياً ظهرت نزعته أيام النبي وتبلور اتجاهه السياسي بعد قتل عثمان واستقلال الإصطلاح الدال عليه بعد قتل الحسين^(١) . واضح من هذا النص أنَّ التشيع مرَّ بأدوار تطور فيها كما يقول كامل .

٤ - الدكتور أحمد أمين قال :

«إنَّ التشيع بدأ بمعنى ساذج وهو أنَّ علياً أولى من غيره من وجهتين : كفايته الشخصية وقرباته للنبي . ولكنَّ هذا التشيع أخذ صيغة جديدة بدخول العناصر الأخرى في الإسلام من يهودية ونصرانية ومحوسية . وحيث أنَّ أكبر عنصر دخل في الإسلام الفرس فلهم أكبر الأثر بالتشيع»^(٢) .

واوضح هنا ما ذكره أحمد أمين أنَّ التشيع تطور لا بشيء من داخله وإنما بإضافات واسباغ من عناصر أخرى دخلت الإسلام واحتارت التشيع فنقلت ما عندها من أفكار وعقائد إليه حتى أصبحت جزءاً منه وإنَّ الفرس بالذات تركوا بصماتهم على المذهب أكثر من غيرهم كما يريد أحمد أمين أن يصوره . وهو زعم أخذه أحمد أمين من غيره وغيره أخذه من غيره وهكذا حتى أوشك أنَّ يصبح من الأمور المتسالم عليها عند الباحثين وقريباً ساُوقف على زيف هذه الدعوى والمهدى من الإصرار على ربط التشيع بالفارسية شكلاً ومضموناً .

٥ - الدكتور أحمد محمود صبحي قال :

(١) الصلة بين الصوف والتشيع ص ٢٣ .

(٢) فجر الإسلام ص ٢٧٦ .

«-بعد ذكر الرواد من الشيعة - والتشيع بالنسبة للشيعة المتأخرین مثل الزهد في عصر الرسول والخلفاء الراشدين والفرق بينه وبين التصوف الذي شابته عناصر غزویة وتأثير بنيارات فکریة متباینة كما عرف لدى محیی الدین ابن عربی والسهوردي مثلاً»^(۱).

وبعد أن سترعضا هذه الأمثلة من أقوال الكتاب التي فرقوا بها بين التشيع في الصدر الأول وما تلا ذلك من عصور أودأن أعقب على ذلك بما يلي :

١ - أن كمية الأفكار والمعتقدات في المضمون الشيعي تتسع في الأزمنة المتأخرة عما كانت عليه في الصدر الأول دون شك في ذلك ولكن هذه الزيادة ليست أكثر من المضمون الأصلي للتشيع وإنما هي تفصيل وبيان لمجمله ، إنما ليست بإضافة أجزاء وإنما هي ظهور جزئيات انطبق عليها المفهوم الكلي للتشيع وقد ظهرت هذه الجزئيات بفعل تطور الزمن . وكمثال لذلك : موضوع النصوص التي وردت على لسان النبي عليه الصلاة والسلام هل هي مجرد إشارة لفضل الإمام علي أم أنها على شكل يلزم المسلمين بالقول بإمامته وعلى نحو الوصية له بالخلافة وتبعاً لذلك هل أن هذه الإمامة تقف عند حد المؤهلات أم أن الإمام يجب أن يكون النموذج المثالي فيكون أشجع الناس وأعلم الناس وأعدل الناس وهكذا تبرعم موضوع العصمة وغيره . وكل هذه الأمور داخلة في صلب موضوع الإمامة وليس هي بأمور زائدة على الموضوع بل اشتقات أولدها التطور الفكري وزيادة أعداد وأنواع معنتقي المذهب .

٢ - إن مثل هذا التطور كمثل كل تطور حدث ، ومن ذلك تطور الإسلام بصفته مقدماً للمذاهب . فالمسلمون منذ وجدوا كان من عقידتهم الإعتراف بالله عز وجل وجوده ووحدانيته واتصافه بصفات الكمال وتنتزه عن صفات النقص وكل ذلك على نحو الإجمال . وعندما اتسعت مجالات التفكير وانفتح العالم الإسلامي على أمم وثقافات متعددة . تبرعمت أسئلة وجدت أفكار فرجع

(۱) نظرية الإمامة ص ۳۵ .

ال المسلمين إلى ما آمنوا به إجمالاً يبيرون مجمله ويفصلون مختصره ، فتشأ من إيمانهم بأنَّ الله خالق كل شيء : النزاع بإعطاء السبب الطبيعي صفة الخلق وذلك يؤدي إلى تعدد الخالق كما تصوروا ، أمَّا ذلك لا يقدح بانفراد الله تعالى بصفة الخالق : إذ أنَّ الله تعالى جهة تأثير ليست من مقدورات المخلوقين وكل ما للمخلوقين إنما هو من جهة أخرى ولا يقدح ذلك في كون الله تعالى أحسن الخالقين . وتبرعمنت عن هذه المسألة مسألة خلق أفعال العباد وربط ذلك كله بالجبر والإختيار وهكذا .

ومثل آخر هو إيمان المسلمين منذ وجدوا بحجية ظواهر القرآن الكريم فتشأ من ذلك النزاع حول حجية ظواهر بعض الآيات لأنَّ لازم ذلك نسبة ما لا يصح إلى الله تعالى وذلك مثل قوله تعالى : «وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة» ٢٢ / سورة القيامة . حيث ذهب أهل السنة إلى جواز رؤية الله تعالى يوم القيمة استناداً إلى ظاهر الآية ، بينما ذهب الإمامية إلى استحالة رؤيته تعالى لاستلزم الرؤية الجسمية وبالتالي التركيب فال الحاجة فالحدود وانتهاء كل ذلك إلى نفي الألوهية وقد أولوا النظر هنا بأنه انتظار الرحمة كما يقول شخص آخر ينتظر منه الرحمة أنا أنظر إليك وإلى عطفك وذلك شائع في لغة العرب وحضارتهم والقرآن نزل بلغة العرب وسلك منهجهم في المحاورات .

هذا بالإضافة إلى أنَّ الله تعالى نسب هنا النظر إلى الوجه وهي ليست من أعضاء النظر من قبيل قوله تعالى : «ما ينظرون إلا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخسرون» ٤٩ / يس . ومثال آخر أذكره للتدليل على اتساع المضمون الإسلامي عما كان عليه في الصدر الأول فقد آمن المسلمين منذ وجدوا بأنَّ الله تعالى لا يفعل العبث وجاءت ظواهر الآيات تؤيد ذلك فقد جاء في قوله تعالى : «الذي خلق الموت والحياة لي Gloverكم» ٢ / سورة الملك . وجاء بقوله : «وما خلقنا السموات والأرض وما بينها لاعبين» ٣٨ / الدخان . فتنازع المسلمين بعد ذلك في أنَّ أفعال الله تعالى هل هي معللة ولازم ذلك نسبة النقص إلى الله لأنَّ كل فاعل للعلة إنما يحتاج لتلك العلة ، أمَّا أفعاله تعالى غير معللة ولازم ذلك أنَّ فعله

عَبْثٌ تَعْالَى اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ ، فَذَهَبَ أَهْلُ السَّنَةِ إِلَى أَنَّ أَفْعَالَهُ غَيْرَ مَعْلَلَةٍ ، وَذَهَبَ الْإِمَامِيَّةُ إِلَى أَنَّهَا مَعْلَلَةٌ بَدْوَنَ حَاجَةٍ مِنْهُ تَعْالَى لِلْعَلَةِ وَإِنَّمَا يَعُودُ نَفْعُ الْعَلَةِ لِلْعَبَادِ أَنْفُسَهُمْ وَبِذَلِكَ يَجْمِعُ بَيْنَ الْأَمْرَيْنِ مِنْ كُونِهِ تَعْالَى لَا يَفْعُلُ الْعَبْثَ وَمِنْ كُونِهِ غَنِيًّا عَنِ الْحَاجَةِ . وَمَعَ جَمِيعِ مَا ذَكَرْنَاهُ لَا يَقُولُ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ تَطَوَّرُ عَقَائِدُهُمْ وَزَادَ مَضْمُونُ الْإِسْلَامِ عَمَّا كَانَ عَلَيْهِ فِي الصُّدُرِ الْأُولَى وَإِنَّمَا الَّذِي حَدَثَ أَنَّ الْمُسْلِمِينَ تَوَسَّعُوا فِي شَرْحِ الْأُمُورِ الْمُجَمَّلَةِ عَنْدَمَا اضْطَرَرُوا لِذَلِكَ نَتْيَاجَةً تَفَاعِلَهُمْ مَعَ ثَقَافَاتٍ مُخْتَلِفَةٍ وَأَفْكَارٍ مُتَنَوِّعةٍ فَالْمُسْلِمُ فِي صُدُرِ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمُ فِي أَيَّامِنَا مَصْدِرٌ شَرِيعَةِ الْكِتَابِ وَالسَّنَةِ وَلَكِنَّهُ فِيهَا مَضَى أَخْذَهُمَا جَمِيلُهُمْ وَالآنَ احْتَاجَ إِلَى التَّفَصِيلِ لِوُجُودِ دَوَاعِيِّ وَجَدَتْ وَلَمْ تَكُنْ مَوْجُودَةٍ فِي الصُّدُرِ الْأُولَى فَإِذَا كَانَ التَّطَوُّرُ الْمُنْسُوبُ إِلَى التَّشِيعِ عَلَى هَذَا النُّحْوِ الَّذِي حَدَثَ فِي الْإِسْلَامِ نَفْسَهُ فَهُوَ وَاقِعٌ بِهَذَا الْمَعْنَى لَا نَزَاعٌ فِي ذَلِكَ ، أَمَّا إِذَا كَانَ اسْتِحْدَادُ آرَاءٍ جَدِيدَةٍ وَبَعِيْدَةٍ عَنْ رُوحِ الْإِسْلَامِ فَلَا لَأَنَّ كُلَّ مَا يَأْبَاهُ الْإِسْلَامُ يَأْبَاهُ التَّشِيعُ بِالْحَسْرَةِ إِنَّ التَّطَوُّرَ الَّذِي حَدَثَ فِي الْإِسْلَامِ عَلَى الشَّكْلِ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ لَمْ يَشَكِّلْ قَدْحًا فِي عَقَائِدِ فَرَقِ الْمُسْلِمِينَ ، وَإِذَا كَانَ مَا حَدَثَ فِي التَّشِيعِ مِنْ تَطَوُّرٍ مُمْلِكٍ مِثْلَ مَا حَدَثَ فِي الْإِسْلَامِ كُلُّ فَمَا لَهُ هُنَّا يَشَكِّلْ قَدْحًا فِي الْعِقِيدَةِ وَيُشَيرُ شَكُوكًا لَا مَبْرُرَ لَهَا؟ .

٣ - وَمَعَ التَّنْزِلِ وَافتِرَاضِ دُخُولِ عَضُوٍّ إِصَافِيٍّ عَلَى جَسْمِ التَّشِيعِ كَمَا يَرِيدُ أَنْ يَشْبِهَ الْبَعْضُ اعْتِباَطًا وَهُوَ مَنْفَيٌ فَإِنَّ مِثْلَ هَذَا الْفَرْضِ يَأْبَاهُ الْفَكَرُ الشَّيْعِيُّ إِذَا كَانَ مَا لَا يَلْتَقِيُ مَعَ كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى وَسَنَةِ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَالْخُطُوطِ الْإِسْلَامِيَّةِ الْعَامَّةِ ، إِنَّ مِثْلَ هَذَا الْفَرْضِ هُوَ رَأْيٌ يَرُدُّ إِلَى نَحْرِ قَاتِلِهِ فَكُلُّ مَا هُوَ لَيْسُ مِنْ الْإِسْلَامِ فَهُوَ لَيْسُ مِنْ التَّشِيعِ فِي شَيْءٍ بَدَاهَةً أَنَّ التَّشِيعَ مِنْ عَطَاءِ فَكِرِّ أَهْلِ الْبَيْتِ وَهُمْ عَدْلُ الْكِتَابِ وَهُمْ مُمْلِكُو سَفِينَةِ نُوحٍ فَعَلَى هَذَا يَكُونُ مَا يَنْسِبُ إِلَى التَّشِيعِ مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ إِنَّمَا هُوَ خُلُطٌ بَيْنَ التَّشِيعِ وَالشِّيَعَةِ وَكَثِيرٌ مِنْ يُنْعَتُ بِأَنَّهُ مِنَ الشِّيَعَةِ يَرْفَضُهُ الْمَيْكَلُ الشَّيْعِيُّ فِيهَا لَهُ مَحْدُودٌ وَهُوَ مَا سَنَمَ عَلَيْهِ وَنَذَرَ أَدْلَتَهُ ، وَالشَّأْنُ فِي ذَلِكَ شَأْنُ التَّفْكِيرِ السَّنِيِّ الَّذِي يَنْفِي عَنْهُ بَعْضُ الْمُتَسَبِّينَ إِلَيْهِ مِنْ ثَبَّتَ انْحِرافَهُمْ عَنِ الْخُطُوطِ الْإِسْلَامِ وَلَا يَقْدِحُ وَجْدَ أَمْثَالِهِمْ عِنْدَ أَهْلِ السَّنَةِ ، وَلَا يُنْتَزِعُ مِنْ وَجْدِهِمْ

أمثال هؤلاء حكم عام يعمم على أهل السنة .

وعلىأسوء الفروض لو وجدت أفكار إضافية طارئة على جسم أي مذهب من المذاهب وزائدة على محتواه الأصلي كما هو الفرض ولكنها لا تشكل إنكارا ضرورية من ضروريات الدين ولا ردة ولا انحرافاً فإن أمثالها لا يبرر رمي من وجدت عنده بالمرور عن الدين والخروج عن الإسلام وربطهم باليهودية والنصرانية وأمثال ذلك من النسب التي لا يتغوف بها مسلم على أخيه وله ضمير وخلق مسلم يصدر في سلوكه عن تعاليم الإسلام .

فمتي كان القول بالوصایة مثلاً وأنَّ لکل نبی وصیاً وأنَّ الأووصیاء يجب کونهم معصومین حتى يتحقق الغرض من نصبهم قادة للامة والإعتقاد بأنَّ المهدی حیٰ وأمثال ذلك من العقائد موجباً للخروج من الدين ومداعاة لشن حلات شعواء كانت وما تزال يجترها الخلف عن السلف دون أن يتبيّن ما هي مصادرها ودون أن يحملوها ويناقشها .

إنَّ صرف هذه الطاقات في ميادين التهريج أقل ما يوصف به أنه عمل غير مسؤول بالإضافة إلى إمكان توجيه هذه الطاقات إلى ميادين إيجابية في الخلق والإبداع وفي جمع الشمل ولم الشعث وتنظيف الأجواء الإسلامية من الحقد والكراهة التي لا يفيد منها إلا أعداء الإسلام . إنَّ الذين يقفون وراء نعرات التشوش والفرقة قوم بعيدون عن روح الإسلام وجوهره وليسوا ببعيدين عن الشبهات خصوصاً وأنَّ أمثال هذه المواضيع يجب أن تبقى محصورة في نطاق العلماء فقط وأن لا تنزل إلى مستوى الأوساط من الناس فضلاً عن العامة وذلك لأنَّ للعلماء مناعة تبعدهم عن النزرة المرتجلة والنعرة الجاهلية كما هو المفروض إنَّ المفاعلات الطائفية في تصوري أخطر على الإنسانية من المفاعلات النوروية ، وحسب تاريخ المسلمين خلافات كانت وما تزال غصة في فم كل مؤمن بالله تعالى وبدينه وكل داع لرسالات السماء التي من أول أهدافها تأصيل الروح الإنسانية في كل أنماط السلوك عند البشر .

الباب الأول

وفيء فصول

الفصل الأول

متى بدأ التشيع

فيما مضى في فصل التمهيد انتهينا إلى أنَّ التشيع في بداياته ونهاياته واحد وأنَّ النطرو المفترض فيه ما هو إلا تبرعُم أفكار مستنبطة من الأصول حدثت عند الممارسة . وعناوين هي ثمرة لتفاعل بين أفكار ولمقارعة حجج بعضها ببعض مما يوجد عادة في التاريخ الثقافي لكل نحلة من النحل .

والآن لا بد من الرجوع إلى بداية التشيع وبذرته التاريخية واستظهار ما إذا كانت ساختتها تتحد مع الفكر الإسلامي أم لا . ثم ما هو حجمها أي البنية الشيعية يوم ولادتها . وما هي أرضية تكوينها . وهل هي عملية عاطفية أم عملية عقلانية إنتهي إليها معتقدوها بمعاناة وتقسيم واعيين .

ولما كانت هذه الأمور مما اختلف فيه تبعاً لاستنتاج الباحثين ومزاجهم ومسبقاتهم وما ترجم لهم برجح من المرجحات فلا بد من تقديم خلاص من آراء الباحثين في هذه الموضعية تكون المادة الخام ثم يبقى على القارئ أن يستشف الحقيقة من وراء ذلك ويكون له رأياً يجتهد في أن يكون موضوعياً . إنَّ المؤرخين والباحثين عندما يحددون فترة نشوء التشيع يتوزعون على مدى يبتدئ من أيام النبي ونهاياته بعد مقتل الحسين عليه السلام . وسأاستعراض لك خلاص من آرائهم في ذلك وأترك ما أذهب إليه إلى آخر الفصل .

أ - رأي يرى أنهم تكونوا بعد وفاة النبي عليه الصلاة والسلام . ومن

يذهب لهذا :

أولاً : ابن خلدون : فقد قال : إن الشيعة ظهرت لما توفي الرسول وكان أهل البيت يرون أنفسهم أحق بالأمر وأن الخلافة لرجالهم دون سواهم من قريش وما كان جماعة من الصحابة يتبعون عليٍّ ويرون استحقاقه على غيره ولما عدل به إلى سواه تأففوا من ذلك^(١) الخ .

ثانياً : الدكتور أحمد أمين فقد قال : وكانت البذرة الأولى للشيعة الجماعة الذين رأوا بعد وفاة النبي أن أهل بيته أولى الناس أن يخلفوه^(٢) .

ثالثاً : الدكتور حسن ابراهيم فقد قال : ولا غرو فقد اختلف المسلمون أثر وفاة النبي (ص) فيمن يولونه الخلافة وانتهى الأمر بتولية أبي بكر وأدى ذلك إلى انقسام الأمة العربية إلى فريقين جماعية وشيعية^(٣) .

رابعاً : اليعقوبي قال : ويدع جماعة من المتخلفين عن بيعة أبي بكر هم النواة الأولى للتشيع ومن أشهرهم سلمان الفارسي وأبوذر الغفاري والمقداد بن الأسود والعباس بن عبد المطلب^(٤) .

وتعقيباً على ذكر المخالفين عن بيعة الخليفة أبي بكر قال الدكتور أحمد محمود صبحي : إن بواعث هؤلاء مختلفة في التخلف فلا يستدل منها على أنهم كلهم من الشيعة . وقد يكون ما قاله صحيحاً غير أن المخالفين الذين ذكرهم المؤرخون أكدت كتب التراجم على أنهم شيعة وستأي الإشارة لذلك في عملها من الكتاب^(٥) .

خامساً : المستشرق جولد تسيهير قال : إن التشيع نشأ بعد وفاة النبي (ص) وبالضبط بعد حادثة السقيفة^(٦) .

(١) تاريخ ابن خلدون ج ٣٦٤ ص ٣٦٤ .

(٢) فهر الإسلام ص ٢٦٦ .

(٣) تاريخ الإسلام ج ١ ص ٣٧١ .

(٤) تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ١٠٤ ..

(٥) نظرية الإمامة ص ٣٣ .

(٦) المقيدة والشريعة ص ١٧٤ .

ب - : الرأي الذي يذهب إلى أن التشيع نشأ أيام عثمان ومن الذاهين لذلك : جماعة من المؤرخين والباحثين منهم : ابن حزم وجاء آخرون ذكرهم بالتفصيل يحيى هاشم فرغل في كتابه^(١) وقد استند إلى مبررات شرحها .

ج - : الرأي الذي يذهب إلى تكون الشيعة أيام خلافة الإمام علي^(٢) ، ومن الذاهين إلى هذا الرأي النويختي في كتابه فرق الشيعة^(٣) . وابن النديم في الفهرست حيث حده بفترة واقعة البصرة وما سبقها من مقدمات كان لها الأثر المباشر في تبلور فرقة الشيعة وتكوينها^(٤) .

د - : الرأي الذي يذهب إلى أن ظهور التشيع كان بعد واقعة الطف على اختلاف في الكيفية بين الذاهين لهذا الرأي حيث يرى بعضهم أن بوادر التشيع التي سبقت واقعة الطف لم تصل إلى حد تكوين مذهب متميز له طابعه وخصائصه وإنما حدث ذلك بعد واقعة الطف بينما يذهب^(٥) آخرون إلى أن وجود المذهب قبل واقعة الطف كان لا يعدو التزعة الروحية ولكن بعد واقعة الطف أخذ طابعاً سياسياً وعمق جذوره في النفوس وتحددت أبعاده إلى كثير من المضامين ، وكثير من المستشرقين يذهبون لهذا الرأي وأغلب المحدثين من الكتاب . يقول الدكتور كامل مصطفى إن استقلال الإصطلاح الدال على التشيع إنما كان بعد مقتل الحسين^(٦) (ع) حيث أصبح التشيع كياناً مميزاً له طابعه الخاص .

في حين يذهب الدكتور عبد العزيز الدوري إلى أن التشيع تميز سياسياً ابتداءً من مقتل أمير المؤمنين علي^(٧) (ع) ويتضمن ذلك فترة قتل الحسين^(٨) (ع) حيث يعتبرها امتداداً للفترة السابقة^(٩) .

ولى هذا الرأي يذهب بروكلمان في تاريخ الشعوب الإسلامية حيث

(١) عوامل وأهداف نشأة علم الكلام ج ١ ص ١٠٥ .

(٢) فرق الشيعة ص ١٦ .

(٣) الفهرست لابن النديم ص ١٧٥ .

(٤) الصلة بين التصوف والتشيع ص ٢٣ .

(٥) مقدمة في تاريخ صدر الإسلام ص ٧٢ .

يقول : والحق أن ميّة الشهداء الذي ماتها الحسين ولم يكن لها أي أثر سياسي هذا على زعمه - قد عملت في التطور الديني للشيعة حزب علي^ع الذي أصبح بعد ملتقى جميع التزاعات المناوئة للعرب - وهو زعم باطل - واليوم لا يزال ضرير الحسين (ع) في كربلاء أقدس محاجة عند الشيعة وبخاصة الفرس الذين ما فتشوا يعتبرون الشواء الأخير في جواره غاية ما يطمعون فيه^(١) .

إن رأي بروكلمان بالإضافة لما فيه من دس يخالف ما عليه معظم من ربط ظهور التشيع بقتل الحسين حيث يذهبون إلى أن التمييز السياسي للمذهب ولدته واقعة الطف ، بينما يرى بروكلمان أن لا أثر سياسي للواقعة فهو من قبيل إنكار البدئيات وإنما يقصر أثر الواقعة على تعميق المذهب دينياً فقط .

وقد شابع بروكلمان في هذا الرأي جماعة آخرون ذكرهم يحيى فرغل مفصلاً في كتابه^(٢) إن هذه الآراء الأربع في نشأة التشيع لا تصمد أمام المناقشة ولا أريد أن أتعجل الرد عليها فسأذكر الرأي الخامس ومنه يتضح تماماً أن هذه الآراء تستند إلى أحداث أو مضى فيها التشيع نتيجة احتكاكه بمؤثرات في تلك الفترة التي أرخت بها تلك الآراء ظهور التشيع فظنه ولد آنذاك بينما هو موجود بكيانه الكامل منذ الصدر الأول . وقد آن الأوان لأعرض لك رأي جمهور الشيعة وخاصة المحققين منهم :

هـ: رأي الشيعة وغيرهم من المحققين من المذاهب الأخرى . حيث ذهب هؤلاء إلى أن التشيع ولد أيام النبي (ص) وأن النبي نفسه هو الذي غرسه في النفوس عن طريق الأحاديث التي وردت على لسان النبي (ص) وكشفت عما لعل^ع (ع) من مكانة في موقع متعددة رواها إضافة إلى الشيعة ثقة أهل السنة ومنها : ما رواه السيوطي عن ابن عساكر عند تفسير الآيتين السادسة والسابعة من سورة النبي بسنده عن جابر بن عبد الله قال كنا عند النبي (ص) فأقبل علي^ع (ع)

(١) تاريخ الشعوب الإسلامية ص ١٢٨ .

(٢) عوامل وأهداف نشأة علم الكلام ج ١ ص ١٠٦ ..

فقال النبي (ص) : والذى نفسي بيده إنَّ هذا وشيعته هم الفائزون يوم القيمة : فنزل قوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَيْرُ الْبَرِّيَّة﴾ وأخرج ابن عدي عن ابن عباس قال لما نزل قوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَيْرُ الْبَرِّيَّة﴾ قال النبي (ص) لعليٌّ (ع) هم أنت وشيعتك . وأخرج ابن مرويٍّ عن عليٍّ (ع) قال : قال لي رسول الله (ص) : ألم تسمع قوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ إلخ هم أنت وشيعتك وموعدي وموعدكم الحوض إذا جاءت الأُمُّ للحساب تدعون غرَّاً محجلين^(١) ومن هنا ذهب أبو حاتم الرازى إلى أنَّ أول إسم لذهب ظهر في الإسلام هو الشيعة وكان هذا لقب أربعة من الصحابة أبو ذر وعمار ومقداد وسلمان الفارسي وبعد صفين اشتهر موالى عليٍّ بهذا اللقب^(٢) .

إنَّ هذه الأحاديث التي مرت والتي أخرجها كل من ابن عساكر وابن عدي وابن مرويٍّ يعقب عليها أحمد محمود صبحي في كتابه نظرية الإمامة فيقول : ولا تفيق الأحاديث الواردة على لسان النبي (ص) في حق عليٍّ (ع) أنَّ لعليٍّ شيعة في زمان النبي فقد تنبأ النبي بظهور بعض الفرق كإشارته إلى الخوارج والمارقين كما ينسب إليه أنه قال لعليٍّ إنَّك تقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين . ولا يدل ذلك على وجود جماعة مستقلة لها عقائد متمايزة أو تصورات خاصة^(٣) وأنا أفت نظر الدكتور أحمد محمود إلى أنَّ الشيعة لا يستدلون على ظهور التشيع أيام النبي (ص) بما ورد على لسانه من أحاديث ، فالمسألة كما يسميها الأصوليون على نحو القضية الحقيقة لا الخارجية ، أي لا يلزم وجودهم بالفعل كما استظهر الدكتور وإنما هي صفات ذكرها النبي (ص) للشيعة متى وجدوا وأينما وجدوا ، أما الإستدلال على ظهور الشيعة أيام النبي فمن روایات وقرائن كثيرة يوردونها في هذا المقام ، أورد قسماً منها الدكتور عبد العزيز الدوري واستعرض مصادرها^(٤) مع ملاحظة أنه قيد

(١) الدر المثور للسيوطى ج ٦ ص ٣٧٦ .

(٢) روضان الجنات للخونساري ص ٨٨ .

(٣) نظرية الإمامة ص ٣١ .

(٤) مقدمة في تاريخ صدر الإسلام ص ٧٢ .

التشيع بأنه تشيع روحي كما نص على قسم من أدتهم على ذلك يحيى هاشم فرغل في كتابه^(١).

إن بعض هذه الآراء يرجع بالبداية الزمنية في ظهور الشيعة إلى وقت مبكر في حياة النبي (ص) حيث التأمت جماعة من الصحابة تفضل علياً (ع) على غيره من الصحابة وتتخذه رئيساً ومن هؤلاء عمار بن ياسر وأبو ذر الغفاري وسلامان الفارسي والمقداد بن الأسود وجابر بن عبد الله وأبي بن كعب وأبو أيوب الأنصاري وبنو هاشم الخ^(٢).

ولهذا ذهب الباحثون إلى تحفظة من يؤرخ للتشيع وظهوره بعصور متأخرة مع أن الأدلة التاريخية متوفرة على وجودهم أيام الرسول صلوات الله عليه وآله : يقول محمد عبد الله عنان في كتابه تاريخ الجماعات السرية عند تعليقه على الحادثة التي روتها كتب السيرة^(٣) حين جمع النبي عشيرته عند نزول قوله تعالى : ﴿وَإِنَّرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ ٢١٤ / الشعرا ، ودعاهم إلى اتباعه فلم يحبه إلا علي بن أبي طالب فأخذ النبي برقبته وقال : هذا أخي ووصي وخليفي فيكم فاسمعوا له وأطعوه . علق محمد عبد الله بقوله : من الخطأ أن يقال : إن الشيعة إنما ظهرت لأول مرة عند انشقاق الخوارج بل كان بدء الشيعة وظهورهم في عصر الرسول حين أمر بإذن عشيرته بهذه الآية .

(١) عوامل وأهداف نشأة علم الكلام ج ١ ص ١٠٥ .

(٢) المصدر السابق من ١٠٦ .

(٣) حياة محمد لميكل ط مصر الطبعة الموزرحة ١٣٥٤ ص ١٠٤ .

الفصل الثاني

الأدلة على تكوّن التشيع أيام النبي

١ - النصوص التاريخية على وصف جماعة بالتشيع أيام النبي (ص) وقد مرت الإشارة لذلك ، وهذا يقول الحسن بن موسى التوسي عند تحدideه للشيعة :

فالشيعة فرقة عليٌّ بن أبي طالب المسمون بشيعة عليٍّ في زمن النبي - ثم عدد جماعة منهم وقال : - وهم أول من سمي باسم التشيع لأنَّ اسم التشيع كان قد يأْ لشيعة إبراهيم^(١) .

٢ - ما عليه جمهور الباحثين والمؤرخين الذين ذهبوا إلى أنَّ التشيع ظهر يوم السقيفة فإنَّ ذلك ينافي دليلاً على وجوده أيام النبي (ص) لأنَّه من غير المعقول أن يتبلور التشيع بأسبوع واحد - أي المدة بين وجود الرسول ووفاته بحيث يتخذ جماعة من الناس موقف معينة ويتبصر لهم اتجاه له ميزانه وخواصه فإنَّ مثل هذه الآراء تحتاج في تكوينها وتبلورها إلى وقت ليس بالقليل وكل من له إمام بحوادث السقيفة وموقف الممتنعين عن بيعة أبي بكر وحجاجهم في ذلك الموضوع يجزم بأن تلك المواقف لم تتوكلن بوقت قصير ويسرعة بهذه السرعة وذلك لوجود اتجاهات متبلورة وتأصل في طرح نظريات معينة .

٣ - إنَّ من غير المعقول أن ترد على لسان النبي (ص) أحاديث في تفضيل

(١) الفرق والمقالات للتوسي في باب تعريف الشيعة .

الإمام عليٌّ (ع) والإشارة إلى مؤهلاته ثم يقف المسلمون من ذلك موقف غير المبالي وهم من هم في إيمانهم وطاعتهم للرسول (ع) ولا سيما والواقف في ذلك قد تعددت وسأذكر لك منها .

أ - الموقف الأول :

عندما نزل قوله تعالى : « وأنذر عشيرتك الأقربين » ٢١٤ / من سورة الشعراء قال المؤرخون : إن النبي (ص) دعا علياً (ع) وأمره أن يصنع طعاماً ويدعو آل عبد المطلب وعدهم يومئذ أربعون رجلاً وبعد أن أكلوا وشربوا من لبن أعد لهم قام النبي (ص) وقال : يا بني عبد المطلب إني والله ما أعلم شاباً من العرب جاء قومه بأفضل مما قد جئتكم به إني قد جئتكم بخير الدنيا والأخرة وقد أمرني الله أن أدعوكم إليه فلما يزارني على هذا الأمر على أن يكون أخي ووصيي وخليفي فيكم فاحججم القوم عنها جميعاً - يقول عليٌّ - وقلت وإنما لأحدثهم سناً وأرمصهم عيناً وأعظمهم بطناً وأحشهم ساقاً : أنا يا نبي الله أكون وزيرك عليه فأخذ برقبتي ثم قال : إن هذا أخي ووصيي وخليفي فيكم فاسمعوا له وأطيعوا ، فقام القوم يضحكون ويقولون لأبي طالب : قد أمرك أن تسمع لابنك وتطيع^(١) .

ب - الموقف الثاني :

يقول أبو رافع القبطي مولى رسول الله (ص) : دخلت على النبي وهو يوحى إليه فرأيت حية فنممت بينها وبين النبي لثلا يصل إليه أذى منها حتى انتهى عنه الرحي فأمرني بقتلها وسمعته يقول : الحمد لله الذي أكمل لعليٍّ منته وهنئناه بتفضيل الله إياه . بعد أن قرأ قوله تعالى : « إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة و يؤتون الزكوة وهم راكعون ٥٥ / المائدة . وقد أجمع أعلام أهل السنة والشيعة على نزول هذه الآية في عليٍّ (ع) ومنهم السيوطي في الدر المصور عند تفسير الآية المذكورة وكذلك الرازي في مفاتيح الغيب والبضاوي في

(١) تاريخ الطبرى ج ٢ ص ٢١٦ ، وتاريخ ابن الأثير ج ٢ ص ٢٨ .

تفسيره والزخيري في الكشاف والتعليق في تفسيره والطبرسي في جمجمة البيان
وغيرهم من أعلام المفسرين والمحدثين .

ومن الغريب أن يقف الألوسي في تفسيره روح المعاني موقفاً يمثل
الإسفاف والركرة في دفع هذه الآية عن عليٍّ (ع) ويريك كيف يهبط التعصيب
بالإنسان إلى درك مقىت وإلى تهافت غير معهود . وإن المرء ليستغرب من هذا
الرجل فإنَّ له مواقف متناقضة من عليٍّ (ع) فتارة يعطيه حقه وأخرى يقف منه
موقفاً متشنجاً ويوسع كل من قرأ الألوسي في مؤلفاته أن يرى هذه الظاهرة .

جـ - الموقف الثالث :

موقف النبي (ص) يوم غدير خم وذلك عند نزول الآية : «يا أيها
الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك
من الناس» /٦٩ المائدة . وعندها أوقف النبي (ص) الركب وصنعوا له منبراً من
أحداج الإبل خطب عليه خطبته المعروفة ثم أخذ بيده عليٍّ وقال : ألسْت أُولى
بالمؤمنين من أنفسهم؟ قالوا : بلى ، فكررها ثلاثة ثم قال : «من كنت مولاه
فهذا عليٌّ مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاده وانصر من نصره واخذل من
خذله» ، فلقى الخليفة الثاني فقال : هنيئاً لك يا ابن أبي طالب أصبحت مولاي
ومولي كل مؤمن ومؤمنة .

وقد ذكر الرازبي في سبب نزول الآية عشرة وجوه ومنها أنها نزلت في عليٍّ
(ع) ثم عقب بعد ذلك بقوله : وهو قول ابن عباس والبراء بن عازب ومحمد بن
عليٍّ - يزيد الباقر -^(١) إنَّ حديث الغدير أخرجه جماعة من حفاظ أهل السنة وقد
رواه ابن حجر في صواعقه عن ثلثين صحابياً ونص على أنَّ طرقه صحيحة
وبعضها حسن^(٢) .

وأورده ابن حمزة الحنفي مخرجاً له عن أبي الطفيلي عامر بن وائلة بهذه

(١) تفسير الرازبي ج ٣ ص ٤٣١ .

(٢) الصواعق المحرقة الباب الثاني من الفصل التاسع .

الصورة . قال : إنَّ أُسَامَةَ بْنَ زَيْدَ قَالَ لِعَلِيٍّ : لَسْتُ مَوْلَايِ إِنَّمَا مَوْلَايِ رَسُولُ اللهِ (ص) فَقَالَ النَّبِيُّ (ص) : كَانَيْ قَدْ دَعَيْتَ فَأَجَبْتَ إِنَّمَا تَارِكَ فِيكُمُ الظَّلَمَيْنِ أَحَدَهُمَا أَكْبَرُ مِنَ الْآخَرِ كِتَابَ اللهِ وَعَتَقِيَ أَهْلَ بَيْتِي فَانظُرُوا كَيْفَ تَخْلُفُونِي فِيهِمَا فَلَاهُمَا لَنْ يَفْتَرُقا حَقِّي بِرِدَادِ عَلِيٍّ الْحَوْضُ إِنَّ اللهَ مَوْلَايِ وَأَنَا مَوْلَى كُلِّ مُؤْمِنٍ مَّنْ كَنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ اللَّهُمَّ وَالَّهُ مَنْ وَالَّهُ مَنْ عَادَ مِنْ عَادَهُ^(١) .

وقد ألف في موضوع الغدير من السنة والشيعة ست وعشرون مؤلفاً^(٢) ولا أريد التحدث بصرامة حديث الغدير في أولوية الإمام علي (ع) وتقديمه على كافة الصحابة فان الأمر قد أشبع من قبل الباحثين ولكنني أريد أن أسائل الدكتور أحمد شلبي الذي يقول إنَّ حديث الغدير لم يرد له ذكر إلا في كتاب الشيعة ، فأقول له هل هناك شيء من الشعور بالمسؤولية عندك وعنده أمثالك من يرمون الكلام على عواهنه فاتت تحمل أمانة للأجيال فمن الأمانة هذا القول إنَّ كتاب أهل نحلتك وحافظ قومك أوردت الحديث بمصادره الموثقة فإذا كنت لا تقرأ أو تقرأ ولا تريده أن تعرف فاسكت يرحمك الله فهو خير لك من التعرض أما نسبة الجهل أو العصبية ، ولا يقل عن الدكتور شلبي من يذهب إلى أنَّ لفظ المولى هنا إنما يراد منه ابن العم فهو أحد معاني هذه اللفظة المشتركة ولا رد لي على هذا إلا أن أقول : اللهم ارحم عقولنا من المسوخ . إنَّ هذه مجرد أمثلة من مواقف النبي (ص) في التنشئة بفضل علي^(ع) ولا يمكن أن تمر هذه المواقف والكثير الكثير من أمثالها دون أن تشذ الناس لعلي^(ع) ودون أن تدفعهم للتعرف على هذا الإنسان الذي هو وصي النبي ، الذي يشركه القرآن بالولاية العامة مع الله تعالى وبرسوله (ص) ثم لا بد لل المسلمين من إطاعة هذه الأوامر التي وردت بالنصوص والإلتلاف حول من وردت فيه ذلك هو معنى التشيع الذي نقول : إنَّ النبي (ص) هو الذي ينربث به وقد أينعت في حياته وعرف جماعة بالتشيع لعلي^(ع) والإلتلاف حوله وللتدليل على ذلك سأذكر لك أسماء الرعيل الأول من الصحابة الذين عرفوا بتشييعهم وولائهم للإمام علي^(ع) عليه السلام .

(١) أعيان الشيعة ج ٣ باب الغدير .

(٢) البيان والتعریف ج ٢ ص ١٣٦ .

الفصل الثالث

رَوَادُ التَّشِيعِ الْأَوَّلُونَ

جندب بن جنادة ، أبوذر الغفاري وعمار بن ياسر ، سلمان الفارسي ،
المقداد بن عمرو بن ثعلبة الكندي ، حذيفة بن اليمان صاحب سر النبي ، خزيمة
ابن ثابت الأنباري ذو الشهادتين ، الخطاب بن الأرت الخزاعي أحد المعدبين في
الله ، سعد بن مالك أبو سعيد الخدري ، أبو الهيثم بن التيهان الأنباري ، قيس
ابن سعد بن عبادة الأنباري ، أنس بن الحمرث بن منه أحد شهداء كربلاء ، أبو
أبيوب الأنباري خالد بن زيد الذي استضافه النبي (ص) عند دخوله للمدينة ،
جابر بن عبد الله الأنباري أحد أصحاب بيعة العقبة، هاشم بن أبي وقاص المرقال
فاتح جلواء ، محمد بن الخليفة أبي بكر تلميذ عليٰ وربيبه ، مالك بن الحمرث
الأشر النخعي ، مالك بن نويرة رdf الملوك الذي قتله خالد بن الوليد ، البراء
ابن عازب الأنباري ، أبي بن كعب سيد القراء ، عبادة بن الصامت
الأنباري ، عبد الله بن مسعود صاحب وضوء النبي (ص) ومن سادات
القراء ، أبو الأسود الدؤلي ، ظالم بن عمير واضح أمس النحو بأمر الإمام عليٰ ،
خالد بن سعيد بن أبي عامر بن أمية بن عبد شمس خامس من أسلم ، أسيد بن
ثعلبة الأنباري من أهل بدر ، الأسود بن عيسى بن وهب من أهل بدر ، بشير
ابن مسعود الأنباري من أهل بدر ومن القتلى بواقعة الحرة بالمدينة ، ثابت أبو
فضالة الأنباري من أهل بدر ، الحارث بن التعمان بن أمية الأنباري من أهل
بدر ، رافع بن خديج الأنباري من شهد أحداً ولم يبلغ وأجازه النبي (ص) ،

كعب بن عمير بن عبادة الأنباري من أهل بدر ، سماك بن خرشة أبو دجابة الأنباري من أهل بدر ، سهيل بن عمرو الأنباري من أهل بدر ، عتيك بن التيهان من أهل بدر ، ثابت بن عبد الأنباري من أهل بدر ، ثابت بن حطيم ابن عدي الأنباري من أهل بدر ، سهيل بن حنيف الأنباري من أهل بدر ، أبو مسعود عقبة بن عمر من أهل بدر ، أبو رافع مولى رسول الله (ص) الذي شهد مشاهده كلها مع مشاهد عليٰ (ع) ومن بايع البيعتين العقبة والرضوان وهاجر المجرتين للحبشة مع جعفر وللمدينة مع المسلمين ، أبو بربدة بن دينار الأنباري من أهل بدر ، أبو عمر الأنباري من أهل بدر ، أبو قتادة الحارث بن ربيع الأنباري من أهل بدر ، عقبة بن عمر بن ثعلبة الأنباري من أهل بدر ، قرظة بن كعب الأنباري ، بشير بن عبد المنذر الأنباري أحد النقابه ببيعة العقبة ، يزيد بن نويرة بن الحارث الأنباري من شهد له النبي (ص) بالجنة ، ثابت بن عبد الله الأنباري ، جبلة بن ثعلبة الأنباري ، جبلة بن عمير بن أوس الأنباري ، حبيب بن بدبل بن ورقاء الخزاعي ، زيد بن أرقام الأنباري شهد مع النبي (ص) سبعة عشر وقعة ، أعين بن ضبيعة بن ناجية التميمي ، الأصبعي بن نباتة ، يزيد الإسلامي من أهل بيعة الرضوان ، تميم بن خزام ، ثابت ابن دينار أبو حزة الشمالي صاحب الدعاء المعروف ، جندب بن زهير الأزدي ، جعدة بن هبيرة المخزومي ، حارثة بن قدامة التميمي ، جبير بن الجناب الأنباري ، حبيب بن مظاهر الأستدي ، حكيم بن جبلة العبد الليثي ، خالد ابن أبي دجانية الأنباري ، خالد بن الوليد الأنباري ، زيد بن صوحان الليثي ، الحاجاج بن غاربة الأنباري ، زيد بن شرحبيل الأنباري ، زيد بن جبلة التميمي ، بدبل بن ورقاء الخزاعي ، أبو عثمان الأنباري ، مسعود بن مالك الأستدي ، ثعلبة أبو عمارة الأنباري ، أبو الطفيلي عامر بن وائلة الليثي ، عبد الله بن حزام الأنباري شهيد أحد ، سعد بن منصور الثقفي ، سعد بن الحارث ابن الصمد الأنباري ، الحارث بن عمر الأنباري ، سليمان بن صرد الخزاعي ، شرحبيل بن مرة الهمداني ، شبيب بن رت النميري ، سهل بن عمر

صاحب المربد ، سهيل بن عمر أخو سهل المار ذكره ، عبد الرحمن الخزاعي ، عبد الله بن خراش ، عبد الله بن سهيل الانصاري ، عبيد الله بن العازر ، عدي ابن حاتم الطائي ، عروة بن مالك الاسلامي ، عقبة بن عامر الاسلامي ، عمر بن هلال الانصاري ، عمر بن انس بن عون الانصاري من أهل بدر ، هند بن أبي هالة الأسدي ، وهب بن عبد الله بن مسلم بن جنادة ، هاني بن عروة المذحجي ، هبيرة بن النعمان الجعفي ، يزيد بن قيس بن عبد الله ، يزيد بن حوريت الانصاري ، يعلى بن عمير النهي ، أنس بن مدرك الحثعمي ، عمرو العبدى الليثي ، عميرة الليثي ، عليم بن سلمة التميمي ، عمير بن حارت السلمي ، علاء بن الهيثم بن جرير وأبوه الهيثم من قواد الحملة في قتال الفرس بواقعة ذي قار ، عون بن عبد الله الأزدي ، علاء بن عمر الانصاري ، نهشل بن ضمرة الحنظلي ، المهاجر بن خالد المخزومي ، مخنف بن سليم العبدى الليثي ، محمد بن عمير التميمي ، حازم بن أبي حازم النجلي ، عبيد بن التيهان الانصاري ، وهو أول المباعين للنبي ليلة العقبة ، أبو فضالة الانصاري ، أويس القرني الانصاري ، زياد بن النضر الحارثي ، عوض بن علاط السلمي معاذ بن عفراء الانصاري ، عبد الله بن سليم العبدى الليثي ، علاء بن عروة الأزدي ، القاسم بن سليم العبدى الليثي ، عبد الله بن رقية العبدى الليثي ، منقد بن النعمان العبدى الليثي ، الحارث بن حسان الذهلي صاحب راية بكر بن وائل ، بجير بن دبلجة ، يزيد بن حجية التميمي ، عامر بن قيس الطائي ، رافع الغطفانى الأشجعى ، سالم بن أبي الجعد ، عبيد بن أبي الجعد ، زياد بن أبي الجعد ، أبان ابن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس من أمراء السرايا أيام النبي (ص) ومن خلص أصحاب الإمام علي (ع) . حرملة بن المنذر الطائي أبو زيد ، والمجموع مائة وثلاث وثلاثون .

هذه شريحة أو غاذج من الرواد الأوائل في التشيع ذكرتهم بدون انتقاء أو اختيار وإنما مررت بكتب الرجال فذكرت منها هذه المجموعة وقد نصت على

تشيعهم المصادر التالية^(١) .

بعد ملاحظة هذه الشريحة من الطبقة الأولى من الشيعة تتضح لنا أمور هامة ، في موضوعنا أعرضها أمام القارئ الوعي الرائد للحق والموضوعية ، وإلا فما أكثر من يقرأ ولا يتجاوز مضمون السطور عينيه ، وقد يقرأ أحياناً ولا يريد أن يصدق ما يقرأ مع توفر شرائط الصحة فيما يقرأه ومع وجود الثقة النفسية بمضمون ما يقرأه ، ولكن التكوين النفسي والذهني الذي ينشأ عليه الإنسان منذ الصغر فيكاد يكون غريزة من الغرائز التي يطبع عليها الإنسان .

تعقيب على الرواد من الشيعة

هذه الأمور التي ذكرت أني سأعرض لها تعقيباً على نوعية الرواد الأوائل

هي :

أولاً : إن هؤلاء الشيعة الذين مر ذكرهم مع أنهم كانوا من الذاهبين إلى أولوية الإمام علي^(ع) بالخلافة لأن الإمام المفترض الطاعة المنصوص عليه ومع اعتقادهم بأن من تقدم عليه أخذ ما ليس له ومع امتلاع كثير منهم من البيعة لل الخليفة الأول واعتصامهم ببيت الإمام علي^(ع) مع كل ذلك لم يعرف عن أحد منهم أنه شتم فرداً من الصحابة أو تناوله بطريقة غير مستساغة بل كانوا أكبر من ذلك وأصلب عوداً من خصومهم - مما يدل على أن بعض من عرف بظاهرة شتم الصحابة إنما صدر منه ذلك كعملية رد فعل لأفعال متعددة وسنمر على ذلك قريباً - إنهم مع اختلافهم مع الحكم لم يلتجأوا إلى شتم أو بذاء لأنهم يعرفون أن الحقوق لا يوصل إليها بالشتم وليس الشتم من شيم الأبطال ، والذي يريد أن يسجل ظلامة أو يشير إلى حق سلبي فإن طرق ذلك ليس منها الشتم في شيء ،

(١) الكامل للمبرد هاشم رغبة الأمل ج ٧ ص ١٣٠ ، وأسد الغابة ج ١ ص ٢٥ ط أوفست حرف الألف ، وجد ٦١ طبع دمشق ، وفجر الإسلام ص ٢٦٧ ، والاستيلاب ج ١ ص ٢٨٠ ، ومدخل موسوعة المبحث المقنسة الفصل الخاص بالشيعة بقلم عبد الواحد الأنصاري .

وإنما هناك مناهج سليمة في الوصول لذلك . وقد حرص أمير المؤمنين (ع) على تربية أتباعه على النهج السليم ومن موقعه في ذلك ما رواه نصر بن مزاحم قال : مرَّ أمير المؤمنين (ع) على بعض من كان في جيشه بصفين فسمعهم يشتمون معاوية وأصحابه فقال لابن عدي ولعمر بن الحمق وغيرهما : كرهت لكم أن تكونوا لعاني شتامين تشتمون وتبرأون ولكن لو وصفتم مساواً لأعمالهم فقلتم من سيرتهم كذا وكذا ومن أعمالهم كذا وكذا كان أصوب في القول وأبلغ في العذر وقلتم مكان لعنكم إياهم وبراءتكم منهم اللهم احقن دماءهم ودماءنا ، وأصلح ذات بيننا وبينهم واهدهم من ضلالهم حتى يعرف الحق من جهله منهم ، ويرعوي عن الغي والعدوان منهم من هج به لكان أحب إلى وخيراً لكم فقالوا : يا أمير المؤمنين نقبل عذتك ونتأدب بأدبك^(١) إن هذا الموقف منه (ع) ليشعرهم أن الشتم وسيلة نابية ليست كريهة ثم هي بعد ذلك تنفي عن طاقة يمكن الإستفادة منها بادخارها وصرفها في عمل إيجابي يضاف لذلك أن الشتم مداعاة للإساءة لمقدسات الشاتم نفسه ومن هنا حرم الفقهاء شتم الصنم إذا أدى إلى شتم الله تعالى مستفيدين ذلك من قوله تعالى : ﴿وَلَا تسبوا الَّذِينَ يدعونَ مِنْ دُنْهُمْ فَيُسَبِّوَ اللَّهَ عَدُوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ ١٠٨ / الأنعام . من أجل ذلك كله كان الشيعة أظهر ألسنة من أن يشتموا وأبعد عن هذا الموقف النابي ولذلك رأينا كثيراً من الباحثين يؤكدون هذا الجانب في حياة الرواد الأوائل من الشيعة مع أنهم يثبتون عقيدتهم بتقديم الإمام علي^(٢) (ع) ومن هؤلاء :

أ - الدكتور أحمد أمين :

يقول عن هؤلاء إنهم قسم المقتضى الذي يرى بأنَّ أباً بكر وعمر وعثمان ومن شايعهم أخطأوا إذ رضوا أن يكونوا خلفاء مع علمهم بفضل عليٍ وإنَّه خير منهم^(٢) .

(١) صفين لنصر بن مزاحم ص ١١٥ ..

(٢) فجر الإسلام ص ٢٦٨ .

ب - ابن خلدون يقول :

كان جماعة من الصحابة يتسيرون لعليٌّ ويرون استحقاقه على غيره ولما عدل به إلى سواه تأفوا من ذلك وأسفوا له إلا أنَّ القوم لرسوخ قدتهم في الدين وحرصهم على الإلْفَة لم يزيدوا في ذلك على النجوى بالتأفف والأسف^(١).

ج - ابن حجر في الإستيعاب :

يقول في ترجمة أبي الطفيل : عامر بن وائلة بن كنانة الليبي أبو الطفيل أدرك من حياة النبي (ص) ثمان سنين وكان مولده عام أحد ومات سنة مائة ويقال : إنه آخر من مات من رأى النبي ، وقد روى نحو أربعة أحاديث وكان محباً لعليٍّ وكان من أصحابه في مشاهده وكان ثقة مأموناً يعترف بفضل الشيفيين إلا أنه يقدم علياً إنتهى باختصار^(٢).

وبعد هذه المقتطفات أود أن أفت النظر أني خلال مراجعاتي كتب التاريخ لم أر في الفترة التي تمت من بعد وفاة النبي حتى نهاية خلافة الخلفاء من عمد إلى الشتم من أصحاب الإمام ، وإنما هناك من قيم الخلفاء وقيم الإمام وحتى في أشد جحثات عاطفة الولاء لم نجد من يشتم أحداً من تقدم الإمام بالخلافة يقول أبو الأسود الدؤلي :

أَحَبَّ مُحَمَّداً حَبَّاً شَدِيداً
يَقُولُ الْأَرْذُلُونَ بْنُو قَشْبَر
أَحَبَّهُمْ لَهُبُّ اللَّهِ حَتَّى
بْنُو عَمِ النَّبِيِّ وَأَقْرَبُوهُ
فَإِنْ يَكُ حَبِّهِمْ رَشِداً أَصْبَهُ

وعباساً وحمزة والوصيما طوال الدهر ما تنسى علياً أجيء إذا بعثت على هوما أحب الناس كلهم إليها ولست بمخطيء إن كان غيـاـ^(٣)

(١) تاريخ ابن خلدون جـ ٣ ص ٣٦٤ .

(٢) الإستيعاب جـ ٢ ص ٤٥٢ .

(٣) الكامل للعبرد هامش رغبة الأمل جـ ٧ .

يضاف لذلك أنه حتى في الفترة الثانية أي في عهود الأمويين كان معظم الشيعة يتورعون عن شتم أحد من الصحابة ، أو التابعين : يقول ابن خلkan في ترجمة يحيى بن يعمر : كان شيعياً من القائلين بتفضيل أهل البيت من غير تقيص لغيرهم^(١) .

(١) ولیات الاعیان ج ٢ ص ٢٦٩

الفصل الرابع

الشيعة غير الروافض

من كل ما ذكرته يتضح أمر آخر وهو أن ما دأب عليه بعض الكتاب من رمي الشيعة بالرفض وتسميتهم بالروافض نشا مؤخراً وبأسباب خاصة سنذكرها :

إن هذا الزمن الذي نشا فيه نعت الشيعة بالروافض هو في أيام الأمويين ، ولذلك جاءت النصوص تنتع الروافض بأنهم قسم من الشيعة لا الشيعة كما ي يريد البعض ومن تلك النصوص :

١ - محمد مرتضى الزبيدي في تاج العروس قال :

والروافض كل جند تركوا قائدتهم والرافضة فرقة منهم ، والرافضة أيضاً فرقة من الشيعة قال الأصممي سموا بذلك لأنهم بايعوا زيد بن علي ثم قالوا له تبرأ من الشيدين فأبا وقال لا كانا وزيري جدي فتركوه ورفضوه وارفضوا عنه^(١) .

٢ - إسماعيل بن حماد الجوهري قال في الصاحح :

عند مادة رفض مورداً نفس المضمون الذي ذكره الزبيدي فكأنه نسخة طبق الأصل^(٢) .

(١) تاج العروس ج ٥ ص ٣٤ .

(٢) صحاح الجوهري ج ٣ ص ١٠٧٨ تسلل عام الكتاب .

٣ - القاضي عياض :

فرق القاضي عياض في كتابه ترتيب المدارك في أعلام مذهب مالك بين الشيعة والرافضة وذلك حينما قارن مذهب الإمام مالك بغيره فقال :

فلم نر مذهبًا من المذاهب غيره أسلم منه فإنَّ فيهم الجهمية والرافضة والخوارج والمرجئة والشيعة إلا مذهب مالك فإننا ما سمعنا أحدًا من نقلة مذهبة قال بشيء من هذه البدع^(١).

ومن الواضح من هذه الجملة أنَّ الرافضة غير الشيعة لمكان التغيير الناتج من العطف . ومن هذا ومن غيره مما نقله أصحاب المقالات مما لا يخرج عن نفس المضمون يتضح أنَّ اصطلاح الروافض مأخوذ بمعناه اللغوي في أنه لكل جند رفضوا قادتهم ، وتطبيقه على أصحاب زيد من باب تطبيق الكل على أحد مصاديقه وإلى هنا فإنَّ المسألة طبيعية . لكن الذي يلفت النظر أن يكون أصحاب زيد طلبوا منه البراءة من الشيختين فإنَّ ذلك محل تأمل طويل للأسباب التالية :

١ - إنَّ هؤلاء الذين طلبوا البراءة لو كانوا شيعة فلا بد أنَّهم حريصون على نصر زيد وكسب المعركة ضرورة أنَّ مصيرهم مرتبط بمصير زيد فإذا هزم فمعنى ذلك القضاء عليهم قضاءً تاماً خصوصاً وأنَّ خصومهم الأمويون الذين يقتلون على الظنة والتهمة كل من يميل إلى آل أبي طالب ، فما الذي دفعهم إلى خلق هذه البلبلة التي أدت إلى انفلاط جند زيد عنه وبالتالي إلى خسارته للمعركة فموته شهيداً على أيدي الأمويين فلا بد أن يكون هؤلاء ليسوا من الشيعة وإنما هم جماعة مندسة أرادت إحداث البلبلة للقضاء على زيد واحتلال كسبه للمعركة .

٢ - وعلى فرض التنزل والقول بوجود فرقة خاصة من رأيها رفض الشيختين فما معنى سحب هذا اللقب على كل شيعي يوالي أهل البيت حتى أصبح هذا الأمر من المسلمات فوجدنا الإمام الشافعي يقول في أبياته الشهيرة :

. (١) ترتيب المدارك ج ١ ص ٥١.

واهتف بقاعد جمعها والناهض
فيضاً كملطم الفرات الفائض
إني أقول به ولست بنافق
إن كان رفضاً حبَّ آل محمدٍ
يا راكباً قف بالمحبب من مني
سحراً إذا فاض الحجيج إلى مني
أعلمتمُ أنَّ التشيع مذهبى
فليشهد الثقلان أني رافضي

البيت الأخير من هذه الأبيات ذكره الزبيدي في تاج العروس في مادة
رفض^(١) وباقيتها في ترجمة الشافعي بمختلف الكتب .

إنَّ تعبير الإمام الشافعي : إنَّ كان رفضاً حبَّ آل محمد يدل على أنَّ هناك
إرادة لسحب اللقب وهو رافض على كل شيعي مبالغة في التشهير بهم وشحن
المشاعر ضدهم مما سلمع كثيراً من الأمثلة له ، وما يؤيد على أنها تتمشى مع
تخطيط شامل يستهدف محاصرة التشيع والتشهير به وبكل وسيلة سليمة كانت أم
لا .

٣ - قد يقال إنَّ لا شك في وجود جماعة شتامين للصحابة فما هو السبب في
كونهم من هذا الصنف في حين تدعون أنَّ الشتم لا تقره الشيعة ولا أئمتهم
وللجواب على هذا السؤال لا بد من الرجوع إلى مجموعة من الأسباب تشكل
فعلاً عنيفاً استوجب رد الفعل ومن هذه الأسباب ما يلي :

أسباب الشتم

أ - المطاردة والتنكيل المروع للشيعة وبالشيعة وما تعرضوا له من قتل وإبادة
على الظنة والتهمة وفي أحسن الحالات الملاحقة لهم والمحاربة برزقهم ومنعهم عن
عطائهم من بيت المال وفرض الضرائب عليهم وعزفهم اجتماعياً وسياسياً وبواسع
القارئ الرجوع إلى التاريخ الأموي في الكوفة وغيرها من المدن الشيعية ليقف
بنفسه على ما وصلت إليه الحالة وما انتهى إليه ولادة الأمويين من قسوة ومن هبوط

(١) تاج العروس جه ص ٣٥ .

في الإنسانية إلى مستويات يتبرأ منها الوحش في العهدين الأموي والعباسي^(١). إن مثل هذا الإضطهاد يستلزم التفليس عن الكبت فقد يكون هذا التفليس في عمل إيجابي بشكل من الأشكال وأحياناً قد يكون سلبياً فيلجأ إلى هذا الشتم . ولستنا نبرر ذلك بحال من الأحوال لما سبق أن ذكرناه من أسباب .

ب - إن الذي أسس هذه الظاهرة هم الأمويون أنفسهم لأنهم شتموا الإمام علياً (ع) على المنابر وشتموا أهل البيت لمدة ثمانين سنة واستمر هذا الوضع حتى أن محاولة الرجل الطيب عمر بن عبد العزيز لم تنجح في منع الشتم وكانت كلمة الأمويين وبالذات معاوية أنهم إنما أسووا شتمه ليدرج عليه الصغير ويهرم عليه الكبير ، فنشأت مقابل ذلك ردة الفعل . وما عمق هذه الظاهرة : هو الإلتواء في معالجة هذه المشكلة من قبل بعض أعلام السنة . وعلى سبيل المثال نجد ابن تيمية يؤلف كتابه الصارم المسلول في كفر من شتم الرسول أو أحد أصحاب الرسول ، ويحشد فيه الأدلة على كفر الشاتم ولكنه مع ذلك ومع علمه بما قام به معاوية والأمويون لا يقول بکفر الأمويين الذين قاموا بشتم الإمام (ع) وأهله . إن علي بن أبي طالب أخو رسول الله (ص) ومن ضحى بكل ذرة من كيانه في حمدة الإسلام والمسلمين فلماذا لا يکفر شاته ؟ وستسمع الجواب طبعاً بأنه تاب وغفر الله له وانتهى الأمر .

وإليك مثلاً آخر : لقد تولى يزيد بن معاوية الحكم لمدة ثلاثة سنوات قتل في سنة منها الحسين وأهل بيته رسول الله وسي عيالهم وذبح أطفالهم وعمل فيهم أعمالاً لا تصدر من كسرى وقيس .

وفي سنة ثانية قتل عشرة آلاف من المسلمين وبسبعيناتة من الصحابة حملة القرآن ، واستباح المدينة ثلاثة أيام وسمح لجندي أهل الشام أن يهتكوا أغراض المسلمات وذبح الأطفال حتى كان الجندي الشامي يأخذ الرضيع من ضرع أمه ويقذف به الجدار حتى ينتشر منه على الجدار وأجبر الناس على بيعه يزيد على

(١) انظر مروج الذهب للمسعودي ج ٣ ص ١٢٥ ، وانظر تاريخ الطبرى ج ٦ ص ٣٤٤

أساس أنهم عبيد له ، وأحاف المدينة وروع الناس وأحال أرض المدينة المنورة إلى بر크 من الدماء وتلول من الأشلاء .

وفي سنة ثالثة سلط المنجنيقات على الكعبة وهدمها وأحرقها وزعزع أركانها وجعل القتال داخل المسجد الحرام وسال الدم حتى في قاع الكعبة وقد استعرض ذلك مفصلاً كل من تاريخ الخميس للديار بكري والطبرى وابن الأثير والمسعودي في مروج الذهب وغيرهم من المؤرخين في أحداث سنة ستين حتى ثلاث وستين من الهجرة . ومع ذلك كله تحدّى كثيراً من أعلام السنة بخطوئون من بخرج لقتال يزيد وأنّ الخارج عليه يحدث فتنة ووصل الأمر إلى حد تخطّيه الحسين (ع) سيد شباب أهل الجنة فكأنّ النبي (ص) عندما قال : « الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة » ما كان يعلم بأنه يقاتل يزيد وحيثما يقول النبي (ص) : « إنّ الحسين وأصحابه يدخلون الجنة بغير حساب »^(١) لم يأخذ في حسابه أنّهم خارجون على يزيد اللهم اهد قومنا ، وكأنّ ابن العربي المالكي أعرف بمصائر الأمور من النبي نفسه الذي يرسم للحسين مصيره ويأمره بتنفيذ ذلك ، أرأيت معنى إلى أي مستوى من المهازل تصل الدنيا ؟

وهذا الإمام الغزالي الذي سبق قريباً معه وفقة قصيرة يقول وأمام عينيه عشرات من كتب السير والتاريخ التي تؤكّد بالطرق الموثوقة بشاعة الأحداث التي تمت بأمر يزيد وبفعله المباشر لبعضها . يقول في باب اللعن من كتابه إحياء العلوم :

فإن قيل : هل يجوز لعن يزيد لأنّه قاتل الحسين ، أو أمر به ، قلنا هذا لم يثبت أصلاً فلا يجوز أن يقال إنّه قتله أو أمر به ما لم يثبت ، فضلاً عن لعنه ، لأنّه لا يجوز نسبة مسلم إلى كبيرة من غير تحقيق ، إلى أن قال : فإن قيل : أن يقال « قاتل الحسين لعنه الله ، أو الأمر بقتله لعنه الله » ، قلنا : الصواب أن يقال قاتل الحسين إن مات قبل التوبة لعنه الله^(٢) .

(١) تهذيب التهذيب لابن حجر ج ٢ ص ٣٤٧ .

(٢) إحياء العلوم ج ٢ ص ٢٧٦ .

بربّك أيها القارئ هل تملك أعصابك وأنت تسمع مثل هذا الكلام يصدر من مثل هذا الشخص؟ . هل كل كتب السير والتاريخ عند المسلمين والتي نصت على صدور هذه الأحداث أمراً و مباشرة من يزيد كلها لا تثبت أفعال يزيد ولا تدينه؟ ! وعنده أنَّ يزيد وأمثاله من قتلة الأنبياء وأبناء الأنبياء من يوفّرون للتوبة؟ ! إنَّ كل وسائل الإثبات لا تثبت إدانة يزيد عند الغزالي ، ولكن يثبت عنده من طيف رءآه أنَّه رأى الله تعالى واجتمع به ووضع يده بيده وحادثه وأفاض عليه من نوره^(١) .

يقول صاحب مفتاح السعادة: إنَّ أبا بكر النساج الحمد الغزالي في قوله وخرج متغير اللون فسألوه عن ذلك فقال : رأيت يداً يمنى خرجت من تجاه القبلة وسمعت منادياً ينادي ضع يد محمد الغزالي في يد سيد المرسلين^(٢) إنَّ أمثال هذه المواقف تثبت بوسائل إثبات من هذا النوع ولكن كتب التاريخ كلها لا تشكل وسيلة إثبات في إدانة يزيد! .. ويصل الأمر إلى رمي آل البيت بالشذوذ فضلاً عن عدم ترتيب الأثر على شتمهم فيقول ابن خلدون في المقدمة : وشدَّ أهل البيت بذاته ابتدعواها وفقه انفردوا به وبنوه على مذهبهم في تناول بعض الصحابة بالقبح وعلى قوفهم بعصمة الأئمة ورفع الخلاف عن أقوالهم وهي كلها أصول واهية .

يقول ذلك ونصب عينيه أحاديث النبي (ص) في أهل بيته كما رواه ابن حجر بصواعقه^(٣) « في كل خلف من أمتي عدول من أهل بيتي ينفون عن هذا الدين تحريف الضالين واتحال المبطلين وتؤول الجاهلين ألا وإنَّ أنتكم وفديكم إلى الله تعالى فانظروا من توافقون » ونصب عينه أيضاً ما قاله النبي (ص) كما رواه الحاكم في المستدرك :

« ومن أحبَّ أن يحيا حيّاً ويموت ميتاً ويدخل الجنة التي وعدني بها ربِّي »

(١) انظر الغدير للأميني ج ١١ ص ١٦١ .

(٢) المصدر السابق نفس الصفحات .

(٣) الصواعق المحرقة لابن حجر ص ١٢٨ .

وهي جنة الخلد فليتولّ علياً وذرته من بعدي فإنه لم يخرجوكم من هرثي ولن يدخلوكم بباب ضلاله^(١) .

ومع ذلك كله فأهل البيت شاذون مبتدعون في نظر الشعوب ابن خلدون إني والله يعلم اذ أورد أمثال هذه المقاطع إنما أريد وضع اليد على الدملة التي أهلتنا التهابها عبر السنين . إن أمثال هذه المواقف إنما تعمق جذور الخلاف فيكون التفسير عنها سليباً أحياناً إن كتاب المسلمين مسؤولون عن شجب هذه المواقف التي رحل واضعواها وبقيت مصادر بلاء على المسلمين . وإن ما يبعث على الإستغراب أن يسكن علماء وكتاب المسلمين على أقوال ابن خلدون وأمثاله مع قيام الأدلة على أن آل محمد هم الإمتداد المضمون لمحمد صلى الله عليه وآله . بالإضافة إلى ذلك كله إن السنن التي تروى عن طريق أهل البيت (ع) لا يعمل بها بينما يعمل بيدع واستحسانات وردت عن طريق غيرهم خذ مثلاً مسألة الأذان الذي حذف منه فقرة حي على خير العمل مع ثبوتها وأنها جزء من الأذان بطرق مختلفة يقول صاحب مبادئ الفقه في هذا الموضوع ما يلي :

كيفية الأذان هي : الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، أشهد أن لا إله إلا الله ، أشهد أن محمداً رسول الله ، أشهد أن محمداً رسول الله ، حي على الصلاة حي على الفلاح ، حي على الفلاح ، الله أكبر ، لا إله إلا الله .

هذا هو الأذان الذي اتفق البصريون والkovfion على كلماته ، وتبعهما الشاميون والمصريون ومذهب الحجازيين والزيدية والمالكية إلى أن كلمة الله أكبر في أول الأذان مرتان لا أربع وعليه عمل أهل المدينة وأماما « الصلاة خير من النوم » فليست من الأذان الشرعي : ففي تيسير الوصول عن مالك أنه بلغه أن المؤذن جاء عمر يؤذنه لصلاة الصبح فوجده نائماً فقال : الصلاة خير من النوم فأمره عمر أن يجعلها في نداء الصبح . ولذلك قال أبو حنيفة : هذه الجملة تزداد بعد إكمال

١٤٨ ص ٣ جـ الحاكم مستدرك

الأذان لأنها ليست من السنة .

أما « حي على خير العمل » نمذاهم العترة أنها بين حي على الفلاح وبين الله أكبر ، « دليلهم في ذلك من كتب السنة ما يلي : روى البيهقي في سنته أنَّ عليَّ ابن الحسين زين العابدين كان يقول إذا قال حي على الفلاح حي على خير العمل ويقول هو الأذان الأول .

وأورد في شرح التجريد مثل هذه الرواية عن ابن أبي شيبة ثم قال : وليس بجواز أن يحمل قوله « هو الأذان الأول » الا على أنه أذان رسول الله صلى الله عليه وأله وسلم ، وزاد رواية أخرى عن ابن عمر : أنه ربما زاد في أذانه حي على خير العمل ، وأورد البيهقي هذه الرواية عن ابن عمر أيضاً .

ونقل ابن الوزير عن المحب الطبراني الشافعي في كتابه إحكام الأحكام ما نصه : ذكر الحيعة بحي على خير العمل عن صدقة بن يسار عن ابن أمامة سهل بن حنيف أنه كان اذا أذن قال : « حي على خير العمل » أخرجه سعيد بن منصور ، وروى ابن حزم في كتاب الإجماع عن ابن عمر : أنه كان يقول « حي على خير العمل » .

وقال علاء الدين مغلطاي الحنفي في كتاب التلويح شرح الجامع الصحيح : أما حي على خير العمل فذكر ابن حزم أنه صح عن عبد الله بن عمر وأبي أمامة سهل بن حنيف أنها كانوا يقولان في أدانها « حي على خير العمل » وكان علي بن الحسين يفعله وذكر سعد الدين التفتازاني في حاشيته على شرح العضدي على مختصر الأصول لابن الحاجب أن حي على خير العمل كان ثابتاً على عهد رسول الله وأن عمر هو الذي أصر أن يكف الناس عن ذلك مخافة أن يبتعد الناس عن الجهاد ويتكلوا على الصلاة .

وقال ابن حميد في توضيحه : وقد ذكر الروياني أن للشافعية قولًا مشهوراً بالقول به ، وقد قال كثير من علماء المالكية وغيرهم من الحنفية والشافعية أن حي على خير العمل كان من ألفاظ الأذان .

قال الزركشي في البحر المحيط : ومنها ما الخلاف فيه موجود كوجوده في غيرها ، وكان ابن عمر عميد أهل المدينة يرى افراد الأذان والقول فيه حيّ على خير العمل^(١) وبعد كل ما ذكرناه وما ورد في هذا الفصل المدعوم بروايات صحيحة في طرق أهل السنة فلماذا يا ترى لا يعمل بما ورد عن آل محمد وبطريقهم من السنن الصحيحة مع أنهم حمال رحمة الله وبيوتهم مهابط وحيه وصدرهم عيبة علم النبي ألا يبعث هذا على الدهشة ؟

في حين نرى من غيرهم أحکاماً لا تلتقي بحال من الأحوال مع المدارك السليمة ومع ذلك يؤخذ بها وتعتبر مدركاً من المدارك فعل ماذا تحمل هذه الأمور إن لم تحمل والعياذ بالله على البعد عن آل محمد وهم عدل الكتاب بنص النبي عليه السلام خذ مثلاً : ما ذهب إليه بعض فقهاء السنة من أن الإنسان إذا ترك الصلاة عمداً لا يجب عليه قضاوها أما إذا تركها نسياناً فيجب عليه قضاوها^(٢) واعتقد أن ذلك يخرج على رأي من يقول ان الكافر لا يكلف بالفروع ، وحيث ان التارك عمداً يمكن ان يكون تركه لها لعدم الإيمان بها أساساً فهو كافر ومهمها يكن فان هذا من الفروع البعيدة عن روح الأحكام الصحيحة .

(١) نقلت هذا الفصل من كتاب مبادئ الفقه لمحمد سعيد العوفي ص ٥٢ طبع دمشق الثالثة ١٩٧٧

(٢) نيل الاوطار للشكاني ط مصر ١٩٥٢ ج ٢ ص ٢٧

الباب الثاني

وفيه فصول

الفصل الأول

فارسية التشيع

هذا موضوع من المواضيع التي كثر الحديث حولها وهي في واقعها تكون جزءاً من محاصرة التشيع كما سبق أن ألمعت لذلك . إنَّ خصوم الشيعة ومنتبعهم من المستشرقين وكل يضرب على وتر يستهدفه ، جعلوا هذه القضية من الأمور المسلمة وضلّل تلامذتهم في ركابهم وحشدوا كل وسائلهم لترسيخها في الأذهان فما تركوا وسيلة لإثبات أنَّ التشيع فارسيٌّ شكلاً ومضموناً إلا وأخذوا بها مع تفاهة هذا المدعى كما سررٍ ومع أنه من قبيل رمتي بدائها وانسللت والغريب أنَّ هذه الفرية تعيش للآن مع وضوح الرؤية وانتشار المعرفة وانكشاف الحقائق وسابحُ هذا الموضوع مفصلاً نظراً لأهميته .

إنَّ التشيع في معناه اللغوي : المناصرة والموالة ، وبالمعنى الإصطلاحي هو الإعتقداد بأفكار معينة يشكل مجموعها مضمون التشيع ، فكيف والحالَة هذه أنْ نتصوّر كون التشيع فارسياً ؟

وحتى نستوعب النقاط المتصورة في هذا الموضوع لا بد من شرح أمور ننتهي معها إلى مقدار ما في هذا الإدعاء من نسبة علمية أو تهريج فلا بد من ذكر أمور :

أولاً : إنَّ المضمون الفكري للتشيع هو نفس المضمون الإسلامي ، وأي مضمون يشذ عن المضمون الإسلامي في العقيدة والأحكام فالشيعة منه براء

بدليل أنَّ مصادر التشريع عند الشيعة هي أربعة أذكرها لك على التوالي :

أ - الكتاب الكريم :

وهو ما أنزل بضمانيه وألفاظه وأسلوبه واعتبر قرآنًا وهو هذا المجموع بين الدفتين المتداول بأيدي المسلمين المزه عن النقص والتحريف والذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه والتواتر بكلماته وحروفه بالتواتر القطعي من عهد النبوة حتى يؤمننا هذا وقد جمع على عهد النبي بوضعه الحالى وكان جبرائيل يعرضه على النبي (ص) كل عام^(١) .

ب - السنة الشرفية :

وهي قول المعصوم و فعله وتقريره الواصلة إلينا بالطريق الصحيح عن الثقات العدول ، والتي لا يتم لنا الوصول إلى ملابسات الأحكام بدونها والتي جاء دليل حجيتها من القرآن الكريم بقوله تعالى :

﴿وَمَا آتاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ، وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ ٧ / الحشر .

ج - الإجماع :

الذي يكشف ضمناً عن قول المعصوم سواء قل المجمعون أم كثروا وسواء كان دليلاً مستقلاً مقابل الكتاب والسنة والعقل أم أنه طريق وحالة عن رأي المعصوم ، وأدلة حجيتها مفصلة في الكتاب والسنة والعقل .

د - دليل العقل :

ويرجع إليه وإلى قواعده عند فقدان النصوص أو تعارض الأدلة في تفصيل لا داعي لشرحه هنا : وملخصه : هو إدراك العقل بما هو عقل للحسن والقبح في بعض الأفعال الملائم لإدراكه تطابق العقلاء عليه وذلك ناتج من تأدب العقل بذلك وبما أنَّ الشارع سيد العقلاء فقد حصل إدراك حكم الشارع قطعاً وليس

(١) الفصول المهمة لشرف الدين ص ١٦٣ ، والبيان للخوئي ص ١٩٧ .

وراء القطع حجة .

ونظراً لأهمية التعرف على تفصيل هذه المصادر فإني أحيل من يريد التوسيع في فهمها واستيعاب معانيها إلى مجموعة من المصادر هي التالية^(١) :

إنَّ هذه المصادر التشريعية هي المكونات العضوية لهيكل الشريعة الإسلامية باتفاق جهور المسلمين على اختلاف بسيط في بعض تفاصيلها ولما كانت هي مصادر التشريع عند الإمامية فما معنى وصف التشيع بالفارسية .

إذا كان الباحثون في التشيع يقصدون من الفارسية مضمون التشيع الفكري . وهذا ما أستبعده فإنه لا يمكن أن يقول به قائل ، إذ لا يتصور أنَّ إنساناً يفترض لأحكام شرعية نوعاً من العرقية ، وعليه فلا بد من استبعاد هذا الفرض من فارسية التشيع والرجوع إلى فرض آخر في هذا الموضوع يفترضها الباحثون .

هناك فرض آخر لتصور فارسية التشيع : هو أنَّ هناك مفاهيم معينة بالحضارة الفارسية انتقلت إلى التشيع بمعناه الإصطلاحي عن طريق من اعتنق التشيع من الفرس ولم يستوعب التشيع كل أبعادهم فجاء من تصور هذه المعتقدات جزءاً من ماهية التشيع . وبقيت هكذا يتداووها خلف عن سلف . وهذا الفرض قد صرَّح به أكثر من باحث كما سأذكره لك بعد قليل . وفيما يخص هذه الصورة وهذا الفرض لا بد من الإشارة لأمور :

تعليق

أـ إنَّ هذا الإشكال بناءً على فرض حدوث مضمونه ، فإنه يرد على المضمون الإسلامي نفسه حيث نص على ذلك معظم من كتب في الحضارة

(١) الأصول العامة للفقه المقارن ص ٢٧٩ حتى ص ٣٠٠ وانظر أصول الفقه للمظفر ج ٣ ص ٣٣٨
قصاصاً وانظر البيان للسيد الخوئي مبحث صياغة القرآن عن التحرير .

الإسلامية وخصوصاً في الفترة الأولى من العهود الإسلامية والتي شكلت مضامين العقيدة فيها جدولًا انصب فيه أكثر من راقد وراقد عن طريق الأمم التي اعتنقت الإسلام جماعات منها ودخلت وهي تحمل أفكارها وعوائدها التي لم تخلص منها وظهرت في الأفكار والسلوك كجماعات الروم والفرس والصينيين والعربين ولعل اليهود أكثر الجماعات تأثيراً في الحضارة الإسلامية حيث تبدو روحهم واضحة في هذه الميادين . وذلك لأنهم استأثروا بالتفسير وبالقصص الديني لأنهم أهل كتاب وفيهم كثير من الأخبار الذين يحفظون أحكام التوراة وقصص الأمم التي حفظتها الحضارة العبرية والأساطير التي رافقت تلك القصص ، ولما كانت الجزيرة العربية فقيرة إلى الأفكار الدينية والمضامين الثقافية لعب الفكر اليهودي دوراً هاماً فيملء هذا الفراغ وخصوصاً في الفكر السفي الذي حاول أن يتخلص من هذا الرداء وينخلع عن الشيعة عن طريق الشخصية الوهيمية عبد الله بن سبأ كما سبّرها لك على وهمة هذه الشخصية قريباً . ولكن حقائق الأمور والبحث الدقيق يثبت عكس ما ادعاه هؤلاء القوم وما نسبوه للشيعة .

أجل إن آراء اليهود انتقلت إلى الفكر الإسلامي عن طريق كعب الأخبار ووهد بن منبه وعبد الله بن سلام وغيرهم وأخذت مكانها في كتب التفسير والحديث والتاريخ وتركت بصماتها على كثير من بنود الشريعة . إن بوسع أي باحث الوقوف على ذلك في كتب كثيرة مثل تاريخ الطبرى ، وتفسيره جامع البيان ، وفي كتاب البخارى وغيرها من المؤلفات مما سنشير إلى مصادره عند ذكره . وستجد فصلاً ممتعاً في تعليل العداوة بين الإنسان والحياة يذكره الطبرى في تفسيره بسنده عن وهب بن منبه وذلك عند تفسيره للآلية السادسة والثلاثين من سورة البقرة وهي قوله تعالى : ﴿قُلْنَا اهْبَطُوا مِنْهَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ الخ ، يقول الطبرى وأحسب أن الحرب التي بيننا - أي نحن والحيات - كان أصله ما ذكره علماؤنا الذين قدمنا الرواية عنهم في إدخالهن - يعني الحياة - إبليس الجنة بعد أن أخرج الله منها ، ويستمر في سرد أفكار عجيبة يستحسن أن يقرأها من

يريد الفائدة من تفسيره^(١) ويقول الطبرى فى تاریخه عند شرح الذبح العظيم
الذى فدى به إبراهيم ولده إسماعيل بأمر الله تعالى :

ان الكبش الذى ذبحه إبراهيم هو الكبش الذى قربه ابن آدم فتقبل
منه^(٢).

وينقل في تاریخه قصصاً تلمس عليها الروح اليهودي واضحاً ومن ذلك ما ذكره فقال : تزوج اسحق امرأة فحملت بغلامين في بطن واحد فلما أرادت أن تضعهما اقتل الغلامان في بطنها فأراد يعقوب أن يخرج قبل عيسى فقال عيسى والله لئن خرجت قبلي لأعترضن في بطن أمي ولا قتلنها فتأخر يعقوب وخرج عيسى قبله وأخذ يعقوب بعقبه فسمى عيسى لآنه عصى وسمى يعقوب يعقوبا لأنه خرج بعقب عيسى ، وكبر الغلامان وكان عيسى أحلى أبيه ويعقوب أحلى إلى أمه وكان عيسى صاحب صيد فلما عمي إسحق قال لعيسى أطعمني لحم صيد واقترب مني حتى أدعوك ، وكان عيسى أشعر - أي كثير الشعر - ويعقوب أجرد فخرج عيسى يتصيد وقالت أمه لا إسحق إذبح كيشا ثم اشوه والبس جلده وقدمه لأبيك كي يدعوك فلما مسه قال من أنت ؟ قال : عيسى ، فقال : المس من عيسى والريح ريح يعقوب فقالت أمه : هو ابنك عيسى فادعوه الخ^(٣) ولست أدرى كيف كان يعقوب لا يعرف أصوات أولاده وكيف تطلب الأم البركة من دعوات إسحق وهي تكذب وكيف يكذب أبناؤها وأي بيت نبي هذا البيت الذي يكون أعضاؤه من هذا النوع ، ثم أي اسم مشتق مثل يعقوب أو إسحق أو عيسى لا يصلح لأن يشتق منه أمثال هذه الخزعبلات وهذا المراء والسفه .

وأما الإمام البخاري فإنك تلمس الروح الإسرائيلي في كثير من روایاته

(١) تفسير الطبرى . ج ١ ص ٢٣٤ .

(٢) تاريخ الطبرى ج ١ ص ١٤٢ . وإذا كان يمكن لکبش أن يعيش هذه المدة الطويلة كما هو في الفكر السنى فلماذا يستكثر علينا اذا قلنا أن شخصاً عاش منذ ألف ومائة سنة تقريباً للآن ولا يستكثر على من يفرض أن کيشا عاش آلفاً مؤلفة من السنين .

(٣) تاريخ الطبرى ج ١ ص ١٦٤ .

واليك خادج من تلك الروايات التي يتضح فيها هذا الروح :

يقول البخاري بسنده عن أبي هريرة : ما من بني آدم مولود يولد إلا يسه الشيطان حين يولد فيستهل صارخاً من مس الشيطان غير مريرم وبابها^(١) وما أدرى إذا كان هذا فضيلة فلم حرم منها نبينا (ص) وهو سيد الأنبياء وإذا لم يكن ذلك فضيلة فيها قيمة ذكرها ، وما ذنب الأنبياء الباقيين يسمهم الشيطان .

ويقول البخاري بسنده عن عائشة أم المؤمنين : إنَّ النَّبِيَّ (ص) سحر حتى كان يخيل إليه أنه كان يفعل الشيء ولا يفعله^(٢) .

ويروي البخاري قصة موسى حين نزل إليه ملك الموت لقبض روحه فصكَّه موسى على عينيه حتى فقاما إلى أن قال : قال الله تعالى ملوك الموت ارجع إليه وقل له ليضع يده على جلد ثور فله بكل شعرة عطتها يده عمر سنة الخ^(٣) .

وفي الواقع إنَّ هذه العملية طريقة فإنَّ الشُّعر الذي يغطيه الكف ربما يصل إلى خمسة آلاف شعرة ، وعمر نببي الله موسى معروف فإما أن نكذب الرواية أو نكذب التاريخ .

وذكر البخاري بسنده عن أم المؤمنين عائشة أنَّ النبي (ص) مكث كذا وكذا يخيل إليه أنه يأتي أهله ولا يأتي إلى أن قال لي : يا عائشة إنَّ الله أفتاني في أمر استغاثتي فيه أتاني رجلان فجلس أحدهما عند رأسي والآخر عند رجلي فقال الذي عند رجلي للآخر ما بال الرجل ؟ قال : مطرب - أي مسحور - قال : ومن طبه ؟ قال : لبيد بن أعصم الخ إلى أن ذهب عنه أثر السحر بعد مدة^(٤) .

ومعنى هذه الرواية أنَّ النبي (ص) أصيب بفقدان الذاكرة أو بالفصام وما أدرى ما هو حال الوحي خلال هذه المدة فإذا جاز أن يصاب النبي بمثل هذا

(١) البخاري ج٤ ص ١٦٤ .

(٢) البخاري ج٤ ص ١٢٢ .

(٣) البخاري ج٤ ص ١٥٧ .

(٤) البخاري ج٨ ص ١٨ .

المرض فيما هو مقدار الثقة بالوحي وعلى كل تبقى مسؤولية الرواية على عاتق أم المؤمنين والبخاري ، ولقد حفل كتاب البخاري بمثل هذا اللون من الفكر اليهودي وذلك من قبيل ما ذكره في كتاب الإستذان باب بدء السلام قال :

بإسناده عن أبي هريرة عن النبي (ص) خلق الله آدم على صورته - الضمير يعود لله تعالى إذ لا معنى لعوده لآدم قبل أن يخلق آدم وتعرف صورته - طوله ستون ذراعاً فلما خلقه قال : إذهب فسلم على أولئك النفر من الملائكة جلوس فاستمع ما يجيئونك فإنها تحبّك وتحبّة ذريتك فقال : السلام عليكم فقالوا : السلام عليك ورحمة الله فزادوه ورحمة الله فكل من يدخل الجنة على صورة آدم فلم يزل الخلق ينقصون حتى الآن^(١) إلى أمثال ذلك من هذه الروايات العبرية ، ومع هذا اللون من الفكر الغريب عن روح الإسلام للزومه التجسيم والهرطقة فيما وجدنا من ينجز حلة هذا الفكر بالخروج عن الإسلام أو باليهودية لنقلهم هذا الفكر الإسرائيلي إلى الإسلام أما إذا قدر أن شخصاً تشيع وحمل معه شيئاً من أفكاره للتشيع تحول التشيع فوراً إلى يهودية أو نصرانية مع أن تبعة كل فكر تقع على حامله وقد أسلفنا أن كل ما ينافي الإسلام يأبه التشيع جملة وتفصيلاً .

وعلى تقدير أن هناك مجموعة من الأفكار نقلها الفرس الذين تشيّعوا معهم للتفكير الشيعي : كالقول بالحق الإلهي الذي يقول به الفرس بالنسبة لملوكهم ويقول به الشيعة بالنسبة لأنتمهم - مع وجود فوارق بين الأمرين - وحتى أي مفهوم يحصل به التقاء بين الفكرتين كما يصوّره البعض فإن ذلك لا يوجد قدحاً في العقيدة ما دامت الأصول التي يتحقق معها عنوان الإسلام محفوظة عند الشيعة بحيث إذا وجدت كان الإنسان مسلماً باعتناقها ونحن نعلم أنّ الأصول التي تحدد إسلام المسلم هي ما حدده النبي نفسه كما في صحيح البخاري عن أنس قال : قال رسول الله (ص) : من صلّى صلاتنا واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا فذلك المسلم الذي له ذمة الله ورسوله فلا تخفروا الله في ذمته ، كما أخرج البخاري عن

(١) البخاري جـ ٨ صـ ٥٠ .

عليه (ع) ، أنه سأله النبي (ص) يوم خيبر على ماذا أقاتل الناس ؟ فقال (ص) : قاتلهم حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فإذا فعلوا ذلك فقد منعوا منك دماءهم^(١) .

وقال الإمام جعفر بن محمد الصادق (ع) : الإسلام شهادة أن لا إله إلا الله والتصديق برسول الله به حقت الدماء وعليه جرت المناجح والمواريث وعلى ظاهره جماعة الناس^(٢) فصفة الإسلام ثابتة لمن قال بالشهادتين . سواء اعتقد أن الإمامة نص من الله تعالى فهي حق إلهي ، أو بالشوري فهي حق للجماعة يضعونه حيث تتوفر المؤهلات ، وحتى لو لم يكن لعتقد الإمامة بالنص شبهة من دليل بل لو ذهب إلى أبعد من ذلك فابتدع وكان من أهل البدع فإن علماء المسلمين لا ينزوونه ولا يكفروننه . فقد عقد ابن حزم فصلاً مطولاً في كتابه الفصل في باب من يكفر أو لا يكفر وقد قال في ذلك الفصل : ذهبت طائفة إلى أنه لا يكفر ولا يفسق مسلم يقول قاله في اعتقاد أو فعل ، وأن كل من اجتهد في شيء من ذلك فدان بما رأى أنه الحق فإنه مأجور على كل حال إن أصاب فأجران وإن أخطأ فأجر واحد وهذا قول ابن أبي ليلى وأبي حنيفة والشافعي وسفيان الثوري وداود بن علي وهو قول كل من عرفنا له قوله في هذه المسألة من الصحابة لا نعلم خلافاً في ذلك أصلأ^(٣) .

ويروي أحد بن زاهر السرخسي وهو من أصحاب الإمام أبي الحسن الأشعري وقد توفي الأشعري بداره وقال : أمرني الأشعري بجمع أصحابه فجمعتهم له فقال اشهدوا عليَّ أنِّي لا أكُفُّ أحداً من أهل القبلة بذنب لأنِّي رأيتهم كلهم يشيرون إلى معبد واحد والإسلام يشملهم ويعمهم^(٤) .

وبعد ذلك كله فيما هو وجده ربط التشيع باليهودية لأنَّ فيه أفكاراً فارسية أو

(١) انظر صحيح مسلم جـ ٢ باب فضائل علي ، والبخاري جـ ٣ باب غزوة خيبر .

(٢) الفصول المهمة لشرف الدين ص ١٨ .

(٣) الفصل لابن حزم جـ ٣ ص ٢٤٧ .

(٤) الفصول المهمة لشرف الدين ص ٣٢ .

نعته بأنه أثر فارسي إذا كان هناك بضعة أفكار نقلها معه بعض من أسلم منهم ودان بها وهي لا تتعدي رأياً أخذ به بشبهه من دليل أو حتى ببدعة كما مر عليك وقد عرفت آراء العلماء في ذلك .

إن هذا التهور على المسلمين والتهريج عليهم من خطل الرأي وسنقفك عن قريب على مصادر ما ذهب إليه الشيعة من الكتاب والسنة وإن حسبه البعض أنه اقتباس من الفرس أما لقلة اطلاع أو لسوء قصد والله من وراء القصد .

جـ - إن هذه الدعوى المقلوبة وهي فارسية التشيع سنقفك قريباً على إثبات عكسها وأقول على فرض صحتها فما هو البأس في ذلك إذا كان الفارسي سلماً ونحن نتكلم بلغة الإسلام طبعاً وشعارنا (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إنَّ أكرمكم عند الله أتقاكم) /١٣ الحجرات .

فلماذا هذا الموقف وكيف ينسجم مع روح الإسلام ولو كنا نتكلم من منطلق قومي فإنَّ لغة أخرى ستكون لنا حيثُنَا ولا يكون لنا أيَّ مناقشة مع المتكلم بها هذا مع أنَّ العقل والمنطق القومي السليم يحتم احترام القوميات الأخرى إذا أراد احترام قوميته وما أروع كلمة الإمام الصادق (ع) في هذا المقام إذ يقول :

ليس من العصبية أن تحب قومك ولكن من العصبية أن تجعل شرار قومك خيراً من خيار غيرهم ، إنَّ لغة الإسلام لا تفرق بين جنس وجنس فلا يعتبر مسلماً من يتكلم بهذه اللغة ، أما إذا كان له دوافع وراء هذه اللغة غير إسلامية فلا تخفي على القارئ الفطن إنَّ من يعتبر الناس مغفلين هو المغفل الأكبر وسوى عن قريب الدوافع من وراء هذه المزاعم .

هناك فرض آخر في تصور فارسية التشيع وهو أنَّ كل أو غالبية الشيعة فرس وقد طفت أفكارهم الفارسية على التشيع حتى غطته وربما أدت إلى الإصطدام مع الشريعة الإسلامية لخلافة تلك العقائد للإسلام هذا الفرض صرح به بعضهم

كما ستقرأ مع ما نعرضه من آراء في هذا الموضوع - وسترى أنَّ هذا الرأي باطل ويعلم بطلان ذلك كل من له إلمام بتاريخ المسلمين وعقائدهم وبطلانه للأسباب التالية :

أ - إنَّ عقائد الشيعة تحفل بها مئات الكتب والمراجع وهي ميسورة تحت أيدي الباحثين والكتاب في كل مكتبات العالم ، وإنَّ عقائد الشيعة مصدرها الكتاب والسنة وفقه الشيعة مصدره الكتاب والسنة والإجماع والعقل كما مر علينا وأشارنا إلى الكتب التي تشرح ذلك مفصلاً ونضيف إليها كتاب أوائل المقالات للشيخ المفيد وعقائد الصدوق والدرر والغرر للسيد المرتضى وأعيان الشيعة للسيد محسن الأمين ، ومن كتب الأخبار والأحاديث الكتب الأربع وهي الأصول المعتمدة عند الشيعة بالجملة وهي من لا يحضره الفقيه للصدوق ، والكافي أصولاً وفروعاً لمحمد بن يعقوب الكليني والتذهيب والإستبار للشيخ الطوسي ، مع ملاحظة أنَّ ليس كل ما فيها معتمداً عندنا ولكل رواية حساب ولذلك قلت إنَّها معتمدة بالجملة وقد تعرضت كتب التقريرات لنقد كثير من مصادمين الكتب المذكورة .

ب - إنَّ الفرس لا يكونون إلا جزءاً قليلاً من ناحية الكم الشيعي فالتشيع منتشر عند العرب والهنود والترك والأفغان والكرد والصينيين والتبتين والخ ويشكل الفرس جزءاً من الشيعة ليس كما يصوره البعض عن سوء فهم أو سوء نية .

ج - إنَّ بدء التشيع نشأ في مهد العرب في الجزيرة العربية وإنَّ الرواد الأوائل للتشيع يشكلون مؤسراً واضحاً في ذلك ، وما كان من غير العرب في الرواد الأوائل من الشيعة على واحداً هو سلمان المحمدي كما سماه النبي (ص) وكان فارسياً . وقد ذكرنا الطبقة الأولى من الشيعة الذين تتوزع شائرتهم على مختلف البطون والقبائل العربية ، وأنت إذا تبعطت الطبقة الثانية والثالثة من الشيعة فسوف تجدتهم عرباً في الأعم الأغلب ولا أريد الإطالة في هذا المورد

فلذلك مكانه من كتب السير والترجم ، وسيرد في نهاية هذا الفصل ما يثبت دعوانا من آراء الباحثين والمتقين .

ومع ما أسلفناه من كلام فما هو وجه نسبة التشيع للفارسية والذي أصبح يرسل عند بعضهم إرسال المسلمين كأنه من الأمور المفروغ منها . ولأجل أن نستوعب الموضوع سنضطر إلى الخوض في جوانب متنوعة ونستعرض آراء كثيرة وما ببرت به هذه الآراء صحة هذه النسبة للتشيع وهي لا تختلف في مستواها من العلم عن أصل صحة هذه النسبة ولا أشك أنك ستضحك كثيراً عندما تقرأ هذه الأسباب وياخذك العجب كيف أن مثل هؤلاء الباحثين وهم على متزلة من العلم والتحقيق لا يستهان بها : يقتعنون بوجاهة هذه الأسباب فضلاً عن أنهم يسوقونها لإقناع غيرهم لولا الهوى والعصبية أعادنا الله تعالى وإياك منها ، ولو لا الأسر الذي يقع فيه من نشاء على عقيدة ولا يسمح للضوء أن يسلط على عقيدته ومسيقاته حتى يرى منها ما كان ناتجاً من مجرد تقليد أعمى ويصطدم بالمقاييس الصحيحة فينبذه وما كان على أرض صلبة ويلشم مع قواعد الشرع فيتمسك به .

الفصل الثاني

أقوال الباحثين في فارسية التشيع

إن نسبة التشيع إلى الفارسية نشأت في عصور متأخرة ولأسباب وظروف سياسية خاصة أهمها : أن الفرس لما كانوا ولأسباب سنشرحها غير مرغوبين من قبل العرب ولما كان الشيعة فئة معارضة للحكم طيلة العهود الثلاثة الصدر الأول والأموي والعباسي ، وكوجه من وجوه محاصرة التشيع أرادوا رمي التشيع بما هو مكرر عن العرب وهذه الدعوى هي واحدة من مجموعة دعوى سترد علينا ولا تتعدي هذا الهدف بل هي جزء من المخطط . أما الأسباب التي أدت إلى النفرة بين القوميتين العربية والفارسية فهي :

١ - أن الفرس ما كانوا يفرقون بين الإسلام والعروبة وحيث أن الإسلام قضى على دولتهم واجتاحتهم فإنهم بعد إسلامهم كانوا ينزعون لاسترداد مجدهم بأسلوبين أحدهما سليم إيجابي والآخر سلبي حتى إذا جاء دور الأمويين استعان الحكام بهم لتنظيم شؤون الدولة نظراً لخلفيتهم الحضارية وللاستعانة بهم أحياناً لدعم جناح مقابل جناح ، ولاستيلاء جماعة منهم على مناصب هامة في العهدين مما مكنتهم من فرض نفوذهم كل ذلك أدى إلى احتكاك شديد بين العرب والفرس ، إذ رأى العرب أنهم حملة الإسلام والسبب في هداية الأمم وهم العمد الذي قام الإسلام عليه فلماذا يزاحمهم غيرهم ، ويقدم عليهم ويلمع نجمه ويحتل مناصب كبيرة ، ورأى الفرس أنهم أبناء حضارة عريقة وأنهم أكثر علمًا ودرأية بسياسة العرب وإدارة شؤون الحكم فلماذا يقدم عليهم من لا يملك هذه

المؤهلات . فلأن ذلك كله للإحتكاك ونجمت عنه ظاهرة الشعوبية وترك خزيناً كبيراً من الحقد في تاريخ القوميين كما أدى إلى مواقف سلبية متبدلة .

٢ - أن فتح هذه الثغرة التي دخل منها الفرس أدى إلى دخول عناصر غير عربية أخرى مثل الترك وغيرهم مما كان له بعد ذلك آثاره السلبية الفظيعة وقد عصب كسر النطاق هذا بالفرس لأنهم أول من فتح هذا الباب وأدى إلى تدمير الخلافة بعد ذلك .

٣ - لعب الإستعمار دوراً بارزاً فيما خلقه من الفسخ بالأبواق التي يحسن صنعها وذلك لتحقيق مصالحه عن طريق فتح أمثل هذه الفجوات واحتراق خصائص للجنسين زعم أنها تصطدم مع بعضها وآراء لا تتفاوت وتتأثر بهذه الآراء فريق من هؤلاء وفريق من هؤلاء من عاش على موائد المستشرقين ولم يتقطن إلى أهدافهم وغررّه الصبغة العلمية الظاهرة في أمثال هذه المزاعم فنسج على منوال هؤلاء وكان صدّي لهم وسلاماً بآيدي هؤلاء لضرب أبناء دينه ولعدم عقيدته حتى خلقت من ذلك تركة كبيرة تحتاج إلى جهد كبير لإزالة هذا التراكم .

إنّ أسباب الكره استغلت ليتنزع منها كما ذكرت سبيلاً من الأسباب التي تغضّ التشيع وتنفر النّفوس منه . ولذلك لا نرى هذه التّهمة عند أوائل السنة وأسلافهم فيما قدّموه من قوائم الأسباب التي ينعت بها التشيع لأنّ أسبابها لم تكن قائمة آنذاك .

ومن الغريب أن الألسن السليطة التي تشتم الشيعة هي السنة السنة الفرس كما سيرد ذلك قريباً .

إن أصحاب الغرض الأصلي في الضرب على هذا الوتر كثيرون ومن أكثرهم حاسماً في ذلك المستشرقون وتلاميذهم حيث يستهدف المستشرقون مصالح لا تخفي ويضرب تلاميذهم على نفس الطبلول ولختلف الغايات والأهداف وبالإضافة إلى من يهتز على هذا الإيقاع وإليك آراء بعضهم :

١ - المستشرق دوزي :

لقد قرر المستشرق دوزي أنَّ أصل المذهب الشيعي نزعة فارسية وذلك لأنَّ العرب تدين بالحرية والفرس تدين بالملك والوراثة ولا يعرفون معنى الانتخاب ولما كان النبي (ص) قد انتقل إلى الرفيق الأعلى ولم يترك ولداً فعليَّ أولى بالخلافة من بعده^(١).

٢ - المستشرق فان فلوتن :

ذهب هذا المستشرق إلى نفس الرأي في كتابه السيادة العربية ولكنَّه رجع أخذ الشيعة من آراء اليهود أكثر من أخذهم من رأي الفرس ومبادئهم^(٢).

٣ - المستشرق براون :

قال إنَّه لم تعتنق نظرية الحق الإلهي بقوة كما اعتنقت في فارس وملح إلى أخذ الشيعة منهم^(٣).

٤ - المستشرق ولهوزن :

إنَّ هذا المستشرق أشار إلى فارسية قسم كبير من الشيعة ضمناً حيث ذكر أنَّ أكثر من نصف سكان الكوفة من الموالي ولما كان معظمهم شيعة فقسم كبير منهم من الفرس^(٤).

٥ - المستشرق بروكلمان :

الذى يقول وحزب الشيعة الذى أصبح فيما بعد ملتقى جميع التزععات المناوئة للعرب واليوم لا يزال ضريح الحسين في كربلاً أقدس محجة عند الشيعة وبخاصة الفرس الذين ما برحوا يعتبرون الثواب الأخير في جواره غاية ما يطمعون

(١) تاريخ المذاهب الإسلامية لأبي زمرة ج ١ ص ٤١.

(٢) نفس المصدر السابق والصفحة .

(٣) فجر الإسلام ص ١١١ .

(٤) فجر الإسلام ص ٩٢ .

فيه^(١) . وبالجملة فإنَّ مراجعة أي بحث للمستشرقين في هذا الموضوع يظهر منه أنَّ كثيراً منهم يذهبون إلى هذا الرأي ولأسباب لا تخفي .

وقد ربطوا بفارسية التشيع أثراً آخر يكون بمثابة التبيبة للسبب وذلك الأثر هو أنه لما كان أكثر الفرس شيعة وكانتوا يسمون بالموالي وحيث أنَّهم يرون أنَّ العرب انتزعوا دولتهم منهم ولما كانت الدولة الأموية يتجسد فيها المظهر العربي فقد زحف عليها الموالي وأسقطوها وأعلنوا بدلها دولة العباسين التي دعمت الفرس والتي زحف معها وبالتالي الفكر الشيعي فتغلغل أيام العباسين ، وأنت واحد هذه الأفكار عند معظم من كتب في العصور الإسلامية خصوصاً الكتاب المصريين ويتلخص من هذه المقطفه ثلاثة أمور :

١ - تصوير الزحف الذي جاء من خراسان للقضاء على الدولة الأموية بأنه زحف دوافعه قومية وليس دوافع اجتماعية أو إنسانية وقد اجتمعت فيه أكثر من قومية واحدة وبذلك يطمس الهدف الاجتماعي الذي كان من وراء تلك الحملة .

٢ - أنَّ العنصر الرئيسي في الحملة والفاعل هم الفرس وبذلك تكون الحملة إنتقامية تستهدف إعادة مجدهم الذي قضى عليه العرب ، وبذلك يطمس الدور الرئيسي الذي قام به العرب في الحملة وتولوا فيه القيادة .

٣ أنَّ الفكر الشيعي زحف بزحف هؤلاء وانتصر في العهد العاسي ؛ إنَّ كل هذه الأمور غير مسلم بها ولم تقم على الواقع بل هي تغطية في محاولة مكشوفة .

(١) تاريخ الشعوب الإسلامية ص ١٢٨ .

تعقيب على الأقوال

أما الزعم الأول :

فيبيطه أنَّ القادة الذين قادوا الحملة إنما قادوها لتخلص الناس من جور الأمويين وربما كان أي قارئ أن يستبين الحقيقة باستقراء أحوال الحكم الأموي الذي سايره الجور والظلم من أيامه الأولى حتى سقط أيام مروان بن محمد آخر حكام الأمويين ومن الخطأ أن تورد شاهداً أو شاهدين للتدليل على ذلك محاولة إيضاح الظلم والجور فإن كل أيامهم كانت مليئة بالظلم والجور وإنْ لأحيل القارئ إلى تتبع التاريخ من أيام معاوية الأول حتى نهاية الدولة وفي كتب كل المسلمين لا الشيعة وحدهم فربما يقال إنَّ الشيعة خصوم الأمويين وهم يعتقدون عليهم وهذه كتب الطبرى وابن الأثير وابن كثير وابن خلدون وما شئت فخذ لترى إلى أين وصلت الحالة حتى بلغ الأمر حدَّ يوجزه أحد الشعراء بقوله :

واحربا يا آل حرب منكم يا آل حرب منكم واحربا
منكم وفيكم وإليكم وبكم ما لو شرحتنا فضحنا الكتبـا

وأما الزعم الثاني :

فيبيطه أنَّ قادة الحملة ووجوهها هم العرب وقد أفضى في ذلك الجاحظ برسالته المسماة مناقب الأتراك ، وقد ذكر من قادة الحملة ، قحطبة بن شبيب الطائي ، وسلامان بن كثير الخزاعي ، ومالك بن الهيثم الخزاعي ، وخالد بن إبراهيم الذهلي ، ولاهز بن طريف المزنى ، وموسى بن كعب المزنى ، والقاسم ابن مجاشع المزنى ، كما نص المؤرخون على أسماء القبائل العربية التي كانت مقيمة في خراسان والتي كانت الزحف في معظمها وهم خزاعة وتميم ، وطي ، وربعة ، ومزينة وغيرها من القبائل العربية وللتتوسيع في معرفة أسماء القادة والقبائل العربية التي جاءت في الحملة للقضاء على الحكم الأموي يراجع كتاب ابن الفوطي مؤرخ العراق لمحمد رضا الشبيبي فقد توسع في إيراد النصوص التاريخية من

أمهات الكتب وشرح أهداف الحملة ونوعية الجيش والأقطاب الذين اشتركوا بالحملة وبالحملة بكل ملابسات الموضوع^(١).

والشق الثاني الوارد في الرعم وهو أن العناصر غير العربية أرادت الإنقاص لأنها كانت محرومة من الإشتراك بالمناصب فهو بالجملة غير صحيح لأن كثيراً من العناصر الأجنبية والموالي شغلوا مناصب كبيرة في العهد الأموي على امتداد هذا العهد ولم يكن وضعهم أيام العباسين مختلفاً كثيراً عن وضعهم أيام الأمويين وقد أشار لذلك الدكتور أحد أمين بقوله : فسلطة العنصر الفارسي كانت تنمو في الحكم الأموي وعلى الأخص في آخره ولو لم يتع لها فرصة الدولة العباسية لأتاحت فرص أخرى مختلفة الأشكال^(٢).

لقد تولى جماعة من غير العرب مناصب هامة ومنهم سرجون بن منصور كان مستشاراً لمعاوية ورئيس ديوان الرسائل ورئيس ديوان الخراج ، ومرداس مولى زياد كان رئيس ديوان الرسائل ، وزادا نفروخ كان رئيس ديوان خراج العراق ، ومحمد بن يزيد مولى الأنصار كان والياً على مصر من قبل عمر بن عبد العزيز ، ويزيد بن مسلم مولى ثقيف كان والياً على مصر ، وكان منهم القضاة والولاة ورؤساء دواوين الخراج وقد تغلغلوا في أبعد الدولة وشعبها بصورة واسعة^(٣).

هذا من ناحية ومن ناحية أخرى إن وضع العرب لم يكن يستثير باهتمام الأمويين إلا بقدر ما يحقق مصالح الأمويين أنفسهم فإذا اقتضت مصالحهم أن يضربوا العرب بعضهم بعض فعملوا كما حدث ذلك أكثر من مرة في حكم الأمويين فراجع^(٤). وقد تعرض الدكتور أحد أمين إلى ذلك وشرحه مفصلاً وبين كيف كان العرب يضرب بعضهم بعضاً إذا اقتضى الأمر ذلك فراجع^(٥).

(١) مؤرخ العراق ابن الفوطي ج ١ ص ٣٧٣٦ .

(٢) ضحي الإسلام ج ٣ ص ٣ .

(٣) راجع الإمام الصادق لأسد حيدر ج ١ ص ٣٤٤ .

(٤) مروج الذهب ج ٢

(٥) ضحي الإسلام ج ١ ص ٢٠ .

وأما الزعم الثالث :

وهو انتشار الفكر الشيعي عن طريق الموالي وتعاظم نفوذهم وامتداده تبعاً لذلك فيكتبه أنَّ هذا المضمون بجملته غير صحيح فقد نكب الفرس أيام العباسين وضرب نفوذهم أكثر من مرة ، ومن أمثلة ذلك القضاء على أبي مسلم وأتباعه أيام المنصور والقضاء على البرامكة أيام الرشيد ، والقضاء على آل سهل أيام المؤمن وهكذا ، يبقى أنَّ الموالي لعوا في ميادين أخرى فذلك صحيح بالجملة ، وتصور نفوذ الفرس إغاثة العباسين وإنما ضمن دائرة نفوذهم وهي كماترى لا تثبت للفرس والموالي نفوذاً خارج دائرة العباسين وإنما ضمن دائرة نفوذهم بحيث يستطيعون احتواهـم في أي وقت . أما الفترة التي تبدأ من عصر المتوكـل حتى نهاية الحكم العباسي فإنَّ الحكم العباسي ضعف نفوذه حتى انقض عليه حكم الأطراف . ولا يعني ذلك استثناء نفوذ الفرس فقط بل هو شأن الكيان الضعيف الذي ينهشه كل طامع . إنَّ العوامل التي أدت إلى ضعف الحكم العباسي أشعـها الباحثون بالتفصـيل .

إنَّ تصوير نفوذ الفرس بالشكل الذي أورده بعضـهم ونفوذ الموالي مبالغـ فيه غالـية المبالغـة فإذا كانت الشعوبـية قد وجدت أيام العباسين فإنـها امتدـاد لنـزعة الشعوبـية منذ أيام الأمـيين وإذا كان للفرس نفوـذـ لم يصلـ إلى الحـدـ الذي يتـنزـعـ نفوـذـ العـربـ ، بلـ كانـ ذلكـ النـفوـذـ مـلـحوـظـاًـ منـ قـبـلـ الدـولـةـ وـمـسـمـوـحاًـ بـهـ لأـهـدافـ كـثـيرـةـ استـهـدـفـهاـ العـبـاسـيـونـ منـ السـماـحـ بـذـلـكـ .

يقول فلهوزن عن نفوذ الفرس في العصر العباسي : أما أنَّ النفوـذـ الفارسيـ كانـ هوـ الـراـجـعـ فهوـ أمرـ غيرـ مؤـكـدـ⁽¹⁾ .

أما الشق الثاني من هذا الزعم وهو تنفس التشـيـعـ أيام العـبـاسـيـنـ فهوـ غيرـ صـحـيحـ بلـ العـكـسـ هوـ الصـحـيـعـ فإنـ العـبـاسـيـنـ أولـعواـ بدـمـ الشـيـعـةـ وأـئـمـتـهـمـ

(1) الزندقة والشعوبـية لـسمـيرةـ الليـثـيـ صـ81ـ .

وتعرض التشيع في مختلف أدوارهم إلى محن وخطوب مروعة عدى فترات بسيطة مرت مرور الغمام كما هو الحال في فترة البوهين وبالجملة إنَّ كتب التاريخ قد حفظت لنا صوراً مروعة من تعرض الشيعة للإبادة أيام العباسين وبواسع القاريء الرجوع إلى أي كتاب من كتب التاريخ الرئيسية ليرى ذلك واضحاً .

وبعد هذا التعقيب البسيط على هذه المزاعم : أعود إلى تلاميذ المستشرقين الذين نسجوا على منوال أساتذتهم فقلدوهم في هذا الزعم وهو فارسية التشيع ومنهم :

١ - الدكتور أحمد أمين :

يذهب الدكتور أحمد أمين إلى استيلاء الفكر الفارسي على التشيع برغم قدم التشيع على دخول الفرس فيه وذلك لأنَّ أكثر الشيعة فرس - على زعمه - فغلبت نزعاتهم على التشيع وصبغته بالفارسية ولنستمع إلى قوله حرفاً :

(والذى أرى كما يدللنا التاريخ أنَّ التشيع لعلَّه بدأ قبل دخول الفرس في الإسلام ولكن بمعنى ساذج ولكنَّ هذا التشيع أخذ صبغة جديدة بدخول العناصر الأخرى في الإسلام وحيث أنَّ أكبر عنصر دخل بالإسلام الفرس فلهم أكبر الأثر بالتشيع^(١) .

ويقول في مورد آخر : فنظرية الشيعة في عليٍ وأبنائه هي نظرة آبائهم الأولين من الملوك الساسانيين ، وثنوية الفرس كانوا منبعاً يستقى منه الرافضة في الإسلام فحرك ذلك المعزلة لدفع حجج الرافضة^(٢) .

إنَّ أطلب من القاريء هنا التأمل في هذه اللهجة الحادة التي يفتح منها الشر والنار حتى يعرف مدى موضوعية أحمد أمين ونظرياته ، وقد دأب أحمد أمين على اجتياز هذه الفكرة وترتيب الآثار عليها كما يظهر ذلك واضحاً في كل

(١) فجر الإسلام ص ٢٧٦ .

(٢) فجر الإسلام ص ١١١ .

مؤلفاته ، إن التركيبة التي تكون منها أحد أمين هي الحقد والكراهية للشيعة ، زائداً تقليل المستشرقين فيها يقولونه عنهم .

٢ - محمد أبو زهرة :

يذهب الشيخ محمد أبو زهرة إلى نفس رأي أحد أمين ويضيف له : إن أكثر الشيعة الأوائل فرس ولنستمع إلى ما يقوله في هذا الموضوع وهو يستعرض آراء المستشرقين ويعقب عليها قال : وفي الحق أنا نعتقد أن الشيعة قد تأثروا بالأفكار الفارسية حول الملك ووراثته ويزكي هذا أن أكثر أهل فارس إلى الآن من الشيعة وأن الشيعة الأولين كانوا من أهل فارس ^(١) ورحم الله أبي الطيب المتibi إذ يقول :

ودهر ناسه ناس صغار وإن كانت لهم جث ضخام
وأبو زهرة مورد انطباق هذا البيت ، إنه يقول إن الشيعة الأولين كانوا من أهل فارس وأنا أطلب من كل قارئ أن يستخرج لي من الشيعة الأولين خمسة من الفرس وأنا متأكد سلفاً أنهم لا يجدون هذا العدد ، فهل تبقى بعد ذلك قيمة لأقوال مثل أبي زهرة وكم لأبي زهرة من أقوال لا تعرف التحقيق وعلى كل حال لقد لقي الرجل ربه وأسأل الله تعالى له العفو .

٣ - أحمد عطية الله :

وهذا الرجل من نسخ على منوال المستشرقين بنسبة التشيع للفارسية فهو يرى أن الأفكار الشيعية تأثرت بالفارسية عن طريق عبد الله بن سباء الذي نقل للتشيع أكثر من رائد فكري ومن هذه الروايد : الفارسية فقد قال بالحرف الواحد :

وإن ابن السوداء انتقل إلى المدينة وبث فيها أقوالاً وأراء منافية لروح الإسلام نابعة من يهوديته ، ومن معتقدات فارسية كانت شائعة في اليمن وبرز في

(١) تاريخ المذاهب الإسلامية ج ١ ص ٤١ .

صورة الداعية المنتصر لحق الإمام عليٌّ (ع) وادعى أنَّ لكلَّ نبيٍّ وصيًّا وأنَّ علياً وصيٌّ محمدٌ الخ^(١). هذه مجرد عينةٍ من النماذج التي نسجت على منوال المستشرقين، وإنَّك لتتجدُّ هذه الفكرة عند المتأخررين من كتاب السنة شائعاً يتقاها الخلف عن السلف ثم يحاول تعميقها وترسيخها بما يملكه هو من عقريَّة وسوف لا أتعجل الرد على الفكرة إلا بعد أن أستوفيها فأذكر لك أقوالهم في تعليل دخول الفرس للتشييع فإنَّ ذلك يكون بمثابة الروح للبحث . إنَّ أبرز هذه التعليلات التي ساقوها واعتبروها مبرراً لدخول الفرس إلى التشييع ثلاثة أمور :

(١) القاموس الإسلامي جـ٣ ص ٢٢٢ .

أسباب دُخول الفُرس للتشيع في نظر السُّنة

١ - الأمر الأول :

إصهار الحسين إلى الفرس لأنَّه تزوج ابنة يزدجرد وهو أحد الملوك الساسانيين واسمها شاه زنان فولدت له عليًّا بن الحسين الذي اجتمع في الخواص الوراثية للأكاسرة وخواص الإمامة من آبائه كما يقول أبو الأسود الدؤلي :

وإنَّ وليداً بين كسرى وهاشم لِأَكْرَمِ مِنْ نِيَطَتْ عَلَيْهِ التَّمَائِمِ
وفي ذلك تقول سميحة الليثي معقبة على رأي أرنولد تويني في انتشار الإسلام بين الفرس :

الذى أدى إلى انتشار الإسلام هو زواج الحسين من شاهبانو إحدى بنات يزدجرد وقد رأى الفرس في أولاد شاهبانو والحسين وارثين لملوكهم الأقدمين^(١) فزواج الحسين على رأي هؤلاء أحد العوامل التي أدت إلى انتشار التشيع لأهل البيت عند الفرس .

٢ - الأمر الثاني :

التقارب في الآراء بين الشيعة والفرس ومن ذلك موضوع الحق الإلهي فكل

(١) الزندقة والشعرية ص ٥٦ .

مِنْهَا يَرِى أَنَّ الْحَقَّ الْإِلَهِي ثَابَتْ لِمَنْ يَتَوَلَّهُ مِنَ الْقَادِهِ فَالْفَارَسِي يَرَاهُ لِلْمُلُوكِ الْفَرَسِ
وَالشِّيعِي يَرَاهُ لِلْإِمامِ الَّذِي يَقُولُ بِإِمامَتِهِ ، وَهَذَا الْمَعْنَى وَإِنْ صُورَهُ بَعْضُهُمْ بِأَنَّهُ تَأْثِيرَ
مِنَ الشِّيعَةِ بِالْفَرَسِ ، وَلَكِنْ لَمْ كَانِ التَّشِيعُ أَقْدَمُ مِنْ دُخُولِ الْفَرَسِ فِيهِ وَلَمْ كَانِ
الرُّوَادُ مِنَ الشِّيعَةِ كُلَّهُمْ عَرَبٌ كَمَا أَثَبَتَنَا ذَلِكَ فِيهَا سَلْفٌ وَلَا كَانَتْ نَظَرِيَّةُ الشِّيعَةِ فِي
الْإِيمَامِ لَمْ تَخْتَلِفْ عَدْ زَرَارةً عَمَّا كَانَتْ عَلَيْهِ عِنْدَ أَبِي ذِرٍ وَعُمَارٍ يَتَبَعَّجُ مِنْ ذَلِكَ أَنَّ
نَظَرِيَّةَ الْحَقِّ الْإِلَهِي تَقْعِي بِهَا الشِّيعَةُ مَعَ الْفَرَسِ وَلَمْ تَكُنْ نَتْيَاجَةُ تَأْثِيرِ بَارَاءِ الْفَرَسِ
بِحُكْمِ إِيمَانِ الشِّيعَةِ بِأَنَّ عَلِيًّا وَصَاحِبِ النَّبِيِّ (ص) وَأَنَّهُ مَنْصُوصٌ عَلَيْهِ ، وَقَدْ دَأَبَ
عَلَى ذَكْرِ هَذَا التَّقَارِبِ كَثِيرٌ مِنَ الْمُسْتَشِرِقِينَ وَتَلَامِيذِهِمْ يَقُولُ مُحَمَّدُ أَبُو زَهْرَةَ :

وَبَعْضُ الْعُلَمَاءِ وَمِنْهُمْ دُوزِي الْمُسْتَشِرِقُ قَرَرَ أَنَّ أَصْلَ الْمَذَهَبِ الشِّيعِي نَزْعَةٌ
فَارِسِيَّةٌ إِذَا أَنَّ الْعَرَبَ تَدِينُ بِالْحُرْبَةِ وَالْفَرَسَ تَدِينُ بِالْمَلْكِ وَبِالْوَرَاثَةِ وَلَا يَعْرُفُونَ
مَعْنَى الْإِنْتَخَابِ ، إِلَى أَنْ قَالَ إِنَّ الشِّيعَةَ قَدْ تَأَثَّرَوْا بِالْأَفْكَارِ الْفَارِسِيَّةِ حَوْلَ الْمَلْكِ
وَوَرَاثَتِهِ^(١) .

وَكَذَلِكَ يَذْهَبُ إِلَى هَذَا الرَّأْيِ أَحَدُ أَمِينِ وَجْهَةِ الْمُسْتَشِرِقِينَ ذَكْرُهُمْ هُوَ
مِنَ الْذَاهِبِينَ هَذَا الرَّأْيِ ، وَقَدْ أَفَاضَ فِي شَرْحِ هَذَا الْمَعْنَى فِي كِتَابِهِ فَجرِ الإِسْلَامِ
مَعِزَّاً رَأِيهِ بَارَاءِ الْمُسْتَشِرِقِينَ^(٢) .

٣ - الْأَمْرُ الْثَالِثُ :

إِرَادَةُ هَدْمِ الإِسْلَامِ عَنْ طَرِيقِ الدُخُولِ فِي الْمَذَهَبِ الشِّيعِيِّ وَالْتَسْتِرِ بِحُبِّ
أَهْلِ الْبَيْتِ ثُمَّ نَفْلُ أَفْكَارِهِمُ الْهَدَامَةِ لِلْإِسْلَامِ كَالْقُولُ بِالْوَصِيَّةِ وَالرَّجْعَةِ وَالْمَهْدِيِّ
وَغَيْرِ ذَلِكِ . وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ أَحَدُ أَمِينِ : وَالْحَقُّ أَنَّ التَّشِيعَ كَانَ مَأْوَى يَلْجَأُ إِلَيْهِ كُلُّ
مِنْ أَرَادَ هَدْمَ الإِسْلَامِ لِعِدَاوَةٍ أَوْ حَقْدٍ وَمِنْ كَانَ يَرِيدُ إِدْخَالَ تَعَالَيمَ آبَائِهِ مِنْ يَهُودِيَّةِ
وَنَصْرَانِيَّةِ وَزَرَادِشِيَّةِ وَهَنْدِيَّةِ وَمِنْ كَانَ يَرِيدُ اسْتِقْلَالَ بِلَادِهِ وَالْخُرُوجُ عَلَى مُلْكَتِهِ
كُلُّ هُؤُلَاءِ كَانُوا يَتَخَذُونَ حُبَّ أَهْلِ الْبَيْتِ سَتَاراً^(٣) وَأَرْجُو مُلاَحَظَةَ نَعْمَةِ اسْتِعْدَاءِ

(١) تَارِيخُ الْمَذَاهِبِ الْإِسْلَامِيَّةِ جِهَةٌ صِ ٤٠ .

(٢) فَجرِ الإِسْلَامِ صِ ٢٧٦ .

(٣) فَجرِ الإِسْلَامِ نَفْسُ الصَّحِيفَةِ ٢٧٦ .

السلطة على الشيعة فهي نغمة ضرب عليها الكثيرون من قبله ومن بعده كصاحب النار مثلاً^(١) إن هذا الإتجاه في تصوير التشيع بأنه أثر فارسي واضح عند كثير من المتأخرین مثل حب الدين الخطيب ، وأحمد شلبي ، ومصطفی الشكعة وغيرهم .

ولأجل إلقاء الضوء على صحة أو عدم صحة هذه الدعاوى التي نسبت للتشيع وبالذات الأمور الثلاثة التي عللوا بها دخول الفرس للتشيع لا بد من ذكر أمور :

- ١ - الرد على الأمور الثلاثة .
- ٢ - تحديد هوية التشيع عرقياً .
- ٣ - تحديد هوية التشيع فكريًا .
- ٤ - تحديد هوية السنة من نفس المنطلق والعلل التي أخذ بها كتاب السنة .
وسنبحث هذه الأمور .

(١) مجلة النار لرشيد رضا مجلد ١١ سنة ١٣٢٦ هـ .

الإجابة على أسباب دخول الفرس للتشييع

١ - الأمر الأول :

إصهار الحسين (ع) إلى الفرس .

إنَّ من القواعد المسلم بها أنَّ حكم الأمثال فيها يجوز أو لا يجوز واحد ، وبناءً على هذا فإنَّ العلة التي ذكرها هؤلاء الكتاب في اعتناق التشيع من قبل الفرس وهي إصهار الحسين (ع) للفرس موجودة عند عبد الله بن عمر بن الخطاب ، وعند محمد بن أبي بكر ، فقد ذكر الزمخشري في ربيع الأبرار وغيره من المؤرخين ، أنَّ الصحابة لما جاؤوا بسي فارس في خلافة الخليفة الثاني كان فيهم ثلاثة بنات ليزدجرد فأباعوا السبايا وأمر الخليفة ببيع بنات يزدجرد فقال الإمام علي إنَّ بنات الملوك لا يعاملن معاملة غيرهنَّ فقال الخليفة كيف الطريق إلى العمل معهنَّ فقال : يقْوُمن ومهما بلغ ثمنهنَّ قام به من يختارهنَّ فقوْمن فاخذهنَّ على فدفع واحدة لعبد الله بن عمر وأخرى لولده الحسين وأخرى لمحمد بن أبي بكر ، فأولد عبد الله بن عمر ولده سالماً ، وأولد الحسين زين العابدين وأولد محمد ولده القاسم فهوَلأء أولاد حالة وأمهاتهم بنات يزدجرد^(١) . وهنا نسأل إذا كانت العلة في دخول الفرس للتشييع هي مصاهرة الحسين للفرس فلماذا لا تطرد هذه العلة فيتنسن الفرس لإصهار عبد الله بن عمر لهم ومحمد بن أبي بكر كذلك ؟ وكل من

(١) فجر الإسلام ص ٩١ .

محمد وعبد الله أبناء خليفة كما كان الحسين ابن خليفة . بالإضافة لذلك إنَّ كُلُّ من يزيد بن الوليد بن عبد الملك وأمه شاه فرند بنت فيروز بن يزدجرد ومروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية أمه ام ولد من كرد إيران فلماذا لا تطرد العلة هنا أيضاً^(١) وبالعكس لماذا لا يقبل العرب السنة لأهل البيت الذين أمها هم عربة في حين نجد قسماً من العرب يبعض أهل البيت كالتواصب مثلًا . هذا سؤال يوجه للقول التي تقول ولا تفكِّر .

٢ - الأمر الثاني :

التقارب في الآراء بين الشيعة والفرس . وأنَّ كُلُّ منها يقول بنظرية الحق الإلهي ، ويقول بالوراثة ولا يعرف الانتخاب ، وفي هذا الأمر شيئاً الأول للاتحاد في الآراء الذي يسبب الدخول للتشيع وهذا الأمر لا يقول به من يحترم عقله فمعنى كان مجرد الإشتراك في رأي دافعاً للاتحاد بالعقيدة ، إنَّ كل باحث يعلم أنَّ كل أمة أو جماعة لا تخلي من الاتحاد مع بعض الأمم الأخرى ، في رأي من الآراء أو مسألة من المسائل ومع ذلك فلا يقوم بذلك سبباً للإندماج ولنعد لأحد أمين نفسه ونلزمه بتنازع رأيه إذا وجد السبب فإنه يقول عند بحثه لمسألة الجبر والإختيار :

إنَّ مسألة الجبر والإختيار تكلم فيها قبل المسلمين فلاسفة اليونان ونقلها السريانيون عنهم وتكلم فيها الزرادشتيون كما بحث فيها النصارى ثم المسلمين^(٢) .

وقد توزع هؤلاء بين القول بالجبر والقول بالإختيار ، وبناءً على منطق أحد أمين فإنَّ المسلمين نصارى لأنَّهم اتحدوا مع النصارى في شق من الرأي ، وإلا فما هو مبرر أحد أمين في اعتباره الشيعة فرساً لأنَّهم اتحدوا مع الفرس بالقول بنظرية الحق الإلهي .

(١) تاريخ الخميس للدياريكي ج ٢ ص ٣٢١ و ٣٢٢ .

(٢) فجر الإسلام ص ٢٨٤ .

أما الشق الثاني من الدعوى وهو أنَّ كُلُّ من الفرس والشيعة يقولون بالوراثة فهو باطل فيما يخص الشيعة لأنَّ الشيعة لا تعتبر الإمامة متوارثة ولا تقول بالإرث في ذلك بل تذهب إلى أنَّ الإمام منصوص عليه من قبل الله تعالى عن طريق النبي (ص) أو الإمام وكتب الشيعة طافحة بذلك^(١).

وليس مسألة النص على الإمام من المسائل المتأخرة عندهم بل هي معلومة من الصدر الأول عند الطبة الأولى وذلك لوضوح النصوص التي اعتبروها مصدرهم في مسألة الإمامة . وللتدليل على ذلك أذكر محاورة طريفة حدثت بين الخليفة الثاني عبد الله بن عباس وكان الخليفة الثاني يائس بابن عباس ويميل إليه كثيراً فقال له يوماً : يا عبد الله عليك دماء البدن إن كتمتها هل بقي في نفسك شيء من الخلافة . يقول ابن عباس : قلت نعم ، قال : أو يزعم أنَّ رسول الله (ص) نص عليه ؟ قلت : نعم ، فقال عمر : لقد كان من رسول الله في أمره ذرورة من قول لا ثبت حجة ولا تقطع عنراً ، ولقد كان يريع في أمره وقتاً ما ، ولقد أراد في مرضه أن يصرح باسمه فمنعه من ذلك إشفاقاً وحيطة على الإسلام فعلم رسول الله أنَّى علمت ما في نفسه فأمسك^(٢) إنَّ لم يلمع الذي أشار إليه الخليفة عمر هو عندما طلب النبي من أصحابه في ساعاته الأخيرة دواه وكتف وقال عليه بدواه وكتف أكتب لكم كتاباً لن تصلوا بهده أبداً فقال الخليفة عمر : إنه يهجر وقد غالب عليه الوجع^(٣) .

وعلى العموم إنَّ هذه المحاورة وأمثالها توضح رأي الشيعة في موضوع

(١) الفصول المهمة لشرف الدين ص ٢٨١ ، وعتائد الإمامية للمظفر ص ٧١ .

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٣ ص ٩٧ .

(٣) انظر صحيح البخاري ج ٥ ص ١٣٧ ، انظر طبقات ابن سعد ج ٤ ص ٦١ ، وانظر النهاية لابن الأثير ج ٥ ص ٢٤٦ في مادة هجر .

وفي هذا المعنى يقول أحد الشعراء :

أوصى النبي فقال قاتلهم قد راح يهجر سيد البشر
لكن أبا بكر أصاب ولم يهجر وقد أوصى إلى عمر
لأنَّ كُلُّ منها كانت وصيته في مرض الموت .

الإمامية وأنها بالنص وليس بالوراثة فمن أين جاء المستشرقون وتلاميذهم بنظرية الوراثة لو لا عدم الإحاطة بالتشيع أو التحريف واتباع الموى .

٣ - الأمر الثالث وهو دخول الفرس في الإسلام إرادة هدمه ثم لتحقيق مأربهم ونقل نظريات أسلافهم وهو ادعاء طريف ولا بد من الوقوف قليلاً حوله فنقول :

أولاً : إن مؤلفات هؤلاء القوم في الدفاع عن الإسلام ومساجدهم ومؤسساتهم الدينية وجهادهم في سبيل الله كل ذلك يشكل شواهد قائمة على كذب هذه الدعوى .

وثانياً : لا بد من سؤال هؤلاء القائلين بهذا القول في أن إرادة الإلحاد والهدم عند الفرس هل هي مختصة بالفرس الذين اختاروا الإسلام ودخلوا في التشيع أم أنها عند كل الفرس من كل من كان من السنة منهم أو من الشيعة ، ولا بد أن تكون الإجابة بالعموم لأن إرادة الإلحاد جاءت من كونهم فرساً لا من أمر آخر وإذا كانت كذلك فلماذا انصبت الحملات على الفرس الشيعة فقط دون الفرس السنة .

وقد يقول قائل إن ذلك انتقل للفرس من الشيعة وهنا ينتقل الكلام إلى عقائد الشيعة وقد ذكرنا أن مصدر عقائدهم الكتاب والسنة فلا سبيل لرميهم بما ينافي الكتاب والسنة هذا إذا كان هؤلاء يبحثون عن الحقيقة - وهم أبعد الناس عنها - ولو لم يكونوا بعيدين عن الإرادة الخيرة لما بضعوا شلو الأمة وفرقوها شيئاً وخرجوا من المفارقات في أقواهم لأننا سنوقفك عن قrib على أن تاريخ وفقه وعقائد أهل السنة أبطاله الفرس أنفسهم ونحن لا نرى بذلك أي عيب أو غضاضة ما دمنا نعلم أننا كلنا من مصدر واحد وما دام فرقانا يصرح آناء الليل وأطراف النهار بشعار الوحدة وتوحيد المصدر ! بقوله تعالى : «ألم نخلقكم من ماء مهين» المرسلات . ٢٠

ثالثاً : إن المسائل التي أوردها القوم واعتبروها مما يهدى الدين ورموا بها

الشيعة الفرس مثل الوصاية والرجعة والقول بالمهدية يشاركون بها أو يمثلها أهل السنة وما سمعنا أحداً ينجزهم بها أو يعتبرها عليهم سبة ، كما أن هذه القضايا وردت في روايات أهل السنة بطرق موثقة وسنذكر ذلك قريباً إن شاء الله ، هذا بالإضافة إلى أن هذه الآراء ليست من ضروريات الإسلام عند الشيعة وقد تكون من ضروريات المذهب كالقول بالمهدي ، فلماذا كل هذا الضجيج المفتعل ولماذا كل هذا الصرف للطاقات الذي يخلق فجوات بين أهل القبلة فضلاً عن عدم جدواه ؟ ولماذا هذا الحماس المفتعل ازاء امور لا ينفرد بها الشيعة بل يقول بها السنة أنفسهم ؟

الفصل الثالث

هوية التشيع العرقية وآراء الباحثين فيها

في صدر هذا العنوان لا بد من سؤال عن معنى مضمون العروبة الذي يميزها عداتها وأول ما يتadar للذهن أنَّ العربي هو الذي يولد من أبوين عربين وبعبارة أخرى هو المتحدر من دم عربي ، وهذا الفرض غير متحقق لأننا لا يمكننا الحصول على دم خالص مائة بالمائة من الشوائب والإختلاط ولأنَّ الدماء إنسانية الإنماء كلها تعود لمصدر واحد وهي مختلطة اختلاطاً يصعب معه فرزها عن غيرها ، ثم بعد ذلك لأنَّه ليس من المتصور أنَّ الدماء تتأثر بالعقيدة والفكر والمشاعر ، فأي معنى للعروبة مع هذه الفرض ، وانطلاقاً من هذا فإنَّ كل رأي يقوم على فرض وجود دم عربي خالص هو فرض غير علمي ولا يمكن الركون إليه .

ومع التنزل والتسليم بصحمة هذه المقوله وهذا الفرض فقد ذكرنا فيما من أنَّ الشيعة الذين بدأ بهم التشيع وقام على أيديهم هم من القبائل العربية وذكروا الطبقة الأولى منهم ولا نريد أن نتقل على القارئ فنذكر له الطبقتين الثانية والثالثة فبوسع كل قارئ الرجوع إلى كتب التراجم ليرى أنَّهم في جمهورهم من العرب .

وإذا كان افتراض أنَّ هناك دماً خالصاً غير متاثر بغیره يعتبر أمراً خيالياً نعود إلى السؤال عن معنى العروبة ، وسنجد الجواب إنَّ العروبة هي المزيج المتكون من الفكر والمشاعر واللغة والتربية ، وانتزاع العروبة من هذه المصادر هو المسلك الصحيح فهي التي تحدد الهوية ومعظم من كتب في تحديد هوية الإنسان أكدوا على

هذه العوامل فقط وهي اللغة والتاريخ والبيئة والمصالح المشتركة هذه هي التركيبة المزجية التي تكون وتحدد معالم الإنتهاء لأمة ما^(١) وانطلاقاً من ذلك لنرى أين موطن الشيعة من هذه العوامل ولنبدأ من ذلك بالعامل الأول .

مقومات الهوية العرقية

١ - البيئة الجغرافية :

إن مهد التشيع الأول هو جزيرة العرب لأن شيعة علي^(ع) الأوائل هم من الصحابة ومن جزيرة العرب كما ذكرنا ذلك من قبل ، ومع افتراض وجود شخص أو شخصين مثل سلمان الفارسي وأبي رافع القبطي فإن نشأة هؤلاء وإقامتهم لفترة طويلة بالحجاز ومن الحجاز انتشر التشيع إلى الأقطار الأخرى كالعراق وسوريا ومصر والشام وإفريقيا والهند والخليج وأوروبا وأمريكا والصين وروسيا وغيرها من سائر أقطار العالم على امتداد السنين . وسنرى في آخر هذا الفصل آقوال الباحثين في ذلك ونصوصهم على أن مهد الشيعة الأول هو الجزيرة العربية .

٢ - اللغة :

يعتبر العلماء أن اللغة هي العامل الأساسي في تحديد انتهاء كل شخص إلى قومية من القوميات لأن اللغة قسم من المشاعر بل تذهب البحوث الحديثة إلى أنها الجزء المهموس من الفكر وذلك لتقسيمهم للتفكير إلى قسمين صامت ومهماوس^(٢) . وبحكم كون الشيعة من أهل الحجاز فلغتهم كانت عربية وشيعة على^(ع) كما هو واضح من الشرحية التي قدمناها من فصحاء العرب وأبطال البيان .

(١) انظر القرمية العربية للدكتور حازم زكي نسيه ص ١٠١ ، وانظر نحو الوحدة العربية ليوسف هيكل فصل اللغة ، وانظر آراء وأحاديث في الوطنية والقومية لساطع الحصري ص ٢٠ .

(٢) مجلة عالم الفكر الكوري ٦ العدد الخاص باللغة .

وكان تفوق رواد الشيعة بالبيان والخطابة أدباً أخذوه من إمامهم عليٌّ^(ع) أمير البيان حتى نبغوا في ذلك وعدهم المؤرخون قادة بيان ونوابغ فصاحة ومن هؤلاء : عدي بن حاتم الطائي وهاشم المرقال وخالد بن سعيد الع بشمي الأموي ، والوليد بن جابر بن ظالم الطائي وغيرهم^(١) .

وبحكم كون اللغة العربية هي لغة القرآن الكريم فقد كان الشيعة يقعنون عند التصنيف من قسم المتشددين في اعتبار اللغة العربية لغة العبادة ولغة العقود ولا يتساملون في ذلك أبداً ولا يقوم عندهم مقام اللغة العربية ، في ذلك أي لغة أخرى ، ونلمح من تشددهم في ذلك أنَّ اللغة عندهم ليست مجرد قالب للمعنى ولو كانت كذلك لقام مقامها قالب آخر ، لكنَّها عندهم تستبطن مشاعر وخصوصيات أصلية في مضمون الرسالة ولهذا تنزل القرآن بها لذلك نرى جهور فقهاء الشيعة يذهبون إلى عدم جواز القراءة في الصلاة والأذان وافتتاح الصلاة بغير اللغة العربية ، في حين يذهب كل من أبي حنيفة بصورة مطلقة والشافعية والمالكية بجواز إيقاع الأذان بغير العربية إذا كان المؤذن أعجمياً ويريد أن يؤذن لنفسه أو لجماعة أعيجم مثله^(٢) وينتهي الشافعية والأحناف والمالكية إلى جواز إيقاع تكبيرة الإحرام بغير اللغة العربية إذا كان غير قادر على اللغة العربية ذكر ذلك عنهم صاحب الفقه على المذاهب الأربعة في باب شروط تكبيرة الإحرام من الجزء الأول . ولم أجده في حدود ما عندي من مصادر : هم اشتراطوا صريحاً في إيقاع العقود باللغة العربية في حين يذهب الشيعة إلى لزوم إيقاع العقد بالعربية اختياراً^(٣) وفيما يخص عقد النكاح يجوز الحنفية والمالكية والحنابلة إيقاعه بغير اللغة العربية مع القدرة عليها وينتهي إلى صحة هذا العقد^(٤) .

(١) انظر أسد الغابة ج ١ ص ٣٥ ، وأعيان الشيعة للأمين ج ١ ص ٦١ .

(٢) انظر الفقه على المذاهب الأربعة ج ١ ص ٣١٤ ، وفجر الإسلام ص ٢٥٠ ، وكتز العرفان للمقداد السوري ج ١ ص ١١٧ .

(٣) كتز العرفان ج ٢ ص ٧٢ .

(٤) الأحوال الشخصية لمحمد أبو زهرة ص ٢٧ ط مصر الأولى .

٣ - عروبة الخليفة :

وما يتصل بموضوع اللغة إنَّه بالنظر لأهمية اللغة العربية في موقعها من الشريعة الذي يتضح من اختيار السماء لها لتكون الطرف الحامل لل الفكر الإسلامي ولما كرم الله تعالى به هذه اللغة في كتابه إذ يقول في الآية الثانية من سورة يوسف : **﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّعْلَكُمْ تَعْقِلُونَ﴾** ويقول في الآية السابعة والثلاثين من سورة الرعد **﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حِكْمَةً عَرَبِيًّا﴾** الأمر الذي أجمع معه مفسرو القرآن الكريم على أنَّ القرآن حكمة عربية ومحاوراته على نسق محاورات العرب وأساليبهم ، وإذا شئت قلت إنَّه أخذ مشاعر العرب وخواصهم الحضارية عندما اختار لغتهم ولم يختص أو يتأثر بهم لأنَّ رسالة الإسلام عالمية ولكنَّ الله تعالى جعل اللغة العربية هي القناة التي ينقل الدين القويم عن طريقها للناس . ولأجل ضمان حفظ خواص الرسالة ذهب كثير من الفرق الإسلامية إلى ضرورة كون الخليفة عربياً . لا لسبب آخر قد يفهم منه معنى عنصري فرسالات السماء متزهة عن ذلك وقد انشطرت الفرق الإسلامية في اشتراط عروبة الخليفة إلى شطرين : وكان الشيعة من الشطر الذي يؤكد على عروبة الخليفة لقول النبي (ص) : «الأئمة من قريش»^(١) في حين ذهب كثير من المسلمين غير الشيعة إلى عدم اشتراط هذا الشرط . ويبدو أنَّ هذا المعنى يتدلى من الخليفة الثاني نفسه حيث قال :

لو أدركني أحد رجلين فجعلت هذا الأمر إليه لوثقت به : سالم مولى أبي حذيفة وأبو عبيدة الجراح ولو كان سالم حياً ما جعلتها شورى^(٢) .

و واضح من ذكره لسالم أنَّ الخليفة لا يشترط عروبة الخليفة والا لنص على العرب فقط وقد ذهب لذلك أيضاً مشاهير المعتزلة مثل ضرار بن عمر وثمامنة بن أشرس والجاحظ وكثير غير هؤلاء^(٣) .

(١) الفصل بين الملل والنحل ج٤ ص ٨٩.

(٢) طبقات ابن سعد ج٣ ص ٣٤٣ .

(٣) ضحي الإسلام ج١ ص ٦٢ .

كما يذهب إلى عدم عروبة الخليفة الخارج بجملتهم ونصولهم صريحة بذلك^(١) وإلى عدم اشتراط عروبة الخليفة يذهب الأحناف أيضاً ولذا صحووا خلافة آل عثمان^(٢) إن اشتراط عروبة الخليفة في واقع الأمر لا يمكن أن يصدر عن بواعث عنصرية أو عن تعصب فإن ذلك غير متصور في رسالة سماوية هي خاتمة الرسالات الإنسانية ضرورة أن الإسلام دين المساواة ولكن بهذا الشرط يضمن الإسلام توفر حاكم يعي دقائق الشريعة والخلفيات الحضارية التي ترتبط بها اللغة التي نزلت بها . لهذا فقط يشترط الإسلام عروبة الخليفة من دون انتهاص الآخرين أو بخس ل מקانتهم أو قبح بإخلاصهم .

٤ - التاريخ والمصالح المشتركة :

إن تاريخ الشيعة الذين عدنا أسماءهم جزء من تاريخ الجزيرة العربية بكل أبعاد هذا التاريخ ومقوماته . وكذلك المصالح المشتركة المادي منها والمعنوي وكذلك النهج الشعبي في التفكير والعادات والسلوك . ولذلك لما جاء الإسلام أخذ يجاهد لتخلص المسلمين من بعض عاداتهم وأنمط سلوكهم التي كانت تزلف قدرأً مشتركاً بين سكان الجزيرة العربية وبالنظر لكون هذا المعنى مما لا ينبغي الإطالة فيه لأنّه بحكم البديهيّات نكتفي بما ذكرناه ومن هذه الحقائق التي قدمناها تتضح الهوية العرقية للتشيع فهو عربي بانتمامه ومذهبه ولغته وآرائه ولأجل هذا ذكر الباحثون الموضوعيون أنّ التشيع عربي بكل خواصه وأقصد بالباحثين هنا المتأخرین منهم وذلك لأنّ هذه المسألة لم تكن تشغّل بال خصوم الشيعة في العصور الأولى وإنما نشأت مؤخراً لأسباب كثيرة أهمها تحول الفرس إلى شيعة ابتداءً من القرن العاشر أما التاريخ الذي يسبق القرن العاشر فالشيعة من الفرس كانوا فيه فئة قليلة وسوف يأتينا هذا المعنى مفصلاً . وحينما تحول الفرس إلى شيعة ظهرت لهم مثالب وعيوب لم تكن موجودة يوم أن كانوا من السنة ولا أريد أن أتعجل بك النتائج فهي آتية إن شاء الله .

(١) الفرق بين الفرق للبغدادي باب الخارج .

(٢) الإمام الصادق لأسد حيدر جـ ١ ص ١٥٧ .

والآن دعني أقدم لك ملخصاً من أقوال بعض الباحثين الذين تناولوا هذه المسألة فلم يسعهم من ناحية: إنكارعروبة التشيع ، في الوقت الذي أرادوا فيه شتم الشيعة عن طريق شتم الفرس وشرح مثالبهم فلنستمع لما يقولون .

١ - الدكتور أحمد أمين :

يقول أحد أمين في نص ذكرناه سابقاً واستشهدنا بمقطع منه ونذكره هنا لارتباطه بالموضوع : والذي أرى كما يدلنا التاريخ أنَّ التشيع لعلٍّ بدأ قبل دخول الفرس في الإسلام ولكن بمعنى ساذج وهو أنَّ علياً أولى من غيره من وجهتين كفایته الشخصية وقرباته للنبي (ص) ولكن هذا التشيع أخذ صبغة جديدة بدخول العناصر الأخرى في الإسلام من يهودية ونصرانية وجموسية وحيث أنَّ أكبر عنصر دخل في الإسلام الفرس فلهم أكبر الأثر بالتشيع ، ورأيه هنا واضح أنَّ أوائل الشيعة ليسوا بفرس وإن ناقض نفسه بمكان آخر^(١) .

٢ - الدكتور علي حسين الخربوطلي قال :

وهناك فريق من العرب تشيع لعلٍّ بعد أن آلت الخلافة إلى أبي بكر ويرى جولد تسخير أنَّ الحركة الشيعية نشأت في أرض عربية بحثة فقد مال لاعتناق التشيع قبائل عربية تشبعت بالأراء الشيوقاطية وبشرعية حق عليٍّ بالخلافة فأقبلت على تعاليمه في لفة وحسنة أهل العراق من الفرس ، ورأوا أنَّ الإمامة ليست من المصالح التي تغوص إلى نظر الأمة ويُعين القائم بها تعيناً باختيار جماعة المسلمين وانتخابهم بل هي ركن الدين وقاعدة الإسلام فيجب تعين الإمام ويكون معصوماً وأنَّ علياً هو الذي عينه الرسول^(٢) .

٣ - المستشرق فلهوزن قال :

أما آراء الشيعة تلائم الإيرانيين فهذا مما لا شك فيه ، وأما كون هذه

(١) فجر الإسلام من ٢٧٦.

(٢) الدولة العربية من ١٢٧.

الآراء انبعثت من الإيرانيين فليست تلك الملامة دليلاً عليه ، بل الروايات التاريخية تقول عكس ذلك إذ تقول إن التشيع الواضح الصريح كان قائماً أولاً في الدوائر العربية ثم انتقل منها إلى المالي^(١) .

٤ - المستشرق آدم متز قال :

إن مذهب الشيعة لا كما يعتقد البعض رد فعل من جانب الروح الإيرانية تحالف الإسلام فقد كانت جزيرة العرب شيعية كلها عدى المدن الكبرى كمكة وتهامة وصنعاء . وكان للشيعة غلبة في بعض المدن مثل عمان وهجر وصعدة وفي بلاد خوزستان التي تلي العراق فكان نصف أهلها على مذهب الشيعة ، أما إيران فكانت سنية عدى قم وكان أهل أصفهان يغالون في معاوية حتى اعتقاد بعضهم أنهنبي مرسل^(٢) .

٥ - المستشرق جولد تسيهر قال :

إن من الخطأ القول إن التشيع في منشئه ومراحل نموه يمثل الأثر التعديلي الذي أحدثه أفكار الأمم الإيرانية في الإسلام بعد أن اعتنقه وخضعت لسلطانه عن طريق الفتح والدعابة وهذا الوهم الشائع مبني على سوء فهم الحوادث التاريخية فالحركة العلوية نشأت في أرض عربية بحثة^(٣) .

٦ - المستشرق نولدكه قال :

ظلت بلاد فارس في أجزاء كبيرة منها تدين بالمذهب السني واستمر ذلك حتى سنة ١٥٠٠ م عندما أعلن التشيع مذهبًا رسمياً فيها بقيام الدولة الصفوية^(٤) .

بعد استعراض هذه المقططفات من أقوال الباحثين التي تؤكدعروبة التشيع

(١) الشيعة والخوارج ص ٢٤١ .

(٢) الحضارة الإسلامية ج ١ ص ١٠١ .

(٣) المعتقد والشريعة ص ٢٠٤ .

(٤) دراسات في الفرق والعقائد ص ٣٢٦ .

في طابعه العام في نفس الوقت الذي لا تنفي امتداده إلى جنسيات أخرى فإن باقي الجنسيات هي موضع احترامنا وتقديرنا فما كنا إلا مسلمين شعارنا قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّنْ ذِكْرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شَعُوبًاٰ وَقَبَائِيلَ لَتَعْارِفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْقَاكُمْ﴾ / الحجرات ، ١٣ ، ولكننا نقابل بذلك الأصوات التي تشهر بالمذهب الشيعي وتنسبه للفارسية ، وإنما للبحث سنتقدم هنا عينة من أقطاب المذهب الشيعي الذي قام الفكر الشيعي على أقلامهم وموافقهم وبعد ذلك نضع مقابل عناوين عروبة التشيع ما يقابلها من عناوين في أبعاد المذاهب الإسلامية الأخرى .

الفصل الرابع

أئمة الشيعة من هم؟

إن أئمة الشيعة الإثنى عشر ابتداءً من الإمام علي^(ع) حتى الإمام الثاني عشر محمد بن الحسن^(ع) الذين تعتبرهم الشيعة بأنهم الإمتداد الطبيعي للنبوة هم سادة العرب ومن صميمهم وبيت هاشم كما هو المعروف أشرف البيوتات العربية فلا حاجة لإضافية بذلك .

يأتي بعد ذلك الرواد الأوائل من حلة علوم أهل البيت وبيوتات وأسر الشيعة الذين حملوا التشيع ويشروا به فإنهما من صميم العرب وذلك ابتداءً من أقطاب مدرسة الإمام الصادق^(ع) مثل أبان بن تغلب بن رباح الكندي ، وبيت آل أعين ، وبيت آل حيان التغلبي ، وآل عطية ، وبني دراج وغيرهم^(١) ثم الطبقة التي تلي هؤلاء كالشيخ المقيد محمد بن النعمان ، والشريف المرتضى علم المدحى علي بن أبي الحسين ، والعلامة الحلي جمال الدين الحسن بن يوسف بن المطهر ، وعبد العزيز بن نحرير البراج وجمال الدين أحمد بن موسى بن طاووس وأسرة آل طاووس ، ومحمد بن أحمد بن إدريس العجلاني ، ونجم الدين جعفر بن الحسن المذلي المعروف بالمحقق وجمال الدين المقداد بن عبد الله السعوري ، والشهيد الأول محمد بن مكي والشهيد الثاني زين الدين العاملی وغيرهم فإن كل هؤلاء من صميم العرب .

(١) طبقات ابن سعد جـ٢ ترجم من سكن الكوفة من التابعين .

أما أصحاب الصاحب الشيعة وهم كل من محمد بن يعقوب الكليني صاحب الكافي ، ومحمد بن علي بن الحسين المعروف بابن بابويه القمي ، صاحب من لا يحضره الفقيه ، ومحمد بن الحسن بن علي الشیخ الطوسي صاحب التهذیب والإستبصار ، فإن هؤلاء لا يوجد نص على عدم عروبتهم ومن وجد دليلاً على أعيجبيتهم فليفتدنا . وختاماً لهذا الفصل أذكر أولاً رأي دائرة المعارف الإسلامية فقد قالت :

إن أقدم الأئمة الكبار من الشيعة كانوا عرباً خلصاً وإن كانوا من اليمانيين خاصة^(١) كما أذكر لكل من يريد التوسيع بعض كتب التراجم الشيعية وغيرها ليطلع منها على نسبة العرب من الشيعة ومن أهم هذه الكتب : الأعلام للزرکلی ، وتأسیس الشیعه لعلوم الإسلام للسيد حسن الصدر ، وأعيان الشیعه للسيد محسن الأمین العاملی .

السنة والفرس

قبل الدخول في صميم هذا الموضوع لنبأً أولًا بإيران وما هي هوية سكانها العقائدية وبالتحديد أين موقع سكانها من المذهبين السنی والشیعی ففي ذلك بعض الأضواء التي لا بد منها لإنارة طريق البحث .

لقد ذكر لنا المؤرخون أن فتوحات إيران بكل أجزائها امتدت فغطت فترة الخلافة الإسلامية إلى نهاية فترة حكم الإمام علي^(ع) وكانت هذه البلدان عندما يتم فتحها قد يتختلف بعض جنود الحملة في تلك المدن وبعض هؤلاء كانوا من الشیعه ومن الذين حملوا معهم مبادئهم وعرفوا بها ، وفي فترة حكم زياد بن أبيه للكوفة كانت في جملة تخطيطاته للقضاء على الشیعه بالكوفة أن هجر خمسين ألف من الشیعه وسفرهم إلى خراسان .

ولا بد أن هؤلاء توادوا كما أنهما بشروا بأفكارهم وعقائدهم فتبعهم على

(١) دائرة المعارف ج ١٤ ص ٦٦ .

ذلك جماعة ، كما أنَّ مدينة قم تم تصييرها أيام الحجاج ، وذلك أنَّ عبد الرحمن ابن الأشعث كان أمير سجستان من قبل الحجاج ثم خرج على الحجاج وقاتلته وعندما فشلت حركته كان بجيشه مجموعة من علماء التابعين منهم : عبد الله ، والأحوص ، وعبد الرحمن ، وإسحق ، ونعيم ، وهم بنو سعد بن مالك الأشعري فنزل هؤلاء على سبعة قرى في منطقة قم استولوا عليها وجعلوها سبع محلاًّ لمدينة قم والتحق بعد الله بن سعد ولد له كان إماماً تربى بالكوفة فنقل التشيع لأهلها فليس بها سني قط^(١) .

هذه هي بذور التشيع في إيران ظلت تنمو في مجال محدود حتى بداية القرن العاشر حيث تحولت بعد ذلك مناطق كثيرة للتشيع أيام الصفويين . أما البدايات منذ الفتح وإلى القرن العاشر فكانت إيران في جلتها سنية متوزعة بين المذاهب ويستثنى من ذلك جيوب صغيرة كان فيها بعض الشيعة وقد أكد ذلك مؤرخوا السنة وإليك أقوالهم :

(١) معجم البلدان لياقوت الحموي ج٤ ص ٣٩٧ .

إيران السنوية

١ - شمس الدين محمد بن أحمد يقول :

إقليم خراسان للمعتزلة والشيعة والغبة لأصحاب أبي حنيفة إلا في كورة الشاش فإنهم شوافع وفيهم قوم على مذهب عبد الله السرخسي ، وإقليم الرهاب مذاهبهم مستقيمة إلا أن أهل الحديث حنابلة ، والغالب بدبيل - لعله يزيد أربيل - مذهب أبي حنيفة ، وبالجبال : أما بالري فمذاهبهم مختلفة والغبة فيهم للحنفية ، وبالري حنابلة كثيرة ، وأهل قم شيعة والدينور غبة لمذهب سفيان الثوري ، وإقليم خوزستان مذاهبهم مختلفة ، أكثر أهل الأهواز ورامهرمز والدورق حنابلة ، ونصف الأهواز شيعة ، وبه من أصحاب أبي حنيفة كثير ، وبالأهواز مالكيون . إقليم فارس العمل فيه على أصحاب الحديث ، وأصحاب أبي حنيفة ، إقليم كرمان المذاهب الغالبة للشافعي ، إقليم السند مذاهبهم أكثرها أصحاب الحديث ، وأهل الملة شيعة يحيطون في الأذان - أي يقولون حيًّا على خير العمل - ويشتون في الإقامة - أي يقولون الله أكبر مرتين ، وأشهد أن لا إله إلا الله مرتين أيضاً وهكذا - ولا تخشو القصبات من فقهاء على مذهب أبي حنيفة^(١) .

٢ - ابن بطوطة في رحلته قال بالتلخيص :

لما أعلن خدابنده حميد هولاكو التشيع حمل الناس على التشيع في مطلع القرن

(١) أحسن التقاسيم للشاري ص ١٩٩ .

الثامن وكان معه أحد الزنادقة الروافض ويدعى بجمال الدين بن المظفر - يعني العلامة الحلي - كتب إلى بلاد آذربایجان وكرمان وأصفهان وخراسان وشيراز وال العراق بدخول اسم عليٰ وبعض شيعته في خطبة الجمعة ، وعدم ذكر الصحابة بها ، كان أول بلاد وصل إليها الأمر بغداد وشيراز وأصفهان ، فاما أهل بغداد فخرج منهم أهل باب الأزاج يقولون لا سمعاً ولا طاعة وجاءوا للجامع وهددوا الخطيب بالقتل إن غير الخطبة وهكذا فعل أهل شيراز وأهل أصفهان .

٣ - القاضي عياض في مقدمة ترتيب المدارك قال :

وقد حكى عن انتشار مذهب مالك : وأما خراسان وما وراء العراق من بلاد المشرق فدخلها هذا المذهب أولاً بيعسى بن يحيى التميمي وعبد الله بن المبارك ، وقتيبة بن سعيد فكان له هناك أئمة على مر الأزمان ، وتفشى بقزوين وما والاها من بلاد الجبل ، وكان آخر من درس منه بنیسابور أبو إسحق بن القطان وغلب على تلك البلاد مذهبها أبي حنيفة والشافعی^(١) .

٤ - بروكلمان قال في تاريخ الشعوب :

إن الشاه إسماعيل الصفوي بعد انتصاره على الوند توجه نحو تبريز فأعلم علماء الشيعة التبريزيون أن ثلثي سكان المدينة الذين يبلغ عددهم ثلاثة آلاف من السنة^(٢) مع لفت النظر إلى أن هذه الكمية من السنة في بلد واحد كانت في القرن العاشر وفي بدايته .

٥ - المستشرق كيب يقول :

إن الفكرة الخاطئة والتي لا زالت متشرة التي تقول بأن بلاد فارس كانت الموطن الأصلي للتشيع لا أصل لها بل الروايات التاريخية ثبت بأن الزرادشتين كانوا أميل عموماً لاعتناق المذهب السنّي^(٣) .

(١) ترتيب المدارك ج ١ ص ٥٣ .

(٢) تاريخ الشعوب الإسلامية ص ٤٩٧ .

(٣) دراسات في الفرق والعقائد ص ٢٦ .

ولا أريد أن أطيل عليك بالإكثار من إيراد الشواهد والنصوص التي تذكر أن إيران هي معقل التسنين حتى القرن العاشر بل وحتى الآن فإن فيها مقاطعات بكمالها سنية تستمتع بكل حرياتها الدينية وهي منبئة في إيران شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً ، فأين موقع إيران يا ترى من التشيع والتسنين هل هؤلاء الكتاب أن يحييونا على هذا السؤال ، ومتى كان منطق الحقد يعقل أو يفكر .

الفصل الخامس

اللغة والمذاهب الإسلامية

سبق أن ذكرت موقف المذاهب الإسلامية في موضوع اشتراط عروبة الخليفة من حيث اللزوم وعدمه وكذلك اشتراط اللغة العربية في العبادات والعقود فلا داعي لإعادة ذلك وإنما أريد الإشارة هنا إلى أنَّ في السنة من يشترط العربية وفيهم من لا يشترطها في حين يؤكِّد المذهب الشيعي على اشتراطها وذلك يكون مؤشراً على عروبة التشريع ووضوح انتمامه للعربية شكلاً ومضموناً.

من هم أئمة السنة وأقطابهم؟

لا أريد أن أعيد إلى ذهن القارئ أنَّ أمثل هذه البحوث إنما هي من باب إشعار الطرف الآخر بأنه لا يلتزم بما هو لازم ولا أريد والله يعلم أن انقص أي إنسان ينتمي لأي قومية كما لا أستطيع في هذه المقتطفات أن أستوعب كل الأقطاب الذين قام بناء الفكر السني عليهم وعلى أقلامهم وموافقهم وإنما سأقدم منهم شريحة كافية للتدليل على المطلوب . إنَّ تاريخ الدنيا منذ وجد يصنف الناس إلى صنفين : صنف يقوم مقام الروح في الجسد وأخر يمثل الجسد وصنف يقوم مقام المحرك وأخر يمثل القاطرة التي يسبحها المحرك وسرى أنَّ من يقوم مقام المحرك في الهيكل السني فارسي في الأعم الأغلب ، ولنبدأ من يسمى بالمذاهب الأربعة :

المذاهب الأربعة :

تذهب جلة من المصادر المعتبرة إلى أن ثلاثة من هؤلاء الأربعة هم من الفرس والعربi فيهم هو الرابع فقط أما الثلاثة فأولهم :

أولاً : الإمام أبو حنيفة النعمان بن ثابت بن زوطى وهو مولى لبني تيم الله وموالده بالكوفة^(١).

ثانياً : الإمام الشافعى محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع مولى أبي هب و قد طلب من الخليفة عمر أن يجعله من موالي قريش فامتنع ، فطلب بعدها من الخليفة عثمان ذلك ففعل فهو من موالي قريش وقد ذكر ذلك كل من الرازى فى كتابه مناقب الشافعى وأبو زهرة فى كتابه المعروف الإمام الشافعى^(٢).

ثالثاً : الإمام مالك بن أنس بن مالك ذهب كل من ابن عبد البر صاحب الإستيعاب فى كتابه الإنقاء ، والواقدى محمد بن إسحق ، والسيوطى فى تزين المالك إلى أنه مولى من موالي بني تيم وليس بعربي^(٣).

رابعاً : الإمام أحمد بن حنبل وهو العربي الوحيد في المذاهب ويتمي إلى بكر بن وائل^(٤) على أنه هناك من يروي أن الثلاثة الأوائل أيضاً عرب ولكن ظروف الروايات لا تخفى على الناقد وبوضع أي باحث تقييم تلك الروايات والإنتهاء لرأى معين .

أصحاب الصلاح :

إن المصادر التي ترجمت لأصحاب الصلاح وزعنهم على النحو التالي من حيث أنسابهم :

(١) مناقب أبي حنيفة للموفق بن أحمد ج ١ ص ١٦.

(٢) انظر الإمام الصادق لأسد حيدر ج ٣ ص ٢٢٠.

(٣) الإمام الصادق لأسد حيدر ج ٢ ص ٢٠٠.

(٤) طبقات الخانبلة لأبي يعل ج ١ ص ٤.

أ- البخاري محمد بن إسماعيل بن إبراهيم صاحب الصحيح الشهير :
أعجمي .

ب - الترمذى ابن عيسى بن سورة الضرير تلميذ البخارى كذلك .

ج - محمد بن يزيد بن ماجة مولى ربيعة ، أعجمي .

د - أحمد بن علي بن شعيب النسائي نسبة لمدينة نسا بخراسان ، أعجمي .

ه - سليمان بن الأشعث بن إسحاق السجستاني وهي بلدة بقرب هرة .

ينسب إلى الأزد ولم ينعوا على أنّ النسبة بالأصل أم بالولاء ، يبقى انتماًءه إلى بلد
أعجمي .

و - مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النسابوري عربي منصوص على

عروبتها^(١) .

شريحة ثالثة :

هذه شريحة ثالثة متوزعة على المذاهب الأربع في امتداد تاريخها الطويل غير
ملزمة بالتسلسل الزمني أقدمها لتكون مجرد مؤشر على نسبة ما في المذاهب
الاربعة من العلماء الفرس ، ولا أريد الإستقصاء لأنّه يستلزم إضاعة وقت وجهد
الأولى صرفها في مجال آخر .

إن معظم رواة الأحكام والأخبار ، ومعظم الفقهاء والمفسرين هم من
الفرس ، ومنهم على سبيل المثال : مجاهد ، وعطاء بن أبي رباح ، وعكرمة
وسعيد بن جبير . ومجاهد وعكرمة من يعتمد عليه البخاري والشافعى ويوثق
ويأخذ ببروياته جلة وتفصيلاً^(٢) .

ومنهم الليث بن سعد تلميذ يزيد بن حبيب والذي يعتبر مؤسس المدرسة

(١) انظر في ذلك وفيات الأعيان ج ١ ص ٢١ ، والكتى والألقاب ج ٣ ص ٢٠٧ ، ومعجم المؤلفين ج ١٢ ص ١١٥ ، ومقديمات الصحاح ستة في تراجم أصحابها .

(٢) فجر الإسلام ص ١٩١ ، و ٢٠٤ ، ومعجم المؤلفين ج ١ ص ٥٩ .

العلمية الدينية بمصر ، ويقول عنه الشافعي الليث أفقه من مالك إلا أن أصحابه لم يقوموا به ، وهو فارسي من أهل أصفهان ؛ ومنهم ربيعة الرأي شيخ الإمام مالك وهو ابن عبد الرحمن بن فروخ من أهل فارس ؛ ومنهم طاووس بن كيسان الفارسي ترجم له الشيرازي في طبقات الفقهاء ؛ ومنهم البيهقي صاحب السنن الذي قيل عنه : للشافعي فضل على كل أحد إلا البيهقي .

ومنهم مكحول بن عبد الله مولى بنى ليث ، ومحمد بن سيرين مولى أنس ابن مالك ، والحسن البصري الذي قيل عنه إنه أشبه الناس بعمر بن الخطاب على حد تعبير الشيرازي في الطبقات .

ومنهم الحاكم صاحب المستدرك ، وعبد العزيز الماجشون الأصفهاني مولى بني تميم ، وعاصم بن عليّ بن عاصم مولى بنى تميم ومن شيوخ البخاري ، وعبد الحق بن سيف الدين الدهلوi صاحب مقدمة في مصطلح الحديث ، وعبد الحكيم القندهاري شارح البخاري في حاشيته ، وعبد الحميد الخسر وشاهي صاحب اختصار المذهب في الفقه الشافعي .

وعبد الرحمن رحيم مولى بنى أمية ومحدث الشام على مذهب الأوزاعي ، وعبد الرحمن العضد الإيجي صاحب كتاب المواقف ، وعبد الرحمن الجامي صاحب فصوص الحكم ، وعبد الرحمن الكرمانى رئيس الأحناف بخراسان وصاحب شرح التجريد ، وشيخي زاده صاحب كتاب جمع الأنهر عبد الرحمن ، وأحمد بن عامر المروزى صاحب كتاب ختصر المزنى .

وسهل بن محمد السجستاني صاحب كتاب إعراب القرآن ، ومحمد بن إدريس أبو حاتم الرازى الذي يعد بمستوى البخاري ، وأبو إسحاق الشيرازي صاحب كتاب التشبيه .

وعبد الله بن ذكوان أبو الزناد عالم المدينة بالفرائض والفقه ومن روى عنه مالك والليث ؛ وأحمد بن الحسين شهاب الدين الاصبهاني صاحب كتاب غاية الاختصار ؛ ويعقوب بن إسحاق النيسابوري صاحب المسند الصحيح المخرج

على كتاب مسلم بن الحاج ؟
وأحمد بن عبد الله أبو نعيم صاحب الخلية ، وابن خلkan صاحب وفيات
الأعيان ، وأحمد بن محمد الثعلبي المفسر^(١) .

ولورمت أن أمشي معك على هذا الخط فسنصل إلى نسب عالية جداً من الناحية الكمية من نسبة العلماء والمؤرخين والمفسرين من الفرس ، إن الفكر السفي بكل أبعاده مدین للفرس ومصبوغ بالفارسية وحتى الإمام محمد بن عبد الوهاب تربى ونشأ ويتثقف على أيدي الفرس وكانت تربيته وثقافته بين كردستان وهمدان ، وأصفهان وقم كما نص على ذلك جماعة^(٢) . ومن الجدير بالذكر أن الألسنة الطويلة والبذيئة والمتسرعة التي تفترى ما تشاء على الفرق الإسلامية وخصوصاً على الشيعة هي السنة فارسية . وسأقدم لك نموذجين من هذا الصنف الذي ليس على ضميره ولسانه رقيب وما عند قلمه شعور بالمسؤولية .

(١) انظر في تراجم مؤلّاه معجم المؤلّفين للكحاله ج ١ ص ٢٠٦ ، وفجر الإسلام ص ٢٤١ والكتف والألقاب للقمي ج ١ ص ٦ فصاعداً .
(٢) زعاء الإصلاح لأحمد أمين ص ١٠ .

نموذجان من السنة الفرس

١ - الشهريستاني محمد بن عبد الكريم صاحب كتاب الملل والنحل من أهل شهرستان :

وهي بليدة بين نيسابور وخراسان ، إن هذا الرجل قد كتب عن الفرق الإسلامية فخلط وحيط خبط عشواء وافتوى ونسب أموراً بدون علم وثبت حتى شحن كتابه بزاد موبوء ، وخلف تركة من الإفتاء تأخذ منها الأقلام والله تعالى سائله عن ذلك وقبل أن أقدم لك خلاص من كتاباته أود أن أذكر لك بعض آراء قومه فيه .

أ - الإمام الرازى :

يقول في كتابه مناظرات مع أهل ما وراء النهر : المسألة العاشرة متحدثاً عن كتاب الملل والنحل ، إنه كتاب حكى فيه مذاهب أهل العالم بزعمه إلا أنه غير معتمد عليه لأن نقل المذاهب الإسلامية من الكتاب المسمى بالفرق بين الفرق من تصانيف الأستاذ أبي منصور البغدادي وهذا الاستاذ كان شديد التعصب على المخالفين ولا يكاد ينقل مذهبهم على الوجه الصحيح ، ثم أن الشهريستاني نقل مذاهب الفرق الإسلامية من ذلك الكتاب فلهذا السبب وقع فيه الخلط في نقل هذه المذاهب^(١) .

(١) معجم البلدان جـ ٣ من ٣٧٧ .

هذا عن مدى توثيقه بالنقل ، أما دينه وصدقه فيقول فيه بعض قومه ما

يلـ :

ب - ياقوت الحموي في معجمه :

مادة شهرستان قال : ولو لا تخبطه أي الشهريستاني في الإعتقاد وميله إلى هذا الإلحاد لكان هو الإمام ، وكثيراً ما كنا نتعجب من وفور فضله وكمال عقله كيف مال إلى شيء لا أصل له واختار أمراً لا دليل عليه لا معقولاً ولا منقولاً ونوع ذ بالله من الخذلان والحرمان من نور الإيمان وليس ذلك إلا لإعراضه عن نور الشريعة واشتغاله بظلمات الفلسفة وقد حضرت عدة مجالس من وعظه فلم يكن فيها قال الله ولا قال رسول الله ولا جواب من المسائل الشرعية والله أعلم بحاله^(١) .

وبعد تقييم الشهريستاني من قبل قومه أذكر لك شيئاً مما كتبه عن الشيعة لتعرف مدى صدقه ووثاقته يقول عن الإمامية إنهم لم يثبتوا في تعين الأئمة بعد الحسن والحسين وعلي بن الحسين على رأي واحد بل اختلافاتهم أكثر من اختلافات الفرق كلها إلى أن قال : إن الإمام الصادق بريء من خصائص مذاهب الرافضة وحقاتهم من القول بالغيبة ، والرجعة ، والبداء ، والتناسخ ، والحلول ، والتشبيه ، لكن الشيعة بعده أي بعد الصادق (ع) افترقا وانتحد كل واحد منهم مذهباً^(٢) .

إن كل من له إمام بتاريخ الإمامية من الشيعة يعلم أنهم لم يختلفوا في تسلسل الأئمة ابتداء من الإمام علي^(ع) حتى الإمام الثاني عشر محمد بن الحسن (ع) والإمامية على ذلك منذ وجدوا ، أما ما ذكره من أن الإمام الصادق (ع) تبرأ من حفاظات الشيعة فهو مغضون افتراض ولم يحدث قط فإن أهل البيت أدرى بما فيه ، ولو كان هنالك شيء من هذا القبيل لذكره غير الشهريستاني أما ما تفضل به على

(١) المناظرات للرازي ص ٢٥ بتوسيط الإمام الصادق جه ص ٤٨

(٢) الملل والنحل هامش الفصل ج ١ ص ١٩٣ ، وحتى ج ٢ ص ٣ .

الشيعة من هذه العقائد التي ذكرها كالتناصح والخلول والتishiء فإن الواقع يكذبها وهذه كتب الشيعة عملاً المكتبات فليذكر لنا أين آرائهم بالتناصح اللهم إلا أن يكون كلامه عن أمّة بائدة كانت تقول بذلك قبل هذا . نعم ، الشيعة تقول بغيبة المهدي عن المعرفة بمعنى أنه يرى ولا يعرف فهو موجود بين الناس ولكن لا يعرفونه وهو يدلي برأيه أحياناً مع بعض الآراء وقد استفادوا ذلك من جملة من الأخبار التي أوردها علماء المسلمين من السنة والشيعة كالترمذى وابن ماجة وأبي داود وابن حجر وغيرهم ويكشفك الفصل الذي كتبه ابن حجر في الصواعق فراجعه وسنشرح ذلك فيما يأتي من فصول هذا الكتاب ، كما يعتقد الشيعة بالبداء مستفیدین ذلك من الكتاب والسنة :

فالكتاب كقوله تعالى : ﴿يَحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعَنْهُ أَمُّ الْكِتَابِ﴾
الرعد / ٣٩ .

وأما السنة فمثل ما رواه البخاري في الصحيح عن النبي (ص) أن ثلاثة من بنى إسرائيل أبصر وأعمى وأقرع بما أعلمهم فبعث إليهم ملكاً
الخ^(١) .

وكما روى الصدوق في كتابه إكمال الدين وإتمام النعمة بأسناده عن الإمام الصادق (ع) : من زعم أنَّ الله عزَّ وجلَّ ييدُوهُ في شيءٍ يعلمهُ أمسَ فابرُؤْهُ منه^(٢) . والبداء عند الشيعة بمعنى الإظهار لا يعني أنَّ الله يعلم بعد جهل تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ، أي أنَّ الله تعالى تعلق بوقوع أمر في الخارج ولكن بشرط موقفيته على عدم تعلق مشيئة الله تعالى بخلافه . وهذا هو مورد البداء وحمل البداء من أقسام القضاء الإلهي .

ونظراً لأهمية موضوع البداء وما ثار حوله من نزاع بين المسلمين فإنَّ أحيل

(١) صحيح البخاري ج٤ ص ١٤٦ باب ما ذكر عن بنى إسرائيل .

(٢) البيان للخوئي ص ٣٩٠ .

القارئ إلى فصل مهم ممتع كتبه الإمام الخوئي في كتابه البيان مقدمة تفسير القرآن^(١).

أما موضوع الرجعة عندهم فهو مجرد فهم من كتاب الله تعالى لبعض الآيات ولضمون تلك الآيات ، ذلك بالإضافة إلى روایات كثيرة تدعم تلك المضامين ، وهي : أعني الرجعة ليست من ضروريات الإسلام عندهم . وبواسع القاريء الرجوع إلى قوله تعالى : «وَيَوْمَ نُحْشِرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا» النحل /

. ٨٣

وقوله تعالى : «وَحَسْرَنَاهُمْ فَلَمْ نَغَدِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا» الكهف / ٤٧ .
فقد ورد في كثير من التفاسير عند الجمع بين الآيتين ما يفيد أن هناك حسراً قبل الحشر الأكبر وفيه روایات عن أهل البيت ، وقد عقد الشيخ الصدوقي في كتابه الإعتقادات فصلاً عن الرجعة ذكر فيه دلالة الآيات والأحاديث على ذلك وقال في آخره مستدلاً بقوله تعالى :

«وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مِنْ يَمُوتُ بِلَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ» النحل / ٣٨ ، ثم يقول بعد هذه الآية مباشرة :
ليبين لهم الذي يختلفون فيه ، والتبين إنما يكون في الدنيا لا في الآخرة فالآلية واردة في الرجعة كما فهم منها الصدق ، إلى أن يقول الصدق منبهأ إلى أن البعض قد يفهم من عقيدة الشيعة القول بالتناسخ فيقول في ذلك والقول بالتناسخ باطل ومن دان بالتناسخ فهو كافر لأن في التناسخ : إبطال الجنة والنار ، إنتهى كلامه^(٢) .

فالمسألة في الرجعة إذاً لا تعدو فهماً من كتاب الله تعالى بإمكان وقوع رجعة في فترة معينة وكل ذلك لا يستوجب هذه الجلبة والضوضاء في كتب السنة ، وكم

(١) البيان للخوئي ص ٣٨٥ فصاعداً

(٢) الشيعة والرجعة للطبيسي ج ٢ ص ٢٤٨ .

من آراء لأهل السنة سنمر إن شاء الله على بعضها وهي قد تستوجب ضجة ولكن كتاب الشيعة يعالجونها من زاوية علمية بدون تهريج ويحترمون فهم كل كاتب ما دام له منشأ انتراع من نص من القرآن أو السنة ، وأعود بعد ذلك للشهرستاني فهو عندما يعدد الأئمة يقول : إن الشيعة ساقوا الإمامة بعد موسى بن جعفر فقالوا والإمام بعده علي بن موسى الرضا ومشهده بطورس ثم بعده محمد التقى وهو مقابر قريش ثم بعده علي بن محمد التقى وهو مشهده بقم ، وبعده الحسن العسكري الرزكي وبعده أباه محمد القائم المتظر ، هذا هو طريق الإثنى عشرية^(١) وكل الباحثين يعلمون أن الشيعة لا يقولون إن ابن محمد التقى مدفون بقم لأنّه مدفون بسامراء ويزوره الآن الناس والمدفونة بقم شقيقة الإمام الرضا صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .

٢ - ابن حزم الأندلسي :

هذا النموذج الثاني الذي أقدمه وهو من الذين سلطوا لسانهم على المسلمين إنه علي بن أحمد بن حزم الأندلسي الفارسي وهو من موالي يزيد بن معاوية وحسبه بذلك شرفاً وأول من دخل الأندلس من أجداده جده خلف . وكان ابن حزم في أول أمره شافعياً ثم انتقل إلى الظاهرية ، وله كتب كثيرة منها الفصل في الملل والنحل والمحل وغيرها ، ولهذا الرجل قدرة عجيبة على الإفتعال والإخلاق وله جرأة في التهجم على الناس تكشف عن عدم ورع وعدم التزام بالصدق وسأذكر قبل ذكر أقواله آراء قومه فيه وتقييمهم له :

فقد قال فيه أبو العباس بن العريف : إن لسان ابن حزم وسيف الحاج شقيقان . وقال مؤرخ الأندلس أبو مروان بن حيان فيما كتبه عنه في فصل طويل منه قوله : وما يزيد في بعض الناس له حبه لبني أمية ماضيهم وباقיהם واعتقاده بصحة إمامتهم حتى نسب إلى النصب .

وقال ابن العماد الحنفي كان ابن حزم كثير الوقوع في العلماء والمتقدمين لا

(١) الملل والنحل فصل الشيعة .

يكاد يسلم أحد من لسانه فنفرت منه القلوب .

ويقول عنه مصطفى البرلسي البلاقي : أما ابن حزم فالعلماء لا يقيمون له وزناً كما نقله عنهم المحققون كالتابع السبكي وغيره لأنّه وأصحابه ظاهريّة محضة تكاد عقولهم أن تكون مسخة ومن وصل إلى أن يقول إن باه الشخص في الماء تنفس ، أو في إناء ثم صبه في الماء لم يتتجس ، كيف يقام له وزن وبعد في العقلاء فضلاً عن العلماء ، ولا بن حزم هذا وأضرابه من أمثال هذه الخرافات الشيء الذي لا ينحصر ، ومن تأمل كذبه عن العلماء ولا سيما إمام أهل السنة أبو الحسن الأشعري علم أنّ الأولى به وبأمثاله أن يكونوا في حيز الإهمال وعدم رفع رأس لشيء صدر منه ، راجع فيما كتبناه عن ابن حزم المراجع أدناه فقد أفادت في ترجمته وشرح حاله^(١) .

وبعد شهادة هؤلاء الأعلام التي هي في الواقع رمز لمحصلة الآراء عن ابن حزم عند العلماء فإنّ لا استكثر عليه أن يقول في آخر الفصل الذي كتبه عن الشيعة : والقوم يعني الشيعة بالجملة ذروا أديان فاسدة وعقول مدخلولة وعديموا حياء نعوذ بالله من انضلال^(٢) .

إذا كان هذا وأمثاله كالشهرستاني هم الذين يكتبون عن عقائد وفقه وسلوك الفرق الإسلامية فهل يمكن للأجيال أن تثق بتاريخها وسيرتها أسلافها والأنكى من ذلك أنّ الذين ينتقدون الشهرستاني وابن حزم وأمثالهما فإنّهم إنما يحملون عليهم إذا وخزوهם أو شتموهم ، أما إذا شتم الشهرستاني أو ابن حزم غيرهم كالشيعة مثلاً فهو صادق وتؤخذ أقواله ولا تثير حساسية .

(١) شذرات الذهب ج ٣ ص ٢٩٩ ، والسيف البصري للبرلسي رسالة صغيرة مع عدة رسائل ، ووفيات الأعيان ج ١ ص ٣٦٩ ، ولسان الميزان ج ٤ ص ١٩٩ فصاعداً .

(٢) الفصل في الملل والنحل ج ٤ ص ١٨١ .

مثال ثالث

وسترد علينا أمثلة لذلك ، ولكنّي أستعجل لك مثلاً واحداً منها يعيش في القرن العشرين في عصر الذرة وتحت أروقة جامعة حديثة وهو محمد حسن هيتو محقق كتاب المخول للغزالى فإنَّ هذا الرجل عندما يمر ببعض المواقف الحدية للغزالى من بعض المذاهب الإسلامية كالأمام مالك والإمام أحمد بن حنبل والإمام أبي حنيفة فيذكر بعض آرائهم ناقداً لها حيناً ومستهجناً حيناً آخر ، مثلاً يذكر الغزالى عن أبي حنيفة رأيه في أقل الصلاة وهي : وضعه بالنبيذ في أولها وحدث في آخرها للخروج منها وبين ذلك نظر كثير الغراب واكتفاء من القراءة بكلمة مدهامتان باللغة الفارسية إلى آخر ما ذكره عن أقل الصلاة في رأي أبي حنيفة ، وكما ذكر رأى مالك بجواز قتل ثلث الناس إذا كان ذلك يؤدي إلى صلاح الثلثين الباقيين ، وهكذا آراء بعض الأئمة التي ذكرها .

إننا في مثل هذا نرى محمدحسن هيتو يقع في ورطة فلا يدرى أينفي ذلك وفيه تكذيب للغزالى ، أم يثبت ذلك وفيه طعن على أئمة المذاهب ، فتراه مرة يقول أنَّ هذه الأقوال نتيجة لمرحلة مر بها الغزالى ، وتخلص منها بعد ذلك ، ومرة يقول إنَّ الغزالى فرد من مدرسة تؤيد أهل الحديث وتطعن في أهل الرأى وإنَّ ذلك تعصب أقلع عنه الغزالى بعد ذلك كما هو واضح في مؤلفاته التي صدرت بعد ذلك كالمستصفى المتأخر عن المخول ، على أنَّ هذا الإعتذار لا يحل المشكلة التي هي كون الغزالى إما صادقاً وإما كاذباً . إنَّ الذي يعني هنا أنَّ هيتو إذا مرَّ الغزالى بالرافضة وشتمهم لا نجد له يعلل ذلك الشتم بعصبية أو غيرها كأنَّ الشيعة يستأهلون الشتم بدون نزاع وكأنَّ الحرص على وحدة المسلمين ليس من موارده هذا المورد هذا إذا كان الشيعة مسلمين في نظر هؤلاء وإنَّ فالمسألة سالبة بانتفاء الموضوع كما يقول علماء المنطق ، وعلى كلِّ أفت النظر إلى ما كتبه هيتو عن الغزالى^(١) : والله المستعان على ما يصفون .

(١) المخول للغزالى ص ٣٥٤ ، ٤٨٨ .

وعوداً على بدء نقول إنَّ ما قدمناه من شواهد وأمثلة كافٍ في تحديد موقع السنة من الفرس وتحديد مكان التشيع من العروبة لمن يعتبر هذا سبة وذلك فضيلة ، أما المسلم الذي شعاره شعار القرآن فإنَّ المسلمين عنده أكفاء بأموالهم ودمائهم وأعراضهم وأنسابهم ، وإذا كانت هناك آثار متولدة من وحدة العرق والدم فلنها سواء عند الفارسي الشيعي والفارسي السني ولا يمكن التفرقة بين الشيء نفسه ، وإلى هنا تكون قد أعطينا صورة عن الهوية العرقية للتشيع والتدين وبواسع طالب المزيد أن يتخذ من هذه الدراسة منهجاً وينحو هذا النحو في التوسيع بالدراسة المختصة بهذا الموضوع .

الفصل السادس

أسباب رمي التشيع بالفارسية

١ - للإجابة على هذا السؤال نقول :

إنَّه لا خصوصية لهذه التهمة بالفارسية، وإنما هي صورة من صور رمي التشيع بكل ما هو مكروه ، ولما كانت العلاقات بين الفرس والعرب قد ساءت بعد أن امتد نفوذ الفرس في دولة الإسلام كما أشرنا إليه سابقًا شاء أعداء الشيعة أن يرمونهم بالفارسية ليضيفوا إلى قوائم التهريج قائمة أخرى هذا من جانب ومن جانب آخر لما كان الشيعة منذ فترة تكوينهم من المعارضين للحكم لأنَّهم يرون أنَّ الخلافة بالنص وليس بالشوري وأنَّها بعلٍّ (ع) وولده وإنما تنازل عنها وسكت حرصاً على مصلحة المسلمين وتضحيه بالمهم في سبيل الأهم وقد حفظ بذلك بىضة الإسلام ، وأنَّ عقيدتهم هذه جرَّت عليهم الملاحقة خصوصاً أيام معاوية وما تلاها إلى العصور المتأخرة ، وللإمعان بالتنكيل بهم وإبعادهم عن الساحة حشلت لهم السلطات كل ما تملك من وسائل التحطيم المادي منها والمعنوي فاعتبرتهم خوارج عن جسم الأمة ، ونسب إليهم من الآراء ما هو بعيد عن روح الإسلام وصورتهم بأنَّهم دعاة فوضى ولاحقتهم بكل صنوف الملاحقة وكان من ذلك أنها استغلت الشعور المتلهف ضد الفرس منذ أيام الإحتكاك بين العرب والفرس فرمتهم بأنَّهم ورثة الفرس وحملة عقائدهم فأضافتها إلى قائمة التهم التي أصبحت لا تعد ولا تحصى وأخذ كل خلف يضيف إلى القائمة التي وضعها السلف بدون تخرج ولا رادع من مسؤولية أو ضمير وأين المسؤولية والسيف

والقلم والحكم والأموال بيد خصوم الشيعة ، وانتهى الأمر إلى أن تتفجر العبريات بألوان الإختلاف ، وأصبح كل حامل سلاح لا يعرف مدى مضائه يغيره بجسم الشيعة ، وكل من لا يعرف نفسه يتحسّن بطولتها بالسباب والتهمج على الشيعة ، وبالإختصار أصبح الشيعة مختبراً لممارسة البطولات من كل حامل سلاح حتى ولو كان سيفه مثليوماً ويده ترتعش .

٢ - السبب الثاني في رمي التشيع بالفارسية :

هو ما ألمحت إليه سابقاً من أنَّ الفارسية ما كانت سبة يوم كان الفرس سنة وإنما عادت سبة يوم تشيع قسم من الفرس ودليل ذلك أنك ترى الطبقة الأولى والثانية من الذين تهجموا على الشيعة وكالوا لهم التهم لم يضعوا في قائتهم تهمة الفارسية وبوسعك الرجوع إلى ما كتبه ابن عبد ربه الأندلسي في العقد الفريد بالفصل الخاص بالشيعة وارتجل لهم المثالب والمطاعن فيه فإنك لا تجد هذه التهمة ضمن التهم^(١) . وكذلك لوراجعت ما كتبه الشهريستاني في ملل ونحله وما ذكره عن الشيعة فسوف لا تجد تهمة الفارسية من التهم التي ساقها^(٢) .

وأما شيخ أهل السباب وصاحب اللسان الذي ما عرف الورع فإنه برغم ما صال به وجال وبرغم ما أملأه عليه الهوى فإنه لم يذكر للشيعة هذه التهمة^(٣) .

نعم ذكر ابن حزم أنَّ هناك أفراداً من الفرس شيعة في بعض استطراداتاته حتى جاء المقرizi في القرن التاسع فرام أن يصوِّر أنَّ التشيع فارسي فالمسألة جاءت متأخرة^(٤) وهكذا المتأخرون عن هذه الطبقة لم ترد في قائمة هؤلاء هذه التهمة وإنما جاءت من بعد القرن التاسع وبدء القرن العاشر ، والغريب أن يكون بعض فرسان هذه الحملة من الفرس أنفسهم أرادوا أن يظهروا أنفسهم بأنهم أحقرص

(١) العقد الفريد ج ٢ ص ٤٠٤ نصاعداً .

(٢) الملل والنحل هامش الفصل ج ١ ص ١٩٥ .

(٣) الفصل في الملل والنحل ج ٤ ص ١٧٩ .

(٤) دراسات في الفرق والعقائد ص ٢٥ .

علىعروبة من العرب أنفسهم ورحم الله من يقول :
 رفقاً بنسبة عمرو حين تشبه فإنه عربي من قوارير
 ولا أستبعد أن له هدفاً خبيئاً من وراء ذلك وبذلك كانوا أساندة
 للمستشرقين كما سيأتي :

٣ - السبب الثالث في رمي الشيعة بالفارسية :

يكون في قوة استدلال الشيعة بأن الخلافة بالنص وليس بالشوري ، لأن القائلين بالشوري يستدلون بقوله تعالى : «وأمرهم شوري بينهم» الشوري/ ٣٨ ، ويقوله تعالى : «وشاورهم في الأمر» آل عمران / ١٥٩ ، مع أن الآيتين أجنبستان عن الموضوع لأن قوله تعالى «وأمرهم شوري بينهم» مدح للأنصار الذين كانوا قبل الإسلام إذا أرادوا عمل شيء تشاوروا فيما بينهم ولم يستبدوا بأرائهم ، وأما قوله تعالى «وشاورهم» الخ فإنه أراد تطبيق قلوبهم وإشعارهم بأنهم أهل للمشاورة ليرفع من معنوياتهم فكان النبي (ص) يشاورهم في أمور الحرب وبعض الأمور الدنيوية وبواسع القاريء الرجوع إلى التفاسير المحترمة مثل تفاسير الفخر الرازي والكتشاف للزمخشري ، وجمع البيان للطبرسي وغيرهم فإن كل هؤلاء نصوا على ما ذكرته وقالوا : إن مشاورة النبي (ص) لل المسلمين فيها لم يرد فيه نص وذلك عند تفسيرهم للآيتين المذكورتين .

فالآياتان لم يتزلا في تشريع منهج لاختيار الإمام عن طريق الشوري وإنما أراد بعض الباحثين أن يستفيد من الآيتين ما يلي :

بما أن الخلافة سكت عنها النبي ولم ينص على أحد وبما أن القرآن يمدح الشوري بالأمور المهمة فترجع فيه إلى منهج الشوري^(١) أما الشيعة فقد رفضوا هذا وذهبوا إلى :

أولاً : أن النبي كان إذا أراد الذهاب في سفر لا يترك المدينة بدون خليفة

(١) انظر فجر الإسلام ص ٢٣٤ .

عليها ولو كان سفره ليوم واحد فكيف يترك أمور الناس من بعده بدون راع .

وثانياً : من الثابت أن الشريعة الإسلامية تفرض الوصية على المسلم حتى في بعض الميراث البسيط وفي ذلك يقول القرآن الكريم في سورة البقرة - الآية/ ١٨٠ : **﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدُكُمُ الْمَوْتَ إِنْ تَرَكْ خَيْرًا وَالْوِصْيَةَ لِلْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًا عَلَى الْمُتَقِينَ﴾** فكيف يترك هذا الأمر المهم بدون أن يوصي به الحال أن استقرار الأمة متوقف على ذلك ويدون ذلك يؤول الأمر إلى التنازع .

ثالثاً : تظافرت الأدلة من الكتاب والسنّة على أن الإمامة يجعل من الله ومن ذلك قوله تعالى : **﴿وَجَعَلْنَا هُنَّا أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾** سورة الأنبياء / ٧٣ .

وقوله تعالى : **﴿وَنَرِيدُ أَنْ غَنِّيَّا عَلَى الَّذِينَ اسْتَضْعَفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلُهُمْ أَئِمَّةً﴾** القصص / ٥ .

وقوله تعالى : **﴿وَجَعَلْنَا هُنَّا أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لِمَا صَبَرُوا﴾** السجدة / ٢٤ .

هذه بعض الآيات التي يستدل منها على أن الإمامة يجعل من الله تعالى . بالإضافة إلى نصوص النبي على الإمام من بعده ومن ذلك موقفه يوم الغدير عندما نزل عليه قوله تعالى : **﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلَغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾** المائدة / ٧٠ ، فجمع النبي الناس وخطب خطبته المعروفة وقال في آخر خطبته : « ألسنت أولي بكم من أنفسكم ؟ قالوا : بلى ، قال : اللهم فاشهد وأنت يا جبريل فاشهد وكررها ثلاثة ، ثم أخذ بيده علي بن أبي طالب ورفعه حتى بان بياض إيطيهما للناس وقال : من كنت مولاه فهذا على مولاه اللهم وال من والاه وعد من عاده وانصر من نصره واخذل من خذله والعن من نصب له العداوة والبغضاء » إلى آخر الواقعه .

وقد روى هذا الموضوع مائة وعشرون صحابياً وأربعة وثمانون تابعياً وكان عدد طبقات رواته من أئمة الحديث يتتجاوز ثلثمائة وستين راوياً وقد ألف في هذا

الموضوع من الشيعة والسنّة ست وعشرون مؤلفاً وقد غطوا كل جوانب الموضوع وأشبعوه بحثاً وتحقيقاً فراجع^(١).

وبالرغم من وفرة مصادر هذا النص دلالته الواضحة فإنك لا تعدم من يقول هذا النص تأويلاً سخيفاً ، أو من يقول إنَّ حديث الغدير لم يرد إلا في كتب الشيعة كما يقول أحد شلبي في مؤلفاته ، وقد تسمع من يقول إنَّ الشيعة دسوا هذه الروايات في كتب السنّة وأمثال ذلك من تافه الكلام الذي هو أشبه بخرافات العجائز وعلى العموم إنَّ موضوع الإمامة كتبت فيه عشرات الكتب وهو ليس من صلب موضوعي وإنما فرضته المناسبة استطراداً ، وقد اتضح من هذا أنَّ الشيعة يستندون إلى النص في مسألة الإمامة دون نظرية الشورى ، وذلك لأنَّ الشورى لا سند لها من الكتاب والسنّة في نظرهم وإنما هي مجرد اجتهاد من المسلمين الذين ظنوا أن لا نص هناك ثم أنَّ الشيعة يتسائلون أين هي الشورى وما هي أركانها وشروطها وكيفيتها وهل تحققت في أيام الخلفاء ونصب الخلفاء بموجبها أم لا مع أننا نعلم أنَّ الذين بايعوا الخليفة الأول بالسقيفة اثنان هم الخليفة الثاني وأبو عبيدة ، وعلى رواية أخرى إنَّهم أربعة كما يروي ذلك الحلبـي في سيرته والبخارـي في باب فضل أبي بكر ولذلك ذهب أهل السنّة إلى أنَّ الإمامة تنعقد ببيعة اثنين من أهل الخلـل والعـقد فإنَّ هذه النظرية واضح منها أنها تصحيح للموقف يوم السـقـيفـة ورفع للتناقض في منهج الشورى نظرياً وتطبيقياً فإنه لا عاقـل يمكن أن يتصـور انتـخـاب خـلـيـفـة من قـبـل اـثـنـيـن فـقـط وهـذـان الإـثـنـيـان يـتم تمـثـيل المـسـلـمـين بـهـما ، ولـلـتـأـكـدـ من عـدـدـ الـمـبـاـعـينـ وـنـظـرـيـةـ عـدـدـ أـهـلـ الـخـلـلـ وـالـعـقـدـ رـاجـعـ المـصـادـرـ التـالـيـةـ^(٢).

ولقد صورت البيعة خـير تصـوـيرـ صـادـقـ كـلـمـةـ الـخـلـيـفـةـ الثـانـيـ إنـ خـلـاقـةـ أـبـيـ

(١) الجزء الأول من كتاب الغدير للأميـيـ ، والإصـابةـ لـابـنـ حـجـرـ في تـرـجـةـ الإمامـ (عـ) والإـستـيعـابـ لـابـنـ عبدـ البرـ في تـرـجـةـ الإمامـ عـلـيـ ، وـأـعـيـانـ الشـيـعـةـ جـ ٣ـ ، وـتـفـسـيرـ كـلـ منـ الرـازـيـ ، وـالـدرـ المـشـورـ لـالـسـيـوطـيـ عندـ تـفسـيرـ الـآـيـةـ المـذـكـورـةـ وـتـفسـيرـ مـجمـعـ الـبـيـانـ كـذـلـكـ .

(٢) السـيـرةـ الـخـلـيـفـةـ جـ ٣ـ صـ ٣٥٨ـ ، وـصـحـيـحـ الـبـخـارـيـ بـابـ فـضـلـ أـبـيـ بـكـرـ ، وـالـغـدـيرـ لـالـأـمـيـيـ جـ ٧ـ منـ ١٤١ـ .

بكر فلطة وفى الله شرّها فإنَّ تعبير الخليفة عنها أنها فلطة يؤكّد أنها لم تكن عن منهاج سابق^(١).

لقد بايع الإثنان ثم بعد ذلك قتلت البيعة كما رسمها المؤرخون ولم ت تعد بعض أرباب المدينة فهل كانت شورى تقوم باثنين أو حتى بالمدينة كلها مع أنَّ مفاد قوله تعالى ﴿وَأُمِرُّهُمْ شُورَى﴾ يتناول المسلمين كافة وإذا كانت لا تتناول المسلمين كافة فلا تنهض بالدلائل كما هو واضح ، وأروع من ذلك كله أن ترى فقيهاً من فقهاء أهل السنة يقول : إنَّ معنى الشورى يتحقق ولو ببيعة واحد ، وهو ابن العربي المالكي وذلك عند تفسيره لمعنى الشورى .

ثم يرد تساؤل آخر هو هل أنَّ الخليفة الثاني جاء إلى الحكم عن طريق الشورى أم عن طريق تعين الخليفة الأول له كما هو واقع الحال^(٢)؟ ويساءلون ثالثاً هل أنَّ الخليفة الثالث جاء إلى الحكم عن طريق الشورى أم عن طريق خمسة عيّنهم الخليفة الثاني ولم يؤيده منهم إلا ثلاثة^(٣) إنَّ كل باحث موضوعي لا يمكن أن يستند إلى صدور نظرية الشورى عن الشريعة الإسلامية لأنظرياً ولا تطبيقياً .

والآن لنرجع للأمر الثالث فنقول إنَّ نظرية الشورى لما كانت غير تاهضة بينما نظرية التعين تقف على أرض صلبة أراد البعض أن يبعد هذه النظرية عن إطارها الإسلامي فافترض أنها نظرية كان يذهب إليها الفرس ويررون أنَّ ملوكهم حكموا بالحق الإلهي وحيث أنَّ الحسين صاهر الفرس فتزوج بنت يزدجرد انتقل إليه هذا الحق الإلهي وقد سبق استعراض هذا المعنى في أول الكتاب .

فالمهدف إذاً دفع نظرية النص والوصاية عن كونها من الإسلام وجعلها من مورثات الفرس التي نقلوها معهم لما دخلوا إلى التشیع ، فإذا قلت هؤلاء إنَّ الوصاية ثبتت بنصوص قبل دخول الفرس للإسلام قيل لك إنَّ هذه الروايات دسها الشیعہ في كتب السنة فإذا ذكرت لهم عدة طرق للرواية قيل لك إنَّ الوصاية

(١) انظر تاريخ الطبری ج-٣ ص ٣٣٠ و ٣٠١ .

(٢) تاريخ الطبری ج-٤ ص ٥٤ .

(٣) الطبری ج-٩ ص ٣٥ .

التي تذهبون إليها إنما هي في أمور بسيطة بيته وليس لها صلة ب موضوع الخلافة وهكذا ، هذه في نظري أهم الأسباب التي رمي التشيع بالفارسية من أجلها وهو زعم أصبح يفند نفسه بنفسه لوجود الواقع الخارجي الذي يعيّن هوية التشيع بصورة مجسدة ، جاء المستشرقون بعد ذلك فضربوا على هذا الوتر ومعهم تلاميذهم يرقصون على أنغامهم إنَّ أهدافَ كثيرون من المستشرقين لا تخفي لأنَّها تستهدف صيد عصافورين بحجر ، فإنَّ الهدف الأساسي ضرب وحدة المسلمين ، وبعد ذلك تزييف ركائزهم الفكرية ، لأجل ذلك تجد كتب المستشرقين تؤكِّد على هذه النقطة وترتب عليها آثاراً كثيرة ، وكان هذا الموضوع مختص بالشيعة فقط أما السنة الفرس فهم محروسو من أن يتدسّس إليهم الفكر الفارسي حتى ولو كان ثمانون بالمائة من الفرس منهم .

ولست أنفي أن تكون هناك أسباب أخرى لرمي التشيع بالفارسية قد يكون منها أحياناً بعض الإستنتاجات المخطئة أو سوء الفهم الذي يعتبر كل التقاء بين نظريتين هو تأثير وتأثير وقد يكون صدفة ، إنَّ مجرد التقاء نظرية للشيعة مع نظرية للفرس لا يشكل مبرراً بحال من الأحوال لاعتبار الفكر الفارسي مصدر العقائد الشيعية ، لوضوح أنَّ الفكر الديني في العقائد والأحكام مصدره الكتاب والسنة ، في حين أنَّ نظريات الفرس هي نظريات وضعية لا تستند إلى شريعة واحدة أو متعددة حتى يقال إنَّ هؤلاء أخذوا من هؤلاء .

كيف صار الفرس شيعة

إذا حاولنا مسح الأبعاد التاريخية البيئية للفرس نجد أنَّ من تشيع منهم يقسمون أقساماً :

١ - القسم الأول :

وهو القسم الذي تشيع بعملية انتقاء و اختيار عن طريق الصحابة الذين رافقوا عمليات الفتح ونقلوا معهم عقائدهم وفكّرهم الشيعي وقد ساعد على

ذلك أن اعتناق التشيع آنذاك لا يسبب لهم ضرراً لأن العملية كانت شيئاً طبيعياً ويعدهم عن مواطن الإحتكاك ولأن الفكر كان ضمن نطاق الأمور العقائدية ولا يتجسد في فعاليات سياسية ومن أبرز مواطن التشيع في هذا القسم خراسان ، ثم قم بعد ذلك .

٢ - القسم الثاني :

هم الذين تشيعوا تعاطفاً مع الشيعة الذين ناهم الإضطهاد بعد ذلك وهذا القسم جمعه الإضطهاد معهم لأنه كان مضطهداً ومن هؤلاء الموالي في قسم كبير منهم من كان داخل بلدان الخلافة أو الذين لحقهم الإضطهاد داخل إيران وقد بدأت تصل إليهم أنواع من المهاجرين المضطهددين لأجل تشييعهم والذين دفع منهم زياد بن أبيه خمسين ألفاً إلى خراسان حتى يخلص الكوفة من العناصر الشيعية الصلبة^(١) والإضطهاد قرابة أحياناً ، وكان بعد ذلك أن تمازجت أفكارهم بعد اللقاء مشاعرهم وصار الفكر متبدلاً بينهم وساعد على ذلك استمرار الإضطهاد فترات امتدت طويلاً والعقائد كثيراً ما يرسخها الإضطهاد .

٣ - القسم الثالث :

الذين تشيعوا عن طريق اللقاء الثقافي المعمق لأن الشيعة اضطروا إلى تعميق ثقافتهم وولوج مختلف ميادين المعرفة للدفاع عن وجودهم والذود عن عقائدهم بالنظر إلى تعرضهم إلى وضعيات شرسة خصوصاً وأن الحكم ووسائل القوة ليست بأيديهم ، وكان أن استهوت ثقافتهم قطاعاً كبيراً من الفرس نظراً لخلفيتهم الحضارية ونهوض الحجة في نظرهم لكثير من معتقدات الشيعة التي لم يدعمها سيف ولا بريق مال ولا طمع في حكم بل لمجرد الإقتناع بصحمة أدلةهم .

٤ - القسم الرابع :

هم الذين دخلوا التشيع مع التيار الذي صنعه الحكم وأعلنوا ضرورة

(١) الطبرى ج ٦ ص ١٢٦ طبعة ١٩٣٢ .

العدول إلى مذهب الشيعة وهو لاء قلة لا يعتد بها وقد تظاهرت بذلك لأنه لا يمكن للعقائد أن تفرض فرضاً وذلك حينما أعلن خدابنده ثم الصفويون في بداية القرن العاشر رسمية المذهب الشيعي وذلك مثلاً حدث لديار بكر وربعة التي كانت شيعية أيام الحمدانيين ثم حولها الحكماء إلى سنية ، وكما حدث لمصر بعد حكم الفاطميين إذ حولت إلى سنة أيام الأيوبيين وكما حدث ذلك لكثير من البلدان .

ولست أزعم أنه لا يوجد من قد يكون دخل التشيع ولو أهداف غير سليمة وليس ذلك بذنب للتشيع فكثير من اليهود دخلوا الإسلام وتظاهروا بذلك وفي نفوسهم أهداف خبيثة ولا تعتبر الإسلام مسؤولاً عن ذلك كما أن هذه الفصيلة التي تدخل الإسلام أو التشيع وهذا أهداف مسمومة لا تundo أصابع اليد ولا تشكل خطراً بدليل أن جوهر الإسلام حفظ رغم وجود أمثال هؤلاء ، وليس من المنطق في شيء أن ننتزع حكماً عاماً على مذهب من المذاهب لأن بعض الأفراد المندسين فيه عرموا بنظريات هداة ، لا سيما إذا كانت أسس المذهب واضحة لا تلتقي مع المندسين بشكل من الأشكال ، فالإصرار على تحويل مذهب مسؤولية فعل فرد مندس فيه عملية إما أن تكون مشبوهة وغير نظيفة وإما أن تكون بلها لا تتصرف بمقاييس .

الباب الثالث
هوية التشيع العقائدية
وفيه فضول

الفصل الأول

التوطئة

قبل الولوج في صلب الموضوع لا بد من الإشارة إلى نقاط يتعين البدء بها تجنبًا عن الخلط الذي يقع فيه كثير من الباحثين لسبب أو آخر وينتهي الأمر إلى التحيّي على الحقائق وإلى الخلط وإلى أقوال هي بالمرزل أشبه منها بالجد .

والمؤسف أنَّ مثل هذه الأقوال المزبورة بقيت مع التاريخ كأنَّها حقائق مقدسة وكأنَّها مسلمات لا تقبل النقاش يأخذها المتأخرُون من المتقدمين بدون الرجوع إلى تحريص أو إلى مقاييس ، فما أعظم مسؤولية هؤلاء الذين رحلوا وخلفوا هذه التركة الموبوءة وهذا الزاد المسموم الذي ابتلي به المسلمين والله المستعان على الخلاص منه وهاهنا نقاط سنجعلها توطئة لهذا العنوان حتى إذا دخلناه فعلى بصيرة .

١ - النقطة الأولى :

إنَّ الشيعة الذين أكتب عنهم هنا وأذكر آرائهم أو أدافع عنهم ينسب لهم هم الإمامية الإثنى عشرية الذين يؤلفون الجمهر الشيعي اليوم والذين عملاً كتبهم مكتبات العالم وإن شئت فقل الذين تعيش أفكارهم فعلاً وتتجسد في سلوك حيّ ، وتدون اراؤهم فعلاً في الفقه والعقائد والتاريخ ، ولست أتكلّم عن يسمى شيعياً لغة لأنَّه ذهب إلى تفضيل عليٍّ (ع) على غيره فعرف بالتشيع من أجل ذلك وما عدى ذلك فليس له مضمون عقائدي أو فقهي في أبعاد التشيع ، فهناك

من سمي شيعياً وليس له من مضمون إلا أنه يعتقد أنَّ علياً أفضَّل من غيره. وأنَّ حيَّ لم يمت وقد انقرض هؤلاء الأشخاص من الوجود وهناك من يعدهم فرقة شيعية إلى الآن .

إنَّ مثل هذا القول يصححه ويبيكي ، فهو يصحح لأنَّ مثل هؤلاء الأفراد يسمون فرقة ، ويبيكي لأنَّ المسلمين وصل بهم الإسفاف إلى حد جعلهم يلتمسون أمثال هذه الحالات للتبرير بعضهم على بعض . ودعني أضرب لك مثلاً في مثل هذا الموضوع فانتبه له :

فقد ذكر الرازبي في كتابه اعتقادات فرق المسلمين: أنَّ من فرق الشيعة فرقة الكاملية وقال عنها ما يلي بالحرف الواحد :

وهم يزعمون أنَّ الصحابة كلهم كفروا إذ فوضوا الأمر إلى أبي بكر ، وكفر عليٌّ حيث لم يحارب أبي بكر ، إنَّ هؤلاء الأشخاص الذين لم يبين الرازبي موقعهم ولا عددهم هم فرقة في نظره وكل مضمونهم الفكري هذه الكلمات الأربع ، ثم أنَّهم يكفرون الإمام علياً وهم مع ذلك شيعة في نظر الرازبي ، هل سمعت بالأكسوس عريض اللحية ، إنَّه هؤلاء هل رأيت هذا التناقض شيعي يتسبَّب لعليٍّ وهو يكفر علياً ، هل رأيت الخصومة كيف تنسى الإنسان حتى البدويات ، وأي إنسان إنَّ الرازبي صاحب العقلية الكبيرة ومع ذلك يصل إلى حد هذا الإسفاف اللهم إنا نعوذ بك من الخذلان فراجع ما كتبه الرازبي عن هذه الفرقة ونظائرها وقف بنفسك على هذا التناقض^(١) .

٢ - النقطة الثانية :

إنَّ بعض ما يسميه كتاب الفرق بأنه فرقة قد لا يتجاوز فرداً واحداً له رأي شاذ ، وقد لا يتجاوز عدد أفراد الفرقة على أحسن الفروض عشرة أفراد ، وقد يكونون منقرضين لا يوجد لهم أثر إلا في مخيلة البعض أو في وريقات من كتب

(١) اعتقادات فرق المسلمين ص ٦٠ .

مهجورة ، فماذا تكون نسبة مثل هؤلاء إلى الأمة حتى يسمون فرقة . هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى إذا كانت كل فرقة تؤخذ برأي فرد شاذ منها ويسمى ذلك الشاذ فرقة فإن كل فرقة يمكن أن تنقسم حيتاً إلىآلاف الفرق وسوف يتضمن الأمر إلى أن يعد كل فرد أمة برأسه فلا يوجد شخص ليس له ما يمتاز به عن غيره في بعض الآراء السليمة ، أما الآراء الشاذة فما دامت لا تعد من الآراء السائدة والمتعارف عليها عند الفرق فلا تعتبر من آرائها وقد بادت بعض الفرق ومع ذلك فلا تزال آراؤهم تلقى على بعض من يعيش اليوم مع أنه بريء منها .

٣ - النقطة الثالثة :

يتحتم على كل كاتب إذا أراد أن يكون لرأيه وزن أن يشعر بمسؤولية الكلمة لما يترتب على الكلمة من آثار ولو ازماً لها خطرها وفعليها في المجتمع ، فلابد حين الكتابة من أن يعتمد على مصادر الفتنة نفسها التي يكتب عنها على أن يكون ذلك المصدر أو الكتاب من الكتب المعتبرة عند الفتنة والمسالم عليها أنها تمثل الفتنة وتشكل محصل آرائهم وجماع مذهبهم كالصحاح عند السنة والصحاح عند الشيعة فيها تسلموا عليه من روایاتها واعترفوا بصحته لا كل ما يرد فيها فإن في كتب الصحاح عند الفريقيين ما لا يعترف به^(١) . كل ذلك مع اعتماد الموضوعية والبحث عن الحقيقة ، فضلاً عن أن يكتب الباحث عن فرقه ويكون مصدره في البحث عنها من مؤلفات خصومها ، وليت الخصوم الذين يستند إليهم من يعرف بالصدق والإستقامة ولكنهم يستندون إلى أقوال من عرف بالوضع والإفتعال وعدم التحرج فيرسلون رأيه إرسال المسلمين ويرتبون على كلامه كل اللوازم لتلك الكلمات . وهذا وضع من شأنه أن يسقط كل أمثال هذه الكتب عن الإعتبار فمتي كان الكذب والوضع مصدرًا عن أحوال الناس والله تعالى نهانا عن تصديق الفاسقين .

(١) دراسات في الكافي والصحح لهاشم معروف طبعة بيروت الأولى .

٤ - النقطة الرابعة :

أن يكون الكتاب الذي يؤخذ مصدراً من الكتب ذات الإختصاص بموضوعه فلا يمكن أخذ رأي فقهى لبعض الفرق من كتاب أدب أو قصص ولا تؤخذ عقيدة فئة من ديوان شعر كما رأينا البعض يفعله فإن لكل فرع من فروع المعرفة كتاباً تختص به فينبغي الرجوع إليها إذا كان توخي الدقة فيها نكتب وإنما نكتبه سوف لا يوصف بالعلمية .

إن الملاحظ أن كتب الأدب عندنا تحفل بالأراء العقائدية والفقهية ويتخذها كثير من الكتاب مصدراً عما يكتبه من عقائد وأحكام الفرق ، ولست أريد أن أقول إن جميع كتب الأدب عندنا لا يعتمد عليها كلا ، وإنما المقصود أن الكتب ذات الإختصاص تكون الصدق موضوعها وأكثر إحاطة وبذلك توفر مصدراً موثقاً .

٥ - النقطة الخامسة :

إن معالجات كتاب الفرق فيما يقومون به من تقييم للفرق هي معالجات غير علمية وذلك لأن المفروض أن تكون العقائد والأحكام عند الفرق مصدرها واحداً من مصادر التشريع المعترف بها والتي تقرها الشريعة كالكتاب والسنة والإجماع وغيرها . فإذا ذهب الشيعة مثلاً إلى نظرية التعين في الخلافة وأوردوا دليلاً من الكتاب أو السنة فينبغي النظر إلى دليلهم فإذا كان الدليل مستوفياً لشروط الصحة فيها وإنما نقش الدليل علمياً . لا أن يقال : إن الفرس يرون لملوكهم حقاً إلهياً بالحكم وما أن الشيعة يقولون بالنص لا الشورى فهم قد أخذوا بذلك من الفرس إن مثل هذا المنطق لا يصدر عن عقلية ناضجة فمتي كان مجرد الإلتقاء مع الآخرين بنظرية معناه الأخذ منهم . إن الإسلام مثلاً يذهب إلى التأمين في حالات معينة إذا توقفت المصلحة العامة على ذلك والشيوخية تذهب إلى التأمين فهل معنى ذلك أن الإسلام شيعي أو الشيوعية إسلام لأنها التفت مع الإسلام في موضوع معين . إنني أطلب من قارئ الكتاب أن يعود إلى كتب الفرق فإذا وجد

فيها منطقاً غير هذا المنطق فليقل ما شاء ، إنَّ معظم أدلة ابن حزم والشهرستاني وابن عبد ربه الأندلسي ومن لف لفهم من هذا النمط ، وبعضهم يصدر فتاوى بدون دليل وبدون شبهة من دليل وإنما هي مجرد استحسان انقدح في نفسه فأراد أن يدونه بدون مسوٰ ولية . ودعني أضرب لك مثلاً واحداً ذلك هو أنَّ المستشرق وهوزن ذكر أنَّ أصل الشيعة يهودي ، واستند في ذلك إلى قول نسب للشعبي وقد نقله أصحاب كتب الفرق كابن حزم والشهرستاني وابن عبد ربه الأندلسي والقول المنسوب للشعبي هو :

قول للشعبي

قال الشعبي أحذرك الأهواء المضلة : شرّها الرافضة فإنّها يهود هذه الأمة يغضون الإسلام كما يبغض اليهود النصرانية ولم يدخلوا الإسلام رغبة ولا رهبة من الله إنَّ حبة الرافضة حبة اليهود قالت اليهود لا يكون الملك إلا في آل داود وقالت الرافضة لا يكون الملك إلا في آل عليٰ ، وقالت اليهود لا يكون جهاد في سبيل الله حتى يخرج المسيح ، وقالت الرافضة لا جهاد في سبيل الله حتى يخرج المهدي ، واليهود يؤخرون صلاة المغرب حتى تشتبك النجوم وكذلك الرافضة إنتهى بتلخيص^(١) .

تعليقان

هذه القصة استعرضها الدكتور عرفان عبد الحميد في كتابه دراسات في الفرق وعقب عليها ناقداً ومزيقاً بالأمور التالية :

أولاً : إنَّ العقد الفريد وتاريخ الطبرى هي كتب أدب وتاريخ وليس كتب عقائد .

وثانياً : إنَّ الطبرى استند في هذه الرواية إلى سيف بن عمر وهو كذاب

(١) العقد الفريد جـ ٢ ص ٤٠٩ .

مِنْهُمْ بِالوَضْعِ وَقَدْ نَصَّتْ عَلَى كَذَبِهِ كَتَبَ الْجُرْحَ وَالتَّعْدِيلَ وَلَمْ تَأْخُذْ بِأَقْوَالِهِ فِي
شَيْءٍ .

ثالثاً : إنَّ الشَّعُوبَيِّ نَفْسَهُمْ مِنْهُمْ بِالتَّشْيِيعِ فَلَا يَصْدِرُ مِنْهُمْ مِثْلُ هَذَا القَوْلِ إِنَّا
اخْتَارُوهُ فَوَضَعُوا عَلَى لِسَانِهِ هَذِهِ الْقَصَّةَ وَقَدْ عَدَهُ أَبْنَى سَعْدٍ وَالشَّهْرُسْتَانِيُّ شَيْعِيًّا^(۱)
وَأَنَا أُضَيِّفُ إِلَى مَلَاحِظَاتِ الدَّكْتُورِ عَرْفَانَ مَا يَلِي :

أ - سُؤَالٌ عَنْ أَنَّهُ هَلْ لِلْيَهُودِ صَلَوةٌ يُشْتَرِطُ فِيهَا وَقْتُ الْغَرْوُبِ ؟ هَذَا مِنْ
جَانِبِ وَالْجَانِبِ الْآخَرِ هَذِهِ كَتَبُ الشِّيَعَةِ كَافَةً فِي الْفَقْهِ وَأَنَا أَخْتَدِي مِنْ يَجِدُ فِيهَا رَأِيًّا
وَاحِدًا يَذْهَبُ إِلَى أَنَّ وَقْتَ صَلَوةِ الْمَغْرِبِ عِنْدَ اشْتِبَاكِ النُّجُومِ وَإِنَّمَا إِجْمَاعُهُمْ أَنَّهُ بَعْدَ
غَرْوُبِ الشَّمْسِ مُبَاشِرٌ وَيَحْتَاطُونَ فَيُشْتَرِطُ بَعْضُهُمْ ذَهَابُ الْحُمْرَةِ الْمُشْرِقِيَّةِ
فَلِيَرَاجِعَ الْقَارِئُ أَيْ كِتَابٍ فِيهِ مِنْ كِتَبِهِمْ .

ب - أَمَّا الْجَهَادُ فَإِنَّ بَابَ الْجَهَادِ فِي كُلِّ كِتَابِ الشِّيَعَةِ كَفِيلٌ بِالرَّدِّ عَلَى هَذِهِ
الْفَرِيَّةِ فَإِنَّ حُكْمَ الْجَهَادِ عِنْدَهُمْ أَنَّهُ قَائِمٌ فِي كُلِّ وَقْتٍ بِشَرْوَطِهِ كَمَا هُوَ عِنْدَ سَائرِ
الْفَرَقِ الْإِسْلَامِيَّةِ .

ج - أَمَّا كُونُ الْخِلَافَةِ عِنْدَهُمْ فِي آلِ عَلِيٍّ فَلَيْسَ ذَلِكَ مِنْهُمْ وَإِنَّمَا هُوَ استِنَادٌ إِلَى
أَدْلَةِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَقَدْ تَقْدِمُ بَعْضُهَا وَسِيرِدُ قَسْمَ آخَرَ مِنْهَا فَيُنْبَغِي النَّظرُ فِي
أَدْلَتِهِمْ وَالْحُكْمُ عَلَيْهَا هُلْ هِيَ تَامَةٌ أَمْ لَا ، ثُمَّ يُنْبَغِي تَوجِيهُ هَذَا الإِنْتِقَادِ لِلنَّبِيِّ
(ص) لِأَنَّهُ قَالَ : الْأَئُمَّةُ مِنْ قَرْيَشٍ ، كَمَا يَذْهَبُ لِذَلِكَ جَهُورُ الْمُسْلِمِينَ إِنَّ هَذَا
النَّمَطَ مِنَ الْكَلَامِ يَوْقِفُكَ عَلَى عَقْلِيَّةِ هُؤُلَاءِ الْكِتَابِ الَّذِينَ يَكْتُبُونَ عَنِ الشِّيَعَةِ
وَمَصْدِرُهُمْ قَوْلٌ وَهُمْ يَنْسَبُونَ إِلَى شَخْصٍ قَبْلِ أَلْفِ سَنَةٍ وَبَيْنِ أَيْدِيهِمْ مَصَادِرُ
الْشِّيَعَةِ وَلَا يَرْجِعُونَ إِلَيْهَا فَمَا تَسْمِيُ هَذَا ؟ وَبَعْدَ هَذَا الإِسْطَرَادِ نَعُودُ لِلْهُوَةِ
الْعَقَائِدِيَّةِ عِنْدَ الشِّيَعَةِ إِنَّهَا لَا تَخْتَلِفُ بِشَيْءٍ عَمَّا عَنْدَ باقيِ فَرَقِ الْمُسْلِمِينَ إِلَّا إِذَا
اسْتَشْنَيْنَا مَوْضِعَ الْإِمَامَةِ وَمَا يَتَصَلَّبُ بِهِ مِنْ صَفَاتِ الْإِمَامِ أَمَّا باقيِ نَقَاطِ الْخَلَفِ

(۱) انظر دراسات في الفرق والعقائد ص ۳۰ .

التي يفترق بها الشيعة عن باقي فرق المسلمين فإنَّ ما بين المذاهب الأربع أنفسهم من نقاط الخلاف أضعاف ما يوجد بين السنة والشيعة بل إنَّ علماء المذهب الواحد وفقهائهم بينهم من الخلاف أكثر مما بين الشيعة والسنة بدون مبالغة ، وربما يرد علينا ما يؤيد هذه الدعوى خلال البحث في فقرات قادمة .

عقائدهم بأقلامهم

سأذكر هنا جملًا قصيرة عنها كتبه علماء الشيعة أنفسهم عن آرائهم الدينية وعقائدهم لتكون مجرد مؤشر لمن يريد التوسيع ويبحث عن الحقيقة بعيداً عن الأهواء والعواطف .

١ - ابن بابويه القمي :

وكتابه « عقائد الشيعة » من الكتب الرائدة في هذا الميدان وقد ضمته كل عقائد الشيعة بدون مواربة لذا كان كتابه من المصادر التي يرجع إليها بالإضافة إلى أنَّ الرجل من أساطين المذهب وعمالة الطائفه . وهذه نبذة عما كتبه عن عقيدة الإمامية بالألوهية قال :

إعتقدنا بالتوحيد : أنَّ الله تعالى واحد ليس مثله شيء قدِيم لم يزل ولا يزال سميعاً بصيراً حكيناً حياً قياماً عزيزاً قدوساً عالماً قادرًا . لا يوصف بجواهر ولا جسم ولا صورة ولا عرض ، خارج عن الخدفين حد الإبطال وحد التشبيه . واعتقدنا في القرآن : أنه كلام الله ووحيه وتنزيله وكتابه وأنه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وأن القرآن الذي أنزله الله تعالى على نبيه هو ما بين الدفرين وهو ما في أيدي الناس ليس بأكثر من ذلك ومن نسب إلينا أنا نقول إنه أكثر من ذلك فهو كاذب - ، هذا ما كتبه ابن بابويه الذي عاش وسط القرن الرابع وتوفي

سنة ٣٨١ هـ^(١) .

(١) دراسات في العقائد والفرق الإسلامية ص ١٨ .

٢ - الشيخ المفید محمد بن محمد بن النعمان قال في «أوائل المقالات» :

إن الله عز وجل واحد في الإلهية والأزلية لا يشبهه شيء ولا يجوز أن يماثله شيء وإنه فرد في العبودية لا ثالث له فيها على الوجه كلها والأسباب ، وعلى هذا إجماع أهل التوحيد إلا من شذ من أهل التشبيه ، وإن الله عز وجل حي لنفسه لا بحياة ، وعالم لنفسه لا كما ذهب إليه المشبهة وقدر لنفسه ، وأقول إن القرآن كلام الله ووحيه ، وإنه حدث كما وصفه الله تعالى ، وأمنع من إطلاق القول عليه بأنه مخلوق ، وإن الله عالم بكل ما يكون قبل كونه ، وأنه لا حدث إلا وقد علمه قبل حدوثه ، ولا معلوم ومحزن أن يكون معلوما إلا وهو عالم بحقيقةه ، ولا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء لهذا اقتضت دلائل العقول والكتاب المسطور .

ثم تحدث الشيخ المفید وأشار إلى قول من يدعي أن القرآن حذف منه شيء فأول هذا القول بأن المحذوف هو الشروح والتفسيرات ولا شيء من أصل القرآن محذوف وذكر أنه من الذاهبين إلى هذا الرأي فقال في ذلك :

وقال جماعة من أهل الإمامة إنه لم ينقص من آية ولا من كلمة ولا من سورة ولكن حذف ما كان مثبتاً في مصحف علياً من تأويله ، وتفسير معانيه على حقيقة تنزيله ، وذلك كان ثابتاً وإن لم يكن من كلام الله تعالى وقد يسمى تأويل القرآن قرآناً ، قال الله تعالى : ﴿وَلَا تَعْجِلْ بِالْقُرْآنَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَقْضِي إِلَيْكَ وَحْيِهِ﴾^(١) فقد سمي تأويل القرآن قرآناً ، وعندى أن هذا القول أشبه من مقال من ادعى نقصان كلم من نفس القرآن^(٢) .

٣ - السيد محسن الأمين العاملی قال :

وعقيدة الشیعہ أن كل من شك في وجود الباری أو وحدانیته ، أو نبوة

(١) سورة طه آیة ١١٤ .

(٢) أوائل المقالات للمفید ص ٥٣ إلى آخر الفصل .

النبي (ص) أو جعل له شريكًا في النبوة فهو خارج عن دين الإسلام ، وكل من غالى في أحد من الناس من أهل البيت أو غيرهم وأخرجه عن درجة العبودية لله تعالى ، وأثبتت له نبوة أو مشاركة فيها ، أو شيئاً من صفات الإلهية فهو خارج عن ربقة الإسلام ، والشيعة يبرأون من جميع الغلاة والمفروضة وأمثالهم . إنتهى بتلخيص^(١) .

٤ - محمد رضا المظفر قال :

نعتقد أن الله واحد ليس كمثله شيء قد يُرى ولا يزال هو الأول والآخر ، عالم حكيم عادل قادر حي غني سميع بصير لا يوصف بما توصف به المخلوقات ، ونعتقد بأنه يجب توحيد الله تعالى من جميع الجهات بأنه واحد في ذلك وصفاته عين ذاته ، وكذلك يجب توحيده في العبادة ، ونعتقد أن النبوة وظيفة إلهية وسفارة ربانية يجعلها الله لمن يختاره من عباده الصالحين فيرسلهم إلى سائر الناس لإرشادهم ، ونعتقد أن الإمامة أصل من أصول الدين لا يتم الإيان إلا بالاعتقاد بها ، ويجب النظر فيها كما يجب النظر في التوحيد والنبوة ، وهي كالنبوة لطف من الله تعالى . ونعتقد أن القرآن هو الوحي الإلهي المنزلي من الله تعالى على لسان نبيه الأكرم ، لا يعتريه التبديل والتغيير والتحريف ، ومن ادعى فيه غير ذلك فهو مخترق أو مغالط وكلهم على غير هدى فإنه كلام الله تعالى الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه^(٢) .

هذه أربع مقتطفات أوردتها بتلخيص لتكون مؤشراً لمن يريد التوسع في معرفة عقائد الشيعة وليرجع إلى المؤلفات في ذلك وراعيت فيها أن تكون ممتدة على أبعاد التاريخ الشيعي فإن اثنين من ذكرتهم وهما الصدوق والمفيد عاشا في القرن الرابع أما الآخران فقد عاشا في القرن الرابع عشر . ومن المصحح حقاً بأن نسجل أننا قوم مسلمون ولكن كثيراً من الأمور المضحكه قد يرغم الإنسان

(١) أعيان الشيعة للألين ج ١ ص ٩١ .

(٢) عقائد الإمامية للمظفر ص ٤٣ فصاعداً .

على عملها بحكم الضرورة فما نصنع ونحن ما زلنا هدفاً للرماة وأيسر ما نرمي به هو ما يخرج عن الإسلام وما يؤدي إلى الكفر . وقد أردت بوضع هذه المقططفات في صدر البحث لتكون مجرد مذكرة للقارئ وهو يمشي معى بهذه المسيرة التي سأطلعه خلالها على ما ينسب للشيعة من دواهي ، والقارئ الذي أقصده هو القارئ السنّي خاصّة من دون باقي القراء لأنّ في ذهنه عن الشيعة صور من العسير جداً انتزاعها بسهولة الا أنّ أملّ بعون الله وإخلاص قصدي في تخلص هذا الطريق من الشوائب يفتح لي بابأمل في وضع لبنة بصرح وحدة المسلمين .

الفصل الثاني

عبد الله بن سبا

بالرغم من وفرة المصادر عن الشيعة وبالرغم من خطورة موضوع الكتابة عن العقائد ، وبالرغم من الواقع المجدل للشيعة من مؤسسات دينية وفعاليات عقائدية ومساجد تردد كلمة التوحيد ليل نهار ب رغم ذلك كله فإننا ما زلنا نرى من يكتب عن الشيعة يترك هذا الواقع القائم وراء ظهره ويولي وجهه شطر كتابات صدرت من قوم كتبوا ومن خلفهم دوافع غير سليمة لمختلف الأسباب فبدلاً من أن يعودوا إلى مؤلفات الشيعة أنفسهم رأيناهم يرجعون إلى أقوال صاغها الوهم وافتراضها الحقد وخلفتها الخصومة وقد يكون الجهل أحد عوامل وجودها . وما افترضه هؤلاء الكتاب بأن عقائد الشيعة الأساسية وضعها يهودي حاقد اندس في صفوف المسلمين اسمه عبد الله بن سبا .

وهذا العبد المفترض موضوعه طريف جداً ، فقد صنعه قوم واخترعوه اختراعاً وأعطوه من الصفات والنعوت ما هو من المعجزات وصنعوا له من القابلities ما لا يمكن نسبته إلا إلى عفاريت الأساطير ومردة الجن وما تعجز عن تحقيقه أمة قوية فضلاً عن فرد وإن مثل هذا الكلام يجسّد فجيئتنا بقولنا قيل أن يجسّد هذه الخرافات في تاريخنا وسنرى من الذي حاك عبد الله بن سبا ، ومن هو ، وما الذي عمله ، ولماذا تربط الشيعة به .

من الذي حاك عبد الله بن سبأ

إنَّ الذي ي يريد التعرف على مصدر ولادة عبد الله بن سبأ سيجد أنه ولد من روايات الطبرى وروايات الطبرى تستند في هذا الموضوع على ركيزتين هما :

أ - الركيزة الأولى :

سيف بن عمر وتقول عنه كتب الترجم ما يلي بالحرف الواحد .

يقول ابن حبان كان سيف بن عمر يروي الموضوعات عن الأئمَّات وقالوا إنَّه كان يضع الحديث واتهم بالزنقة ، كما يقول عنه الحاكم النسابوري اتهم سيف بالزنقة وهو بالرواية ساقط ، ويقول عنه ابن عدي : بعض أحاديثه مشهورة وعامتها منكرة لم يتتابع عليها ، ويقول عنه ابن معين ضعيف الحديث فليس فيه خير ، وقال ابن حاتم متزوك الحديث يشبه حديثه حديث الواقدي وقال عنه أبو داود صاحب السنن ليس بشيء ، وقال عنه النسائي صاحب السنن : ضعيف ، وقال عنه السيوطي إنَّه وضع وقال محمد بن طاهر بن علي الهندي عنه : سيف بن عمر متزوك اتهم بالوضع والزنقة وكان وضعاعاً^(١) .

ب - الركيزة الثانية :

السرى بن يحيى كما يسميه الطبرى ، وهو ليس بالسرى بن يحيى الثقة ، لأنَّ السرى بن يحيى الثقة يكون زمانه أقدم من الطبرى فقد توفي سنة ١٦٧ هـ . في حين ولد الطبرى سنة ٢٢٤ ، فالفرق بينها سبعة وخمسون عاماً ، ولا يوجد عند الرواة سرى بن يحيى غيره ، ولذلك يفترض أهل الجرح والتعديل أنَّ السرى الذي يروي عنه الطبرى يجب أن يكون واحداً من اثنين : كل منها

(١) تهذيب التهذيب لابن حجر ج٤ ص ٢٩٥ ، والغدير للأميّني ج٨ ص ٦٨ .

كذاب وهما : السري بن إسماعيل الهمداني الكوفي وهو أولها ، وثانيهما السري ابن عاصم الهمداني نزيل بغداد المتوفى سنة ٢٥٨ ، والذي أدرك ابن جرير الطبرى وعاصره أكثر من ثلاثين عاماً . وكل من هذين قد كذبه أهل الحديث واتهموه بالوضع فقد كذبها صاحب تهذيب التهذيب ، وصاحب ميزان الاعتدال ، وصاحب تذكرة الموضوعات ، وصاحب لسان الميزان ، وغيرهم واتهموا كل واحد منهم بالوضع ويوسع القارئ مراجعة المصادر التي ذكرتها في ترجمة المذكورين^(١) . وقد ذكر النقاد للطبرى سبعمائة حديث وحدينا واحداً ، وهذه الأحاديث تغطي زمن الخلفاء الثلاثة وأسانيد هذه الروايات كلها عن السري الكذاب ، وعن شعيب المجهول وعن سيف الوضاع التهم بالزندقة .

ومن تلك الروايات رواياته في أحوال عبد الله بن سباً وسنته عن شعيب وعن سيف بن عمر ، وكل من كتب عن عبد الله بن سباً فهو عيال على الطبرى وعنه أخذ وإليه استند^(٢) ومن ذلك تعرف مقدار ما في موضوع عبد الله بن سباً من وثاقة وصدق وفي رأيي أنَّ من العبث أن نلتفت أنظار هؤلاء الذين يصررون على وجوده وما قام به من أعمال لأنَّهم يوجدونه حتى لو لم يكن موجوداً وذلك لأمور في نفوسهم .

١ - من هو عبد الله بن سباً :

للتعرف على هوية عبد الله بن سباً سوف أبدأ بالطبع الأساس وهو تاريخ الطبرى وأعقبه بباقي المصادر عنه ، وسأنقل قول الطبرى من خلال ما نقله أبو زهرة ، قال : كان عبد الله بن سباً يهودياً من أهل صنعاء أمه سوداء فأسلم أيام عثمان ثم تنقل في بلدان المسلمين يحاول إصلاحهم فبدأ ببلاد الحجاز ثم البصرة ثم الشام ، فلم يقدر على ما يريد عند أحد من أهل الشام فأخرجوه حتى أتى مصر فقال لهم فيها يقول : العجب من يزعم أنَّ عيسى يرجع ويكتذب بأنَّ محمداً

(١) لسان الميزان جـ ٣ ص ١٢ ، والغدير للأmineي جـ ٨ ص ١٤٣ .

(٢) انظر الغدير للأmineي جـ ٩ ص ٢١٨ .

يرجع وقد قال الله تعالى : **﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِرَادِكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾**
القصص / ٨٥ .

ثم أنَّ مُحَمَّداً أَحَقَ بالرجعة من عيسى ، ثم قال بعد ذلك إنَّه كان أَلْفَ نَبِي ولكلَّ نَبِي وصي وعلَيْهِ وصي مُحَمَّد ، وَمُحَمَّد خاتَم النَّبِيِّنَ وَعَلَيْهِ خاتَمُ الْأَوْصِيَاءِ^(١) .

وهنا نقاط ذكرها أُريد أنْ أُؤْكِدَ عليها للمقارنة مع غيرها وهي : أولاًَ أنَّه ابن السوداء وثانياً أنه من أهل صنعاء ، وثالثاً أنه يؤكِّد رجوع النبي (ص) للدنيا ورابعاً أنه ذكر أنَّ علَيْهِ وصي النبي ، وخامساً أنه أسلم أيام عثمان ، وبعد ذلك نعود لأبي زهرة وفي نفس كتابه المذكور أي تاريخ المذاهب الإسلامية قال في مورد آخر : عبد الله بن سبأ كان يهودياً من أهل الحيرة، أظهر الإسلام وأخذ ينشر بين الناس أنَّه وجد في التوراة أنَّ لكلَّ نَبِي وصيَاً وأنَّ علَيْهِ وصي مُحَمَّد ، وأنَّ علَيْهِ أراد قتله ولكنْ نَهَى عبد الله بن عباس فنفاه للمداشر بدل قتله^(٢) .

وبين هذين المقتطفتين الفروق التالية الفت النظر إليها وهي :

أنَّه في الأولى من أهل صنعاء ، وفي الثانية من أهل الحيرة ، وأنَّه في الأولى أسلم أيام عثمان وفي الثانية أظهر الإسلام ولم يحدد وقت إسلامه ، وأنَّ الإمام أراد قتله كما ذكر في الثانية في حين لم يذكر ذلك في الأولى ، وأنَّه من المقطفية الثانية ترأَّ فكرة الوصاية في التوراة في حين في الأولى لم يذكر مصدر فكرة الوصاية فلنحفظ هذا لنرى ما بين المقتطفات من فروق وخصائص قد تتضارب .

٢ - محمد فريد وجدي في دائرة المعارف ، قال :

السبائية أتباع عبد الله بن سبأ الذي غلا في الإنصار لعليٍّ وزعم أنه كان نبياً ثم غلا فزعم أنه الله ودعا إلى ذلك قوماً من أهل الكوفة فاتصل خبرهم بعليٍّ فأمر بإحراق قوم منهم ، ثم خاف من إحراق الباقين أن ينتقض عليه قوم فنفي

(١) تاريخ المذاهب الإسلامية ج ١ ص ٣٢ .

(٢) تاريخ المذاهب الإسلامية ج ١ ص ٤٣ .

ابن سبأ للمدائين ، فلما قتل علي زعم ابن سبأ أنه ليس المقتول علياً وإنما هو شيطان صور على صورته وهذه الطائفة تزعم أن المهدي المتظر إنما هو على ، وكان ابن السوداء في الأصل يهودياً من أهل الحيرة فأظهر الإسلام وأراد أن يكون له عند أهل الكوفة سوق ورياسة ، فذكر لهم أنه وجد في التوراة أن لكلنبي وصيأ وأن علياً وصي محمد (ص) فلما سمعوا ذلك قالوا العلي إله من عبيك فرفع علي قدره وأجلسه تحت درجة منبره ثم بلغه عنه غلوه فيه فهم بقتله فنهاه عبد الله بن عباس فنهاه إلى المدائين^(١) وفي هذه المقطفنة : أنه من أهل الحيرة لا صنعاء ، وأنه ابن السوداء وأن الإمام علياً خدع به ، وأنه ادعى النبوة لعلي ، ثم ادعى له الألوهية وإلى هنا يمكن الجمع بين هذا الخلط العجيب ولكن كيف يمكن بعد ذلك أن نجمع بين كونه ينسب له الألوهية ثم يجعله وصيأ لـ محمد : أترك تقدير هذا إلى العقول الجبارية كـ محمد فريد وجدي ونظائره من يقود خطى الجماهير في دروب الثقافة والحمد لله الذي لا يحمد على مكرره سواه ، ولا تستعجل أيها القارئ فستسمع أموراً أخرى من المقطففات القادمة تصطدم مع ما مر .

٣ - أحمد عطيه الله، قال حفظه الله :

ابن سبأ رأس الفرقه السبائية من الشيعة وهو عبد الله بن سبأ كان من يهود صنعاء وأظهر إسلامه في خلافة عثمان يعرف بـ ابن السوداء انتقل إلى المدينة وبث فيها أقوالاً وآراء منافية لروح الإسلام ونابعة من يهوديته ومن معتقدات فارسية كانت شائعة في اليمن ، برز في صورة المتصر لـ حق علي ، وادعى أن لكلنبي وصيأ ، وأن علياً وصي محمد ، كما ادعى أن في علي جزءاً إلهياً ، طاف بأنحاء العراق ناشراً دعوته فطرده عبد الله بن عامر من البصرة فنزل الكوفة وأوغر صدور الناس على عثمان ، وانتقل إلى دمشق في ولادة معاوية وفيها التقى بأبي ذر الغفاري وحرضه على الثورة مدعياً أنه ليس من حق الأغنياء أن يقتتوا مالاً ، وأنخرج من الشام فنزل مصر فالتف حوله الناقمون على عثمان وفيهم محمد بن أبي

(١) دائرة معارف القرن العشرين جه ٤٧ ص ٦٧ فصاعداً .

بكر وأبو حذيفة ، ووضع على لسان عليٍّ أقوالاً لم يقلها كادعاء علم الغيب وبعد استشهاد عليٍّ قال إنه لم يقتل وسيرجع وبذلك وضع فكرة الرجعة بين الشيعة^(١) .

وفي هذه المقططفة التي رواها عطية الله أمر :

منها : أنَّ ابن سِبَا جَمَعَ إِلَى عَقَائِدِ الْيَهُودِيَّةِ مُعْتَقَدَاتٍ أُخْرَى فَنَقَلَهَا لِلتَّشْيِيعِ وَمِنْهَا الرَّجْعَةُ وَلَكِنَ الرَّجْعَةُ هُنَا لِعَلِيٍّ وَلَيْسَ لِمُحَمَّدٍ كَمَا هِيَ عِنْدَ أَبِي زَهْرَةَ ، وَمِنْهَا أَنَّهُ أُعْطِيَ لِعَلِيٍّ جَزءاً مِنَ الْأَلْوَهِيَّةِ لَا كُلُّهَا ، حَتَّى يَكُنَّ الْجَمْعُ بَيْنَ كُونِهِ جَزْءَ إِلَهٍ وَبَيْنَ كُونِهِ وَصِيَّاً لِلنَّبِيِّ (ص) ، وَمِنْهَا الكَشْفُ عَنِ هَذِهِ الطَّاقَاتِ الْمَاهِيَّةِ عِنْدَ ابْنِ سِبَا بِحِيثِ أَنَّ كُلَّ الثُّورَاتِ عَلَى عُثْمَانَ وَمَعَاوِيَةَ كَانَتْ مِنْ فَعْلِهِ .

٤ - وينفس هذا المضمون المتضارب كتب كل من أحمد أمين في فجر الإسلام ، ومحمد بن يحيى في التمهيد والبيان في مقتل عثمان والزركي في الأعلام^(٢) .

وَلَا أَرِيدُ أَنْ أُطْلِيلَ عَلَيْكَ فَإِنَّ كُلَّ خَلْفٍ يَأْخُذُ عَنْ سَلْفِهِ بِدُونِ تَحْبِصِنَا أَدْى إِلَى هَذَا الْخُلْطُ وَالْإِضْطَرَابِ فِي الرِّوَايَاتِ فَهُوَ فِي هَذِهِ الْأَخْبَارِ تَارِيْخُ مِنْ أَهْلِ الْحَيْرَةِ وَأَخْرَى مِنْ أَهْلِ صَنْعَاءِ ، وَهُوَ عِنْدَ ابْنِ حَزْمٍ وَالشَّهْرُسْتَانِيِّ وَغَيْرِهِمَا ابْنِ السُّودَاءِ ، بَيْنَمَا يَذَهَّبُ ابْنُ طَاهِرِ الْبَغْدَادِيِّ فِي الْفَرْقَ بَيْنَ الْفَرْقَ وَالْأَسْفَارِيِّ فِي كِتَابِهِ التَّبْصِيرِ فِي الدِّينِ أَنَّ ابْنَ السُّودَاءِ شَخْصٌ آخَرُ لَيْسَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ سِبَا^(٣) .

وَهُوَ فِي بَعْضِ هَذِهِ الرِّوَايَاتِ يَدْعُ الرَّجْعَةَ لِلنَّبِيِّ ، وَفِي بَعْضِهَا الْآخَرِ يَدْعُ الرَّجْعَةَ لِعَلِيٍّ وَهُوَ تَارِيْخُ يَدْعُ بِأَنَّ فِي عَلِيٍّ جَزءاً مِنَ الْأَلْوَهِيَّةِ وَأَخْرَى أَنَّهُ إِلَهٌ كَامِلٌ ، وَفِي هَذِهِ الرِّوَايَاتِ نَجِدُ عَلِيًّا مَرَّةً يَحْرُقُ الْغَلَةَ وَلَا يَخَافُ ، وَأَخْرَى يَخَافُ أَنْ يَحْرُقَ ابْنَ السُّودَاءَ مَعَ أَنَّهُ يَهُودِيٌّ بِسِيْطٌ لَا يَأْبَهُ لَهُ أَحَدٌ ، وَهَكُذا نَقْعَدُ فِي هَذَا الْخُلْطِ الْمُضْطَرِبِ ، وَأَهْمَمُ هَذِهِ الْأَمْوَارِ فِي نَظَرِنَا هُوَ أَنَّهُ مَرَّةً يَكُونُ دَاعِيًّا لِفَضْلِ عَلِيٍّ

(١) القاموس الإسلامي ج ٣ ص ٢٢٢ .

(٢) انظر فجر الإسلام ص ٢٧٦ ، والتمهيد والبيان ص ٩٦ ، والأعلام للزركي ج ٤ ص ٢٢٠ .

(٣) انظر هامش مناج السنة لابن تيمية ص ٢٠ .

نقطاً آخر يكون محراً على عثمان وواضعاً لأهم عقائد الشيعة من وصية وعلم غيب للأئمة وقول بالرجعة ، وهذا الأمران هما روح الموضوع فإن من صنع فزية عبد الله بن سبا رمى فيها عصافورين بحجر واحد وأراد هذين الأمرين :

الأول : أن عثمان قتل بتحريض من السبائية لا أنه صنع أشياء نقم فيها عليه المسلمون واشتركوا في قتله وفيهم صحابة النبي ما ذكره التاريخ مفصلاً بل كل ما في الأمر أن يهودياً حاقداً حرك المسلمين فانساقوا معه بغباء وبدون تفكير حتى ارتكبوا هذه الجناية وقتلوا الخليفة بدون أن يصدر منه ذنب .

والثاني : أن عقائد الشيعة لا سند لها من الإسلام وإنما هي من هذا اليهودي العقري عبد الله بن سبا فالشيعة إذاً يهود لا صلة لهم بال المسلمين . وعلى كل حال إن هذا الإضطراب في الصورة المرسومة لعبد الله بن سبا أيقظ الباحثين ودفعهم لإلقاء الضوء على هذه الشخصية الأسطورية فأசحروا بأرائهم وكسروا الطوق وأعلنوا للناس زيف هذه الفريدة التي لا سبيل للجمع بين أبعادها وأجزائها ، وببدأ الواقع يتضح رويداً رويداً والأهداف من وراء أسطورة ابن سبا كشفت عن وجهها وسأذكر لك آراء كثير من النقاد بعد أن أذكر ما عندي في هذه المسألة لنصل إلى صورة واضحة في هذا الموضوع .

رأينا في عبد الله بن سبا

إننا نرى أن عبد الله بن سبا شخصية ومية مختربة وندلل على وهيئتها بالأمور التالية :

١ - الاختلاف في أنه هو ابن السوداء أم لا مع أن الذي قام بكل المصائب هو ابن السوداء ، وابن طاهر والإسفرايني يقولان إن ابن السوداء شخص آخر شارك عبد الله بن سبا بمقالته .

٢ - الاختلاف في وقت ظهوره فالطبرى وجامعة يصرحون بأنه ظهر أيام عثمان بينما يذهب جماعة آخرون إلى أنه ظهر أيام علي^ع أو بعد موته ومن مؤلاء

سعد بن عبد الله الأشعري في كتابه المقالات^(١) وابن طاهر في الفرق بين الفرق^(٢) وغيرهما كثير .

٣ - الإضطراب في الروايات في أصل دعوته بينما رأينا الطبرى وجماعة معه يقولون إن دعوته اقتصرت على الغلو في علي والإنتصار لحقه وكل ما يدور حول علي فقط نجد جماعة من المتأخرین يذهبون ومعهم أسانیدهم طبعاً إلى أنه كان في كل بلد له دعوة خاصة ، يقول محب الدين الخطيب بأسانیده التي ذكرها : ومن دهاء ابن سبأ ومكره أنه كان يبيت في جماعة الفسطاط الدعوة لعلي^(ع) وفي جماعة الكوفة الدعوة لطلحة ، وفي جماعة البصرة الدعوة للزبير^(٣) .

٤ - إن بعض الروايات ذكرت أنه كان مقتضاً على الإشادة بفضل علي^(ع) فقط في حين ذهب آخرون إلى أنه كان يحرض على عثمان ويدرس الدسائس وهو الذي دفع أبا ذر للثورة أما على معاوية أو على عثمان بروايات أخرى .

٥ - لم يعلل لنا واضعوا خرافة ابن سبأ لماذا سكت عنه عثمان وولاته مع أنهم ضربوا المعارضين بمنتهى الشدة والقسوة وهم من خيرة الصحابة كعمار وابن مسعود وغيرهم .

٦ - لماذا تخلو المصادر الصحيحة عن ذكر قصة ابن سبأ كالبلاذري وابن سعد وغيرهما من يعتد بتاريخهم .

٧ - إن رواية عبد الله بن سبأ رواها الوضاعون الكذابون كما أسلفنا فيها مر .

٨ - يساعد على أن الرواية موضوعة أنها ليست الوحيدة التي وضعت ضد الشيعة وإنما هي جزء من كل ما سنذكره لك فيما يأتي ونبرهن على كذبه . حتى تعرف أن قصة عبد الله بن سبأ خرجت من نفس المقلع ولنفس المهد . والآن

(١) المقالات والفرق ص ١٥ .

(٢) انظر هامش منهج السنة لابن تيمية ص ١٥ .

(٣) الإمام الصادق لأسد حيدر ج ٦ ص ٢٣٧ .

لنسنعرض آراء النقاد والباحثين في هذه القصة لنصل إلى الحقيقة .

رأي طه حسين

استعرض الدكتور طه حسين الصورة التي رسمت لابن سباً ومزقها بعد تحليل دقيق وانتهى إلى أنَّ ابن سباً شخصية وهمية خلقها خصوم الشيعة ودعم رأيه بالأمور التالية :

أولاً : إنَّ كل المؤرخين الثقة لم يشيروا إلى قصة عبد الله بن سباً ولم يذكروا عنها شيئاً .

ثانياً : إنَّ المصدر الوحيد عنه هو سيف بن عمر وهو رجل معلوم الكذب، ومقطوع بآنه وضاع .

ثالثاً : إنَّ الأمور التي أُسندت إلى عبد الله بن سباً تستلزم ، عجزات خارقة لفرد عادي كما تستلزم أن يكون المسلمون الذين خدعاهم عبد الله بن سباً وسخراهم لماربه وهم ينفذون أهدافه بدون اعتراض : في منتهى البلاهة والسطح .

رابعاً : عدم وجود تفسير مقنع لسكت عثمان وعماله عنه مع ضربهم لغيره من المعارضين كمحمد بن أبي حذيفة ، ومحمد بن أبي بكر ، وعمار وغيرهم .

خامساً : قصة الإحراق وتعيين السنة التي عرض فيها ابن سباً للإحراق تخلو منها كتب التاريخ الصحيحة ولا يوجد لها في هذه الكتب أثر .

سادساً : عدم وجود أثر لابن سباً ولجماعته في واقعة صفين وفي حرب النهروان ، وقد انتهى طه حسين إلى القول : أنَّ ابن سباً شخص ادخره خصوم الشيعة للشيعة ولا وجود له في الخارج^(١) ويشترك مع طه حسين كثير من

(١) طه حسين الفتنة الكبرى فصل ابن سبا .

المستشرقين في وهمية وجود عبد الله بن سبا و منهم :

آراء المستشرقين

- ١ - الدكتور برنارد لويس : قال : ولكن التحقيق قد أظهر أنَّ هذا استباق للحوادث وأنَّه - أي ابن سبا - صورة مثل بها في الماضي وتخيلها محدثوا القرن الثاني للهجرة من أحواهم وأفكارهم السائدة حينئذ .
- ٢ - فلهموزن : ذهب إلى أنَّ المؤامرة والدعوة والفعاليات المنسوبة لابن سبا من اختلاق المتأخرین ، وقد حصن النصوص ودرس الموضوع وقام بتحليل دقيق .
- ٣ - فريديليندر : اشتراك مع فلهموزن وانتهى لنفس النتيجة معه .
- ٤ - كايتاني شك في وجود عبد الله بن سبا وقال عنها ينسب له من أعمال ضخمة ومؤامرة مثل هذه بهذا التفكير وهذا التنظيم لا يمكن أن يتصورها العالم العربي المعروف عام خمسة وثلاثين بنظامه القائم على سلطان الأبوة ، إنها تعكس أحوال العصر العباسي الأول بجلاء^(١) .

آراء إسلامية أخرى بابن سبا

هناك آراء أخرى في عبد الله بن سبا تترواح بين وجوده وعدم صلته بالشيعة ، وبين عدم التصديق بما ينسب إليه لأنَّه من غير الممكن صدور تلك الأعمال من شخص عادي ، وبين نسبة هذه الأعمال لشخص آخر سمي بابن السوداء فلنستمع لهذه الآراء .

أ - محمد كرد علي قال في خطط الشام :
أما ما ذهب إليه بعض الكتاب من أنَّ مذهب التشيع من بدعة عبد الله بن

(١) انظر آراء المستشرقين المذكورة في نظرية الإمام لأحمد محمود ص ٣٧ .

سبأ المعروف بابن السوداء فهو وهم وقلة علم بتحقيق مذهبهم ، ومن علم متزلاه هذا الرجل عند الشيعة وبراءتهم منه ومن أقواله وأعماله ، وكلام علمائهم في الطعن فيه بلا خلاف بينهم في ذلك علم مبلغ هذا القول من الصواب^(١) .

ب - الدكتور أحمد محمود صبحي في نظرية الإمامة قال :

وليس ما يمنع أن يستغل يهودي الأحداث التي جرت في عهد عثمان ليحدث فتنة ولزيدها اشتعالاً وليرسل الناس على عثمان ، بل أن ينادي بأفكار غريبة ، ولكن السابق لأوانه أن يكون لابن سباً هذا الأثر الفكري العميق فيحدث هذا الإنشقاق العقائدي بين طائفة كبيرة من المسلمين^(٢) .

ج - الدكتور ان علي الوردي وكامل الشيباني التقى في الآتي :

إن المقصود بابن السوداء عمار بن ياسر وقد رممت له قريش بابن السوداء ولم تصرح باسمه لأن له ثقلاً ومركزاً بين الصحابة وكان على رأس التاثيرين على عثمان ، فلم ترد قريش أن تضعه مقابل عثمان وبجانب عليٍ لأنَّه يرجح كفة عليٍ وبهبط بكفة عثمان فرمزوا له وسموه بابن السوداء لأنَّ أمَّه سوداء ولا وجود لابن سوداء غيره .

إن رأي الدكتورين يلتقي مع رأي الأسفرايني ، وابن طاهر البغدادي الذي أشرنا إليه فيما مضى عند ذكرنا لتعيين هوية ابن سبا .

وبعد هذه الجولة من الآراء اتضح أنه لا وجود لابن سبا لأنَّ تسلينا بوجوده يفضي إلى إلغاء عقولنا ، وأنَّ منهج البحث العلمي يأبى وجوده لأنَّ مصادره مختلفة ، وأنَّ من خلقوا عبد الله بن سباً خلقوا له أخوة من الإدعاءات سنوقةك عليها قريراً وإن كانت ستهز مشاعرك وتدمير ثقتك بن قد تعتبرهم من القمم في دنيا الإسلام ، وأنَّ الخوارق التي تنسب لابن سبا لا يمكن تصديقها ، وأنَّ سكوت عثمان عنه عجيب مع أنه نفى أبا ذر للربذة مع أنَّ أبا ذر من كبار

(١) خطط الشام ج ٦ ص ٢٥١ .

(٢) نظرية الإمامة ص ٣٧ ، وعاظ السلاطين ص ٢٧٩ والصلة بين التصوف والتشيع ص ٨٤ .

الصحابة لأن أبا ذر كان له رأي في البذخ في أموال المسلمين أيام عثمان ، فلماذا هذا الحلم عن ابن سباء ، ولأن علياً وهو الخشن في ذات الله لماذا سكت عن ابن سباء ولم يحرقه كفирه ، ولأن معاوية وهو الذي يقتل على التهمة والظنة كيف سكت عن ابن سباء وأ الحال هو الذي دفع بسر للغارة على خصمه وأدت الغارة إلى قتل ثلاثين ألفاً من الناس^(١) إن كل هذه الأمور تجعل حديث ابن سباء حديث خرافه ، وإنما اخترع لما ذكرنا سابقاً ليصنع منه مصدراً لعقائد الشيعة كلها كما جعله مصدرأ لعقائد الشيعة كل من محبي الدين عبد الحميد في تعليقته على كتاب مقالات الإسلاميين وعلي سامي النشار في كتابه نشأة الفكر الفلسفية^(٢) وما كان كل من النشار ومحبي الدين عبد الحميد بالذي يجهل عقائد الشيعة أو لا يهتدى إلى مصادرها وبين أيديها من المصادر ما ينهض بالمطلوب وأمام بصرهما من الممارسات العقائدية ما هو واضح في تجسيد عقائد الشيعة ومع ذلك كله كتاب عن الشيعة ما لا يجتمع وأمانة التاريخ وروح الإسلام ولا ينبغي أن يفت في عضد المصلحين أمثال هؤلاء من هم على أحسن الفروض أصداء بلهاء لغيرهم والا فعلامات الإستفهام موجودة إزاء ما كتباه ، في حين يؤكّد الكتاب الموضعيون أن حديث ابن سباء خرافه يقول أحد عباس الصالح : عبد الله بن سباء رجل خرافي بغير شك فإنّ هو من هذه الأحداث جميعاً وساذج بغير شك الذي يتوجه إلى خلق شخصية لهذا ليعطّيها أثراً أيّ أثر فيها حدث من الأحداث إنّ كل ما حيلك من قصص حول عبد الله بن سباء من وضع المتأخرین فلا دليل على وجوده في المراجع^(٣) .

(١) مروج الذهب للمسعودي ج ٣ ص ٣٠ .

(٢) نشأة الفكر الفلسفية ص ٢٨ .

(٣) مجلة الكاتب عدد آذار ١٩٦٥ .

الفصل الثالث

لماذا تنسب الشيعة لابن سبأ

في الإجابة على هذا السؤال يكمن مركز التفل في قصة عبد الله بن سبأ كلها ، فإن الفكر الشيعي في الإمامة وما يلحق بها والمواقف المتساجلة بين فرق المسلمين من الشيعة وغيرهم ، إذا شدت إلى جذرها من أدتها من الكتاب والسنة فقد يختل الميزان لأن فكرة الوصية ، والعصمة ، وغيرهما تبعد عن الحكم - في نظر الشيعة - من لا توفر فيه هذه الشروط وتلك هي الطامة الكبرى ، وأي فكر أخطر من هذا الفكر ، فلم لا يربط فكر الشيعة بجذر يهودي وتحتزع له شخصية تكون كبش الفداء فيلقى اللوم عليها وعلى الذين أخذوا عنها ويشار إليهم بأنهم مارقون الغمو تاریخ الأمة ودسوا في عقائدها عقائد غريبة عن الإسلام وهكذا صنع عبد الله بن سبأ ولو كان صنعه على حساب الحقيقة وعلى رغم أنف العقول والمقاييس .

وبالإضافة لما ذكرنا هناك سبب آخر دفع إلى خلق عبد الله بن سبأ أشار إليه الدكتور أحمد محمود صبحي وذلك بعد أن استعرض آراء الدكتور طه حسين في وهية وجود عبد الله بن سبأ . قال الدكتور أحمد صبحي .

ويبدو أن مبالغة المؤرخين وكتاب الفرق في حقيقة الدور الذي قام به ابن سبأ يرجع إلى سبب آخر غير ما ذكره الدكتور طه حسين ، فلقد حدثت في الإسلام أحداث سياسية ضخمة كمقتل عثمان ثم حرب الجمل وقد شارك فيها

كبار الصحابة وزوجة الرسول ، وكلهم يتفرقون ويتحاربون وكل هذه الأحداث تصدم وجдан المسلم المتبع لتاريخه السياسي ، أن يبني تاريخ الإسلام هذه الإبتلاءات ويشارك فيها كبار الصحابة الذين حاربوا مع رسول الله (ص) وشاركوا في وضع أسس الإسلام ، كان لا بد أن تلقى مسؤولية هذه الأحداث الجسم على كاهل أحد ، ولم يكن من المعقول أن يتحمل وزير ذلك كله صحابة أجلاء أبلوا مع رسول الله (ص) بلاءً حسناً ، فكان لا بد أن يقع عبء ذلك كله على ابن سبا فهو الذي أثار الفتنة التي أدت لقتل عثمان ، وهو الذي حرض الجيшиين يوم الجمل على الإلتحام على حين غفلة من عليٌّ وطلحة والزبير ، أما في التاريخ الفكري فعل عاته يقع أكبر انشقاق عقائدي في الإسلام بظهور الشيعة ، هذا هو تفسير مبالغة كتاب الفرق وأصحاب المذاهب لا سيما السلفيين والمؤرخين : في حقيقة الدور الذي قام به ابن سبا . ولكن أليس عجيباً أيضاً أن يبعث دخيل في الإسلام كل هذا العبث فيحرك تاريخ الإسلام السياسي والعقائدي على النحو الذي تم عليه وكبار الصحابة شهود^(١) .

وبعد هذه الإمامية بملابسات موضوع عبد الله بن سبا التي انتهينا منها إلى مسک طرف الخيط فيما نظن لا وهوربط عقائد الشيعة بعد الله بن سبا وما استندوه إليه من عقائد الشيعة ولتبين مصدرها الإسلامي وبذلك نكتفي عن الإصرار على وجود ابن سبا أو عدم وجوده لأنَّه قد ثبت أنَّ هذه العقائد مصدرها الإسلام فلا يبقى بعد ذلك قيمة لعدم وجود ابن سبا أو لوجوده ، لبداً من ذلك بموضوع الوصية .

١ - الإمام علي وصيَّ النبي (ص):

قلنا فيما سبق أنَّ من أحکام الإسلام ضرورة أن يوصي الإنسان قبل موته بما يريد التصرف به بعد موته فيما يملك من أمور مادية ، وذكرنا أنَّ سيرة النبي (ص) أنه كان لا يخرج من المدينة في سفرة ولو ل يوم واحد حتى يستخلف على

(١) نظرية الإمامة ص ٣٩.

المدينة ، فكيف يترك أمر هذه الأمة من بعده سدى ويعرضها إلى الفتنة دون أن يوصي أو يرشح للأمر شخصاً من بعده ، وبما أنَّ هذه المسألة قد أشبعتها أقلام الباحثين من مختلف الفرق الإسلامية فلا أريد العودة إلى ما دار حولها ، وكل ما يعنيني هنا أنَّ أَيْنَ أنَّ مسألة الوصية مصدرها القرآن والسنة ، أما القرآن فقد أشرك علياً بالولاية العامة وجعل إمامته امتداداً للنبي حين تختتم النبوة بموت الرسول فقال تعالى : ﴿إِنَّا وَلِكُمُ الْهُوَ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قَيَّمُوا الصَّلَاةَ وَبِرُّوتُنَ الْزَّكُوْنَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ وقد ذكرنا نزول هذه الآية في عليٍّ (ع) وما يتربّ عليها من لوازم في مكان آخر من هذا الكتاب ، وأما السنة الشريفة فإنَّ الروايات المعتبرة متظافرة بأنَّ رسول الله (ص) نص على عليٍّ بالوصية في أكثر من مورد ، ومن تلك الموارد :

لما نزل عليه قوله تعالى : ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ الشعراً / ٢١٤ ،
 فجمع أقاربه وعددهم أربعون على فخذ شاة وطلب منهم أن يؤازروه على الدعوة
 فلم يقم إليه إلا علىٌ فأخذ برقبته وقال : هذا أخي ووصيي وخليفي فيكم
 فاسمعوا له وأطاعوا^(١) . فقام القوم يضحكون ويقولون لأبي طالب : قد أمرك
 أن تسمع لابنك وتتطيع . هذا وقد ذكر ابن أبي الحديد في كتابه شرح نهج البلاغة
 فصلاً ممتعاً في موضوع وصاية الإمام عليٍّ (ع) للنبي وأشبع الموضوع وبواسع
 القاريء الرجوع إليه ، وهذا قد سمعت أنَّ الوصية جاءت على لسان النبي
 (ص) لفظاً ومعنى ومع ذلك ترى هؤلاء يقولون إنَّ موضوع الوصية اخترعه
 عبد الله بن سبأ وستسمع لو قلت لهم إنَّ الوصية لها مصادرها من السنة : من
 يقول لك هذه أحاديث دسها الشيعة على لسان السنة .

٢ - العصمة :

موضوع العصمة موضوع مهم في الفكر الشيعي خاصه والإسلامي عامه

(١) انظر تاريخ الطبرى ج ٢ ص ٢١٦ ، وتأريخ ابن الأثير ج ٢ ص ٢٨ ، وتفصير الدر المثور للسيوطى ج ٤ ص ٩٧ طبعة أوپست .

وسأضطر للإطالة فيه لأنَّه يرتبط بأمور هامة لا بد من التعرف عليها .

فالعصمة لغة هي المنع ومنه قوله تعالى : «سَاوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصُمُنِي مِنَ الْمَاءِ» سورة هود/٤٣ . أما في الإصطلاح الكلامي فالعصمة : لطف يفعله الله تعالى بالملطف لا يكون معه داع إلى ترك الطاعة وارتكاب المعصية مع قدرته على ذلك^(١) .

وواضح من هذا التعريف أنَّ العصمة لا إجاء فيها وإنما هي مجدد مدد من الله تعالى واستعداد من العبد ، فهي أشبه شيء باستاذ يقبل على تلميذه لأنَّه وجد عند التلميذ استعداداً أكثر من غيره لتلقي العلم .

وقد أجمعت الأمة الإسلامية على عصمة الأنبياء عن تعمد الكذب فيما يبلغونه عن الله تعالى واختلفوا بعد ذلك في صدور ما ينافي العصمة منهم على سبيل السهو أو النسيان سواء كانت أدلةهم في ذلك سمعية أو عقلية ، على صدور أو عدم صدور ما ينافي العصمة ذهب بعض أئمة السنة إلى جواز وقوع كل ذنب منهم صغيراً كان أو كبيراً حتى الكفر ويوسع القاريء الرجوع إلى آراء الباقلاني والرازي والغزالى مفصلاً في نظرية الإمامة^(٢) بينما البعض الآخر فصل في ذلك ولم يصل إلى هذا الحد في تحريرهم من العصمة .

أما الشيعة فقد ذهبوا إلى عصمة الأنبياء مطلقاً قبلبعثة وبعدها^(٣) وقد ساقوا بذلك أدلة كثيرة . وقد تعرض الفخر الرازي في كتابه عصمة الأنبياء وكذلك الشيخ المجلسي في البحار مفصلاً لذلك والذي يعني هنا عصمة الأئمة لأنَّها موضع البحث ، إنَّ عصمة الأئمة أمر مفروغ منه عند الشيعة وقد أثبتتها الشيعة للإمام بأدلة من العقل والنقل فأقصر على ذكر بعضها ويوسع طالب المزيد أن يرجع إلى الكتب والبحوث المطولة في ذلك .

(١) توفيق التطبيق للكيلاني ص ١٦ .

(٢) نظرية الإمامة ص ١١١ و ١١٢ .

(٣) معلم الفلسفة المختنية ص ١٩٣ .

عصمة الأئمة وأدلتها العقلية

١ - الدليل الأول :

يقول العلامة الحلي في كتابه **الألفين** : المكنات تحتاج في وجودها وعدتها إلى علة ليست من جنسها إذ لو كانت من جنسها لاحتاجت إلى علة أخرى واجبة غير ممكنة ، كذلك الخطأ من البشر ممكن فإذا أردنا رفع الخطأ الممكن يجب أن نرجع إلى المجرد من الخطأ وهو المعصوم ، ولا يمكن افتراض عدم عصمتة لأدائه إلى التسلسل أو الدور أما التسلسل فإن الإمام إذا لم يكن معصوماً احتاج إلى إمام آخر لأن العلة المحروجة إلى نصبه هي جواز الخطأ على الرعية ، فلو جاز عليه الخطأ لاحتاج إلى إمام آخر فإن كان معصوماً واللزم التسلسل ، وأما الدور فلحاجة الإمام إذا لم يكن معصوماً للرعية لترده إلى الصواب مع حاجة الرعية للإقتداء به^(١) .

٢ - الدليل الثاني :

يقول الشيعة إن مفهوم الإمام يتضمن معنى العصمة لأن الإمام لغة هو المؤتم به : كالرداء إسم لما يرتدي به ، ولو جاز عليه الذنب فحال إقدامه على الذنب إما أن يقتدى به أو لا ؛ فإن كان الأول كان الله تعالى قد أمر بالذنب وهذا الحال ، وإن كان الثاني - خرج الإمام عن كونه إماماً فيستحيل رفع التناقض بين وجوب كونه مؤتماً به وبين وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلا بتصور أن العصمة متضمنة في مفهوم الإمام ولازمة لوجوده^(٢) .

(١) **الألفين** للعلامة الحلي ص ٤٥ .

(٢) **ال الأربعين** للرازي ص ٤٣٤ .

٣ - الدليل الثالث :

الإمام حجة الله في تبليغ الشرع للعباد وهو لا يقرب العباد من الطاعة ويبعدهم عن المعصية من حيث كونه إنساناً ، ولا من حيث سلطته فإن بعض الرؤساء الذين ادعوا الإمامة كانوا فجراً لا يصح الإقتداء بهم فإذا أمرروا بطاعة الله كانوا مصداق قوله تعالى : ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْهَوْنَ أَنفُسَكُمْ﴾ ٤٤ / البقرة . وفي مثل هذه الحالات لا يثقل المكلف بقوفهم ولهم عذر ، فثبت أن تقريب الناس من طاعة الله لا من حيث كون الإمام إماماً ، وإنما من حيث كونه معصوماً حيث لا يكون للناس عذر عصيانه تصدقأً لقوله تعالى : ﴿لَئِنْ يَكُونُ
لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حِجَةٌ بَعْدَ الرَّسُولِ﴾ الآية / ١٦٥ من سورة النساء ، والأئمة حجج الله كالرسل سواء لأن الإمام منصوب من قبل الله تعالى لهداية البشر^(١) . هذه ثلاثة أدلة من كثير من الأدلة العقلية التي اعتمدوها في التدليل على العصمة .

الأدلة النقلية على عصمة الإمام

أ - قال الله تعالى في سورة البقرة: الآية / ١٢٤ لنبيه إبراهيم : ﴿إِنِّي
جاعلك للناس إماماً قال ومن ذريقي قال لا ينال عهدي الظالمين﴾ دلت هذه الآية
على العصمة لأن المذنب ظالم ولو لنفسه لقوله تعالى : ﴿فَمَنْ هُمْ
فاطر﴾ ٣٢ .

ب - قال الله تعالى : ﴿هُيَا أَيَّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ
وَأُولَئِكُمْ أَنْهَاكُم﴾ الآية / ٤٩ من سورة النساء ، والدليل فيها : أن أولي الأمر
الواجب طاعتهم يجب أن تكون أوامرهم موافقة لأحكام الله تعالى لتجب لهم هذه
الطاعة ولا يتسرى هذا إلا بعصمتهم إذ لو وقع الخطأ منهم لوجب الإنكار عليهم
وذلك ينافي أمر الله بالطاعة لهم^(٢) .

(١) نهاية الإقدام للشهرستاني ص ٨٥ .

(٢) كشف المراد للعلامة الحلي ص ١٢٤ .

جـ - ذهبت الآية الثانية والثلاثين من سورة الأحزاب إلى عصمة أهل البيت الذين نزلت فيهم وهي قوله تعالى : ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَذْهَبَ عَنْكُمُ الرِّجْسُ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرُكُمْ تَطْهِيرًا﴾ فبعد إثبات نزولها في أهل البيت الذي نص عليه كل من الإمام أحمد في مسنده ، ومستدرיך الصحيحين والدر المنشور ، وكثير العمال وسنن الترمذى ، وتفسير الطبرى ، وخصائص النسائي ، وتاريخ بغداد ، والإستيعاب لابن عبد البر ، والرياض النضرة للمحب الطبرى ، ومسند أبي داود وأسد الغابة ، جميع هؤلاء قالوا إنها نزلت في النبي (ص) وعلى (ع) فاطمة والحسن والحسين (ع)^(١) .

ويتساءل العلماء عن معنى ذهاب الرجس ليتهوا إلى أنه نفي كل ذنب وخطأ عنهم والإرادة هنا تكوينية لا تشريعية لوضوح أن التشريعية مراده لكل الناس . ولا يلزم منه الإجلاء لما سبق أن ذكرناه من أن العصمة مدد من الله تعالى واستعداد من العبد . هذه بعض أدلة الشيعة في العصمة وهي كما ترى متزعة من الكتاب والسنة والعقل ، فيما وجه نسبتها إلى عبد الله بن سبأ ؟ وأين موضع الصدق من تلك النسبة ، إن القارئ من حقه أن يسأل هؤلاء الكتاب هل اطلعوا على مصادر الفكر الشيعي عندما كتبوا عن الشيعة أم لا ، فإن كان الأول فيما معنى هذا الخبيث وهذه النسب الباطلة ، وإن كان الثاني فيما هو المبرر لهم للخوض في أمور لم يطلعوا عليها أليس لهم رادع من مقاييس الأدب الإسلامي الذي رسمه الله تعالى بقوله : ﴿وَلَا تَقْفَ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالبَصَرَ وَالْفُؤُادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانُوا عَنْهُ مَسْؤُلَةً﴾ الإسراء / ٣٦ ، وفي الوقت ذاته إن المنهج العلمي يأبى عليهم هذه التخرصات ونسبة الأشياء إلى غير مصادرها إذاً ففكرة العصمة حتى ولو كانت أدلةها غير ناهضة ، فلا يجوز أن تنحى عن مصدرها وتنسب إلى شخصية وهمية خلقها الحقد وافتتعلها الهوى .

(١) انظر فضائل المائة من الصاحب الستة جـ ٢١٩ ص ٢١٩ فصاعداً .

موقف السنة من العصمة

قبل الدخول بال موضوع أفت النظر إلى قصة تحكى ولها دلالتها في موضوعنا وهي : أن شخصاً مديناً جُلب إلى الحاكم فسأله الحاكم هل أنت مدين لهذا المدعى ؟ قال : نعم ، أنا مدين ولكني منكر للذين ، إن هذه القصة تشبه تماماً موقف من ينكر علينا القول بالعصمة وفي الوقت ذاته يقول بها . على أننا إنما نشرط العصمة في الإمام لضمان وصول أحكام وعقائد صحيحة ، ولضمان اجتناب المفارقات التي قد تنشأ من كون الإمام غير معصوم ، ولا نريد من العصمة أن تكون وساماً نضعه على صدور الأئمة فإن لهم من فضائلهم ما يكفيهم كما أننا لا نسبح في بحر من الطوبائية لأننا نعيش دنيا الواقع بكل مفارقاتها ، إننا من وراء القول بالعصمة نرباً بالإمام أن يكون من سخ من نراهم من الناس ، لأنه لو كان من نفس السخن والسلوكية فما هي ميزته حتى يحكم الناس وفي الناس من هو أكثر منه استقامة ومؤهلات وقابلية ، تلك هي الأمور التي نريدها من وراء العصمة لا أن المعصوم من نوع آخر غير نوع الإنسان كما قد يتصور البعض . فالعصمة في نظرنا ضابط يؤدي إلى حفظ شريعة الله تعالى نظرياً وصيانتها من العبث تطبيقياً ، وأساطير السنة يذهبون مثل ذلك ولكنهم في الوقت نفسه ينكرون علينا القول بها وإليك خلاص من أقوالهم لتعرف صحة ما نسبناه لهم :

١ - الرازي :

يذهب الرازي في معرض رده على عصمة الإمام عند الشيعة : إلى أن لا حاجة إلى إمام معصوم ، وذلك لأنّ الأمة حال إجماعها تكون معصومة لاستحالة اجتماع الأمة على خطأ ، بمقتضى حديث رسول الله (ص) لا تجتمع أمّة على

ضلاله^(١) . ومع غض النظر عن صحة وعدم صحة هذا الحديث ، نسأل هل مثل هذا الإجماع ممكن بحيث يضم كل مسلم في شرق الأرض وغربها ، قد يكون الجواب إن المسلمين يمثلون في هذا الإجماع بأهل الحال والعقد ، وهنا نسأل : من هم وما عددهم ؟ وهل هم مخصوصون في مكان معين ؟ وما الدليل على ذلك ؟ ثم نسأل : هل المجموع إلا ضم فرد إلى فرد فإذا جاز الخطأ على الأفراد جاز على المجموع المكون من الأفراد ، إن الإمام ابن تيمية يجيب على ذلك بأنه لا يلزم أن ينطأ المجموع إذا أخطأ الأفراد لأن للجمع خاصية لا توجد في الأفراد ، ومثلها مثل اللقبة الواحدة لا تشبع بينما يشبع ، والعصا الواحدة تكسر في حين يشبع العصي لا يكسر ، إلى أن يقول قال رسول الله (ص) : الشيطان مع الواحد وهو مع الإثنين أبعد^(٢) وما أدرى ما هو وجه الشبه بين كون اللقبة تشبع بعكس اللقبة الواحدة ، وبين كون المجموع يعصم والأفراد لا تعصم ، وذلك لأن اللقبة تحمل قابلية الإشباع بنسبة معينة فإذا ضمت إلى مثيلها اجتمعت هذه الأفراد من قابلية الإشباع فكانت إشباعاً كاملاً ، وكذلك العصا تحمل نسبة من القوة فإذا ضمت لها كانت قوة كافية ، وأين هذا من الفرد المخطيء فإنه لا يمكن نسبة من الصحة إذا ضمت لغيرها كانت جموعاً صحيحاً ، بل بالعكس فالفرد يمثل هنا نسبة من الخطأ إذا ضمت لها تضاعف الخطأ وكون خطأ كبيراً ، إن هذا القياس مع الفارق ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فإن ابن تيمية لم ينف فكرة العصمة وإنما نفى أن تكون لواحد ليس إلا فكان العقدة أن تكون لواحد أما لو نسبت لجماعة فلا إشكال ومن ناحية ثالثة أنه إنما اشترط العصمة للأمة من أجل الثقة وضمان سلامية الأحكام وهو عين المهد الذي تذهب إليه الشيعة وأنا أنقل لك رأيه مفصلاً :

(١) المستصفى بحث أركان الإجماع .

(٢) نظرية الإمامة ١١٧ .

رأي ابن تيمية في العصمة

قال ابن تيمية عند رده على الشيعة عند قوله : إنَّ وجْدَ الْإِمَامِ المَعْصُومِ لَا بَدْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِ النَّبِيِّ وَذَلِكَ لِأَنَّ الْأَحْكَامَ تَجَدَّدُ تَبَعًا لِلْمَوْضُوعَاتِ ، وَالْأَحوالِ تَغَيِّرُ وَلِلْقَضَاءِ عَلَى الإِخْتِلَافِ فِي تَفَاسِيرِ الْقُرْآنِ وَفِي فَهْمِ الْأَحَادِيثِ وَغَيْرِ ذَلِكِ .
ولو كانت عصمة النبي (ص) وكمال الدين كافيين لما حدث الإختلاف ، فثبتت أنه لا بد من إمام معصوم يبين لنا معانى القرآن ويعين لنا مقاصد الشرع كما هو مراده إلى آخر ما ذكروه في المقام : فقال ابن تيمية : لا يسلم أهل السنة أن يكون الإمام حافظاً للشرع بعد انقطاع الوحي لأن ذلك حاصل للمجموع ، والشرع إذا نقله أهل التواتر كان ذلك خيراً من نقل الواحد ، فالقراء معصومون في حفظ القرآن وتبلیغه ، والمحدثون معصومون في حفظ الأحاديث وتبلیغها ، والفقهاء معصومون في الكلام والإستدلال^(١) . ويختلف هنا ابن تيمية عن الرازبي فإذا كانت العصمة عند الرازبي لمجموع الأمة فهي عند ابن تيمية لجماعة من الناس كالقراء والفقهاء والمحدثين ، وهنا يتشرط ابن تيمية العصمة لضمان حفظ مضمون الشريعة كما هو الحال عند الآخرين من الشيعة وغيرهم ، فما الذي أجازهم المجموعة ومنعها عن فرد ؟ إنَّ عدَّ المعصومين عند الشيعة لا يتجاوز الأربعة عشر وهم مجموعة منتخبة خصها الله تعالى بكثير من الفضائل بإجماع فرق المسلمين فلماذا نستكثر عليهم العصمة ونجيزها لغيرهم مجرد سؤال ؟

رأي جمهور السنة في العصمة

يمكن القول أنَّ جمهور السنة يصححون الحديث المروي عن النبي (ص) وهو قوله (ص) : «أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم»^(١) ولازم هذا الحديث عصمة الصحابة كما سيرد به التصريح من بعضهم لأنَّ صحة الإقتداء

(١) نظرية الإمامة . ١٢٠

(١) طبقات الفقهاء للشیرازی ص ٣ .

بأي منهم ومتابعه في الظلم لوحصلت حال كونه مرتکباً للذنب وهو الحاصل من كونه غير معصوم فمعناه الأمر من الله تعالى باتباع العاصي والظالم ولو لنفسه وإذا لم يتابع ويعمل بما أراده النبي فإن معناه ترك أمر القرآن لأنّه قال : ﴿مَا آتاكم الرسول فخذوه﴾^(١) والصحابي هنا ينقل أمر الرسول ، فإن قلت إنّ الله تعالى أمرنا بأن نأخذ الحديث من العادل الثقة لقوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بَنِيَّا فَتَبَيَّنُوا أَنْ تَصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ﴾ الآية ٦ / الحجرات ، التي دلت بفهمها على حجية خبر العادل ، ونحن لا نأخذ الأمر إلا من العادل منهم ، قلت : إن ذلك يدل بالمفهوم على أنّ فيهم غير العادل حينئذ وهو المطلوب .

وعلى العموم إنّ لازم الحديث المذكور عصمة الصحابة ، وما سمعنا من ينكر على هؤلاء فلماذا إذا قال الشيعة بعصمة أئمتهم يتقدون ؟

التفتازاني والعصمة

يقول التفتازاني وهو من أجلاء علماء السنة في كتابه شرح المقاصد : احتاج أصحابنا على عدم وجوب العصمة : بالإجماع على إماماة أبي بكر وعمر وعثمان (رض) مع الإجماع على أنّهم لم تنجي عصمتهم ، وإن كانوا معصومين بمعنى أنّهم منذ آمنوا كان لهم ملكة اجتناب المعاصي مع التمكن منها^(٢) وفي هذا النص أمور :

- ١ - إن التفتازاني هنا يصرح بعصمة الخلفاء الثلاثة .
- ٢ - يقول : إن عصمتهم غير واجبة بمعنى أنّهم لا يكسرن عليها وإلا فلا يتصور تعلق الأحكام بالأمور التكوينية وإنما مجال الأحكام السلوك الإنتياري والإستعداد لقبول العصمة أمر مخلوق فيهم .
- ٣ - مفاد كلامه أن العصمة ملكة تمنع صاحبها من مقارفة الذنب لا على

(٢) الآية ٧ من سورة الحشر .

(١) شرح المقاصد ترسيط الغدير للأميني ج ٩ ص ٣٧٥ .

نحو سلب الإختيار وهذا عين ما ي قوله الشيعة في أئمتهم وليرجع من شاء إلى بحث العصمة في كتب الكلام الشيعية ، وعلى هذا فلماذا هذه الجماعة يا مسلمون؟

شمس الدين الأصفهاني ونور محمد والعصمة

يذهب الحافظ نور محمد وشمس الدين الأصفهاني الأول في تاريخ مزار شريف ، والثاني كما نقله عنه الغدير إلى أن الخليفة عثمان معصوم^(١) وقد نقله عن كتابه مطالع الأنظار . والرجلان من علماء أهل السنة .

الإيجي والعصمة

يذهب عبد الرحمن الإيجي صاحب كتاب المواقف في نفس الكتاب إلى عصمة الخلفاء وعلى النحو الذي قال به التفتازاني فيما ذكرناه عنه أي أنها ملكة فيهم لا توجب سلب الإختيار^(٢) وهو من علماء السنة وقد كشفت لنا هذه الجولة أن الشيعة لا ينفردون بالقول بالعصمة بل علماء السنة يذهبون لذلك ، إذاً فما هو وجه نسبتها إلى عبد الله بن سبأ وما هو وجه نقد الشيعة على القول بها ؟

أنا لا أريد أن أحشد للقارئ نقد كتب السنة ومؤلفاتهم حول موضوع العصمة فإن كتبهم طافحة بذلك ، ولكن سأستعرض لك رأي كاتب يعيش في القرن العشرين وفي عصر النزرة بالذات وهو وأيم الحق من أكثر أهل السنة الذين قرأت لهم اعتدالاً في الكتابة عن الشيعة ولكن مع ذلك كله تبقى الرواسب في النفوس تعمل عملها . إنني أعتقد أن هذا الرجل قد بحث في كتب الشيعة وغيرهم قبل أن يكتب كتابه وذلك لما رأيت له من كثرة المصادر مع افتراض أنه اطلع على آراء أهل السنة في هذه المواقص فلماذا الإنكار على الشيعة دون الآخرين وإذا كان لم يطلع وهو ما أستبعده ، فلماذا يكتب ؟

(١) الغدير نفس ج ٩ ص ٣٧٥ .

(٢) الغدير للأسمى ج ٧ ص ١٤٠ . والمواقف ص ٣٩٩ .

الفصل الرابع

مناقشة كتاب نشأة الآراء والمذاهب

يقول مؤلف الكتاب المذكور بمحى هاشم فرغل مستعرضاً فكرة عصمة الأئمة : إنَّ عصمة الأئمة ظهرت عند غلاة الشيعة ، ذكر أنَّ زيد بن عليٍّ كان يستنكرها ثم استنتج أنَّ السنة إنما بحثوا عصمة الأنبياء لأنَّ الشيعة بحثوا عصمة الأئمة ، وذكر أدلة الإمامية على العصمة ومنها حديث الثقلين وقد رواه هكذا :

إِنِّي ترکت فیکم مَا إِنْ تمسکتم بِهِ لَنْ تضلُّو بعْدِي . كِتابَ اللَّهِ جَبَلَ مَدْوَدَ
مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ وَعَتَرَتِي أَهْلَ بَيْتِي ، وَلَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يَرْدَا عَلَى الْخَوْضِ
فَانظُرُوا كَيْفَ تَخْلُفُونِي فِيهِمَا ، ثُمَّ ذَكَرَ صُورَةً أُخْرَى لِلْحَدِيثِ ثُمَّ قَالَ : إِنَّ هَذَا
الْحَدِيثَ جَعَلَ الْعَتَرَةَ أَهْلَ الْبَيْتِ مَبْتَلَةً لِلْقُرْآنِ وَعَدْلًا لَهُ ، كَمَا جَعَلَ لَهُمْ جَمِيعَ مَا كَانَ
لِلنَّبِيِّ مِنَ الْمَنَاصِبِ إِلَّا النَّبُوَّةَ لِيَكُونَ كَائِنًا مُوجَدًا بِنَفْسِهِ لِيَقُومَ عَلَى رِعَايَةِ الشَّرِيعَةِ ،
وَقَدْ نَزَّلَ الْحَدِيثُ الْعَتَرَةَ مَبْتَلَةً لِلْقُرْآنِ فَلَا بدَّ مِنْ أَنْ يَكُونَ عَنْهُمْ كُلُّ مَا فِيهِ مِنْ
الْعِلُومِ ، فَمَنْ ثُمَّ يَكُونُ إِلَيْهِمْ عَالِمًا بِجَمِيعِ تَفَاصِيلِ الْقُرْآنِ وَالسَّنَةِ لِتَؤْخُذَ عَنْهُ
عِلْمَهُمَا كَامِلَةً . ثُمَّ أَوْرَدَ رِوَايَاتِ الْشِّعَيْعَةِ حَوْلَ عِلْمِ إِلَيْهِمْ وَمِنْهَا مَا وَرَدَ عَنِ الْإِمامِ
عَلَيْهِ (ع) : مَا أَنْزَلْتَ آيَةً مِنَ الْقُرْآنِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ (ص) إِلَّا وَأَقْرَأْنَاهَا وَتَلَاهَا عَلَيْهِ
فَكَتَبْتَهَا بِيَدِي وَعَلَمْتُنِي تَفْسِيرَهَا وَتَأْوِيلَهَا وَمَحْكَمَهَا وَمُتَشَابِهَهَا وَنَاسِخَهَا وَمَنْسُوخَهَا
وَخَاصَّهَا وَعَامَّهَا وَدَعَا اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يَعْطِينِي فَهُمْهَا وَحْفَظُهَا وَوَضَعَ يَدِهِ عَلَى صَدْرِي
وَدَعَا اللَّهُ أَنْ يَمْلأَ قَلْبِي عَلِيًّا وَفَهْيَا وَحْكَمَةً ، ثُمَّ أَوْرَدَ رِوَايَاتٍ هِيَ فِي الْوَاقِعِ تَجْسِيدٌ
لِنَطْوِقِ هَذَا الْحَدِيثَ وَهَذِهِ الرِّوَايَةُ : كَوْجُودِ كِتَابِ الْجَفَرِ وَالْجَامِعَةِ وَمَصْحَفِ فَاطِمَةٍ

عند أهل البيت وشرح آراء الشيعة في معنى وجود هذه الكتب عند أهل البيت وذكر أن الشيعة قالوا إنها باملاء النبي وخط علي وأنه ليس فيها من القرآن شيء وإنما هي شروح وأخبار باللاحن ، ثم ذكر الروايات التي تدل على أن أهل البيت محدثون وأنهم يعضدون هذه الروايات بروايات سنية ومنها قول النبي (ص) الذي اتفق عليه أهل السنة «إن فيكم محدثين» وقول بعض الصحابة : كنت أحدث حق اكتويت ، ثم انتقل بعد ذلك إلى الروايات التي تدل على وحدة السنخية بين النبي والأئمة كقول النبي (ص) : إن الله خلقني وخلق علياً والحسن والحسين من نور واحد ، وقال في نهاية هذا الفصل : وإذا فتحنا في النهاية نصل إلى عقيدة فلسفية أو ميتافيزيقية في الإمام تجعل من الأئمة ومن الرسول جوهرًا نورانيًا واحدًا سابقاً على الوجود الأرضي وهنا نصل إلى نقطة هامة نسأل فيها عن ماهية درجة الإمامة وهل هي بدرجة النبوة أم لا ، واستطراداً من هنا أقول : إن المرء أمام هذه الآراء لا يستغرب أن تنشأ في تربتها آراء الغلة ودعوى التبز ويجد في هذه إظهاراً طبيعياً لكونات تلك إنتهى كلام فرغل بتلخيصه وتصرف في لفظ العبارة^(١) مع حفظ المضمون بمنتهى الضبط .

إتضح من هذا الفصل الذي لخصناه أن فرغل يستنكر عدة أمور ويعتبرها نوعاً من الغلو وهي العصمة ، ثم وحدة الأصل والسنخية بين النبي (ص) وأهله (ع) ثم استنكر ما ينسب لأهل البيت من علوم واستنكر رابعاً أن تكون متزلة الأئمة بعد النبي (ص) وخامساً نسب الشيعة للغلو .

تعليق

وأنا أوجه للأستاذ فرغل سؤالاً هو : لو أن هذه الأمور التي استنكرها عند الشيعة وجدت عند السنة فهل يعتقد السنة أم لا ، وستعجب من هذا السؤال وتقول كيف لا يتقدّمهم والموضوع واحد ولا فرق بين أن يقول به السنة أو الشيعة

(١) نشأة الآراء والمذاهب والفرق الكلامية ج ١ ص ١٢٧٩ حتى ١٤٢ .

وأنا أجيبك أنه لا يتقدهم إذا كانوا غير شيعة وهو ما وقع بالفعل لأنهم قالوا بهذه الأمور التي نقد بها الشيعة وساوونك على قولهم فيما يلي :

١ - فالأمر الأول :

الذى نقد به الشيعة القول بالعصمة ولا احتجاج أن أكرر ما سبق أن ذكرته ودللت عليه من قول كثير من السنة بالعصمة إن لم يكن كلهم ومع ذلك لم يعرض لهم يحيى فرغل بالنقد ، على أن يحيى فرغل أهون من غيره في هذا الباب ، ذلك أن غيره كان أكثر منه عنفاً وتهجماً خذ مثلاً : الدكتور نبيه حجاب أستاذ الأدب - لو كان هناك أدب - في دار العلوم بالقاهرة ، إن هذا الرجل يشتم الشيعة شتاً عجياً ويعتبر عقيدتهم بالعصمة مظهراً من مظاهر الشعوبية فاسمعه يقول :

إن هذه العقيدة تسرّبت للشيعة عن الفرس الذين نشأوا على تقدیس الحاکم لهذا أطلق عليها العرب التزعة الكسرية - ولا أعرف أحداً من العرب قال ذلك في حدود اطلاقي - ولعل غالبية الشيعة كانت ترمي من وراء هذه الفكرة إلى تزييه عليٌّ عن الخطأ حتى يتضح للملأ عدوان بني أمية في اغتصاب الخلافة هذا وفي اليهودية كثير من المذاهب التي تسرّبت إلى الشيعة^(١) أسمعت هذه الانشودة التي يتناقلها الخلف عن السلف بصورة بلهاء وقد فندنا ذلك هذا الزعم فيما مضى من بحث فارسية التشيع . لكن الذي أريد السؤال عنه ما هو الخطأ في سلوك الإمام عليٌّ (ع) في نظر نبيه حجاب هل هو الحروب التي قام بها من أجل مبادئ مما أدى إلى عدم الإستقرار في الوقت الذي لم يستقر فيه وضع الامورين إلا على الجماجم وعلى كل حال لا يضر علياً أن يخنطه نبيه حجاب بعد أن قال فيه الرسول عليٌّ مع الحق والحق مع عليٍّ . ومن الطبيعي جداً أن يكون عليٌّ في جانب مع من هو من معدنه ونبيه حجاب ومن هم من معدنه في الجانب المقابل .

(١) مظاهر الشعوبية في الأدب العربي ص ٤٩٢ .

٢ - الأمر الثاني :

الذي استنكره فرغل هو كون النبي (ص) وأهل بيته من نور واحد ، ولا أدرى ما هو وجه الإستغراب بعد أن أثبت الشيعة ذلك من مصادره الصحيحة هل لأن ذلك لم يصادف هو في نفوس من لا يوالون أهل البيت أم ماذا ؟ ثم لماذا إذا وجد مثل هذا عند السنة لا يكون داعياً للإستغراب : هذا الذهبي يروي في ميزان الإعتدال حديثاً عن طريق أبي هريرة عن النبي (ص) أنه قال : خلقني الله من نور وخلق أبا بكر من نوري وخلق عمر من نور أبي بكر وخلق عثمان من نور عمر وعمر سراج أهل الجنة^(١) ولا أدرى لماذا جاء النور إلى حد عثمان ولم يصل إلى علي مع أنه على الأقل خليفة رابع ، لك الله يا ابن أبي طالب ، وما أدرى ماذا يقول الاستاذ فرغل هل هذا غلو أم لا أفتونا يرحمكم الله ، هذا مع أنه من الطبيعي وحدة السنخية بين الإنسان وأهله ، وأل محمد عدل الكتاب وعيبة علم النبي فلماذا يستكثرون عليهم الاستاذ فرغل ما لا يستكثره على غيرهم .

٣ - الأمر الثالث :

الذي استنكره الأستاذ فرغل هو علم أهل البيت بالشريعة والعلوم القرآنية وعلوم السنة الشريفة وأن يكونوا محدثين ، وهنا يقال إن علم أهل البيت أما أن يكون بالطرق العادية كالتلقي والمدارسة ، أو يكون من قبيل الإلهام وأنهم محدثون ، أما الطريق الأول فهو محقق لأهل البيت لأنهم نشأوا في بيت محمد (ص) وتربوا في حجره وأخذوا العلوم من هذه البيئة وهذا أمر لا غبار عليه ، أما العلم بالطريقة الثانية وهو الإلهام والتحديث كما تذهب إليه الروايات المسلمين كلهم يقررون بذلك وسأذكر جملة من نصوصهم في إمكان مثل هذا العلم : يقول الآلوسي في تفسيره روح المعاني عند تفسير الآية ٦٥ من سورة النحل : وهي قوله تعالى : **﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مِنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِغَيْبِ إِلَّا**

(١) ميزان الإعتدال ج ١ ص ١٦٦ .

الله عقب عليها فقال : لعل الحق أن يقال إن علم الغيب المنفي عن غيره جل وعلا هو ما كان للشخص بذاته أي بلا واسطة في ثبوته له . وما وقع للخواص ليس من هذا العلم المنفي في شيء وإنما هو من الواجب عز وجل إفاضة منه عليهم بوجه من الوجوه ، فلا يقال إنهم علموا بالغيب بذلك المعنى فإنه كفر بل يقال إنهم أظهروا واطلعوا على الغيب^(١) .

وما قاله الآلوسي هو عين ما ورد عن آئمَّة أهل البيت : يقول الإمام الرضا ثامن آئمَّة أهل البيت : « يبسط لنا العلم فتعلم ويقبض عنا فلا نعلم » وهذا المعنى هو عين مفاد الآية : ٢٧ من سورة الجن وهي قوله تعالى : « عالم الغيب فلا يظهر على غيه أحداً إلا من ارتضى من رسوله » وفي شرح هذه الآية يقول الرضا لعمرو بن هداب وقد سأله عن علم الآئمَّة قال : « إنَّ رسول الله (ص) هو المرتضى عند الله ونحن ورثة ذلك الرسول الذي أطلعه الله على غيه فعلمتنا ما كان وما يكون إلى يوم القيمة »^(٢) وفي هذا المعنى يقول النيسابوري المفسر : إنَّ امتناع الكرامة عن الأولياء إما لأنَّ الله ليس أهلاً لأن يعطي المؤمن ما يريد ، وإما لأنَّ المؤمن ليس أهلاً لذلك وكل منها بعيد فإنَّ توفيق المؤمن لمعرفته لم يشرف المواهب منه تعالى لعبدِه فإذا لم يدخل الفياض بالأشرف فلأنَّ لا يدخل بالأدون أولى - .

وقد ألقى الإمام الصادق (ع) الضوء على بعض العلوم التي أخذوها من القرآن بالطرق الطبيعية وذلك عندما سأله بعض أصحابه ، فقال الصادق : « إنَّ أعلم ما في السموات والأرض وأعلم ما في الجنة والنار وأعلم ما كان وما يكون » فلما رأى أنَّ السائل استغرب كلامه قال الإمام : « إنَّ علمت ذلك من كتاب الله عز وجل الذي يقول : « وننزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة وبشري للمسلمين » الآية ٨٩ من سورة النحل » وقد روى ذلك عنه وعن

(١) روح المعاني جـ ٢٠ ص ٩ .

(٢) البحر للمجلسي جـ ١٢ ص ٢٢ .

نظريّة تلقي أهل البيت للعلم المقرّم في فصل كبير^(١).

السنة وعلم الغيب

وبعد أن أشرت إلى أن الشيعة يرون أن الإمام مستعد لأن يفيض عليه الله عز وجل من نوره وعلمه لأنّه إذا وُجد القابل فلا بخل ، في ساحة الله تعالى فعلم الغيب للذات عند الشيعة ختص بالله تعالى أما علم أهل البيت فأماما إفاضة مباشرة من الله عن طريق الإلهام أو التحدّث ، أو بتوسّط النبي ، على أنه لا ينكر أن هناك من يغلو في أهل البيت ونحن من هؤلاء براء وسيمر علينا ذلك إلا أن الذي أريد قوله : إنّ أهل السنة يثبتون علم الغيب لأتمتهم على نحو ما يفعل الشيعة ويرون أنّهم محدثون : ومن ذلك ما رواه القرطبي في تفسيره للآية ٥٢ / من سورة الحج وهي قوله تعالى :

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ﴾ إلى آخر الآية ، فقال : جاء عن ابن عباس أنه كان يقرأ الآية هكذا : وما أرسلنا قبلك من رسول ولانبي ولا حدث الخ ذكره مسلمة بن القاسم بن عبد الله ورواه سفيان عن عمر بن دينار عن ابن عباس قال مسلمة : فوجدنا المحدثين معتصمين بالنبوة لأنّهم تكلموا بأمور عالية من أنباء الغيب خطرات ، ونطقوا بالحكمة الباطنة فأصابوا فيها تكلموا وعصموا فيها نطقوا كعمر بن الخطاب في قصة سارية وما تكلم به من البراهين العالية هذا هو نص ما أورده القرطبي^(٢) وكذلك روى السيوطي قراءة الآية المذكورة وتكلم عن المحدثين في تفسيره الدر المثور فراجعه^(٣) .

وقد روى البخاري في صحيحه باب مناقب عمر عن أبي هريرة قال قال النبي (ص) لقد كان فيها قبلكم من بني إسرائيل رجال يكلمون من غير أن يكونوا

(١) مقتل الحسين للمقرّم باب علم الإمام ص ٢٤ فصاعداً.

(٢) انظر القرطبي تفسير سورة الحج من تفسيره .

(٣) انظر الدر المثور ج ٤ ص ٣٦٦ .

أنبياء فإن يكن من أمتي فيهم أحد فعمر ، كما أخرج مسلم في صحيحه في باب فضائل عمر عن عائشة عن النبي (ص) قد كان في الإسلام قبلكم محدثون فإن يكن في أمتي منهم أحد فعمر بن الخطاب منهم^(١) .

ولم يقف الأمر عند الخلفاء ولكنه وصل إلى عمران بن الحصين ، فعن مطرف قال : قال لي عمران بن الحصين : أحدثك حديثاً عسى الله أن ينفعك به : إنَّ رَسُولَ اللَّهِ (ص) جَمَعَ بَيْنَ حَجَّةَ وَعُمْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَنْهِهِ عَنْهُ مَا تَرَكَ وَلَمْ يَنْزِلْ فِيهِ قُرْآنٌ يَحْرِمُهُ ، وَإِنِّي كُنْتُ أَحَدَّهُ حَتَّى اكْتَوَيْتُ فَتَرَكْتُ ثُمَّ تَرَكْتُ الْكِيْ فَعَادَ وَقَدْ رُوِيَ ذَلِكَ كُلُّهُ مِنْ الدَّارَمِيِّ وَمُسْلِمَ فِي صَحِيحِهِمَا^(٢) .

ولست أدرِي ما هي صلة الْكِيْ بهروب المحدث والعلم عند الحصين رحمه الله .

بل إنَّ عَمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْخَلِيفَةَ الْأُمَوِيَّ كَانَ الْخَضْرَ يَمْشِي مَعَهُ وَيَحْدُثُ كَمَا رُوِيَ ذَلِكَ إِنَّمَا حَدِيثُهُ فِي التَّهذِيبِ^(٣) .

وبعد كل هذا الذي أوردهنا فهل يشكل هذا مبرراً لأن يكون أهل البيت من يفاض عليهم العلم أم لا ؟ أغلب الظن أنَّ الإشكال سيفي قائماً وسيفي الشيعة غلاة أو مخرفين لأنَّهم يقولون إنَّ الأئمة يعلمون الغيب بأمر الله .

الأمر الرابع :

الذى استنكره الاستاذ فرغل أن تأتي متزلة أئمة أهل البيت بعد متزلة النبي (ص) مباشرة عند الشيعة ، والمقصود الأئمة الإثنا عشر فقط لا غيرهم ، والحقيقة أنَّ الشيعة ليسوا هم الذين وضعوا الأئمة بهذا الموضع بل السوء هي التي وضعتهم والشيعة تبعدوا بأمر السوء يقول الله تعالى : «إِنَّمَا وَلِكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ

(١) صحيح البخاري و صحيح مسلم باب فضائل عمر .

(٢) المدير للأمني ج ٦ ص ١٨٦ .

(٣) التهذيب لابن حجر ج ٧ ص ٤٧٧ .

والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون) ٥٦ / المائدة .
 فقد تظافرت الروايات على نزولها في الإمام عليٌّ (ع) وأنها أشركته في الولاية العامة
 وقد روى ذلك كل من الفخر الرازي في تفسيره ، وابن جرير الطبرى في
 تفسيره ، والبيضاوى في تفسيره ، وأبى حيان فى تفسيره والزمخشري فى تفسيره
 وابن كثير فى تفسيره وغيرهم ثم من بعد القرآن الكريم أعطته السنة النبوية هذه
 المكانة فقال له النبي (ص) أنت مثى منزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبأ
 بعدي ، والحديث من الأحاديث المتواترة وقد أخرجه أهل الصحاح ومنهم
 البخاري ومسلم في صحيحيهما في باب فضائل عليٍّ من صحيح البخاري وكذلك
 من صحيح مسلم .

ويأتي أولاد عليٍّ (ع) من بعده وقد وضعهم النبي (ص) في هذه المكانة
 وليس أدل على ذلك من أنه جعلهم عدل الكتاب فقال (ص) إنَّ مخلفَ فيكم
 الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما إنْ تمْسِكْتُمْ بهما لنْ تضلُّوا بعدي أبداً . إلى
 آخر الحديث^(١) . والآن لنرجع إلى الفكر السني فسنجده يضع أئمته في نفس
 الموضع بدون تكير بل يرى أنَّ النبي (ص) وهو المسدد بالوحي لا يستغنى عن
 هؤلاء الأئمة لحاجته إليهم : يقول الحاكم في المستدرك بسنده عن حذيفة بن
 اليمان : سمعت رسول الله (ص) يقول لقد همت أن أبعث إلى الآفاق رجالاً
 يعلمون الناس السنن والفرائض كما بعث عيسى بن مرريم الخواربين ، قيل له :
 فلَمَّاَنْتَ عَنْ أَبِي بَكْرٍ وَعَمْرٍ؟ فَقَالَ (ص) : إِنَّهُ لَا غُنْيَ بِي عَنْهُمَا مِنَ الدِّينِ
 كَالْسَمْعِ وَالْبَصْرِ^(٢) . بل أعطى السنة للصحابي منزلة تساوي منزلة النبي من
 ناحية حجية أقوالهم وأفعالهم وكوئهم مصدرًا للتشريع : يقول موسى جار الله في
 الوشيعة : « نحن فقهاء أهل السنة والجماعة نعتبر سيرة الشيفين الصديق
 والفاروق أصلًا تعادل سنن الشارع في إثبات الأحكام الشرعية في حياة الأمة
 وإدارة الدولة وأنَّ الخلافة الراشدة معصومة عصمة الرسالة وأنَّها ناصفتها في

(١) البيان والتعريف، لابن حزم الحنفي ج ٢ ص ١٣٦ .

(٢) مستدرك الحاكم ج ٣ ص ٧٤٥ .

تبنيت أركان دين الإسلام ^(١) فالخلفاء كما ينص جار الله هنا سيرتهم تعادل ستة النبي ونص القرآن ، والخلفاء معصومون كالنبي (ص) وأئم شاطروا النبي فلهم نصف تبنيت الإسلام وللنبي (ص) النصف الثاني ويقول الإمام الغزالى : مذهب الصحابي حجة مطلقاً ^(٢) .

ويقول : ابن قيم الجوزية إن فتاوى الصحابة أولى أن يؤخذ بها وإن اختلفوا فإن كان الخلفاء الأربع في شق فلا شك أنه الصواب وإن كان أكثرهم في شق فالصواب الشق الأغلب وإن كانوا إثنين وإثنين فشق أبي بكر وعمر أقرب إلى الصواب فإن اختلف أبو بكر وعمر فالصواب مع أبي بكر وكلما كان العهد بالرسول أقرب كان الصواب أغلب ^(٣) وما أدرى ما يقصد ابن القيم من قرب العهد فإذا كان يريد القرب الزمانى فكل الخلفاء كانوا مع النبي (ص) في زمان واحد وإن كان يريد القرب المكانى بالإضافة لذلك فعلى كان ألزم للنبي (ص) من ظله فعلى تعلييل ابن القيم يجب تقديم قوله إذا تعارض مع أقوال غيره .

ودعني أحدثك عن أروع من هذا كله وهو أن يكون قول بعض أئمة السنة هو المقياس لتصحيح القرآن وأحاديث النبي (ص) إذا اختلف الكتاب والسنة مع قول ذلك الإمام : يقول الكرخي من أئمة الأحناف :

الأصل وجوب العمل بقول أبي حنيفة ، فإن وافقه نص الكتاب والسنة فذاك . وإن وجب تأويل الكتاب والسنة على وفق قول أبي حنيفة ، وقد ذكر ذلك الأستاذ رشيد رضا في تفسير المنار عند تفسير الآية : « ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً » الآية ١٦٥ / من سورة البقرة ^(٤) . وبأى القوشجي دون الكرخي بمروقة فإذا كان الكرخي جعل فقه الأحناف هو المقياس الذي يعرض عليه الكتاب والسنة ، فإن القوشجي جعل لل الخليفة عمر حقاً في أن يجتهد مقابل

(١) نظرية الإمامة ص ٦١ .

(٢) المستصفى ج ١ ص ٢٦٠ .

(٣) أعلام المؤمنين ج ٤ ص ١١٨ .

(٤) تفسير المنار ج ٢ ص ٨٣ .

الرسول فاسمعه في مبحث الإمامة من كتابه شرح التجريد يقول : إنَّ عمر قال وهو على المنبر : أيها الناس ثلث كُنْ على عهد رسول الله (ص) وأنا أُنْهِ عنهنَ وأحرمهنَ وأعقب عليهنَ : متنة النساء ، ومتنة الحج ، وحِيَ على خير العمل ، ثم عقب القوشجي على ذلك بقوله : إنَّ ذلك ليس مما يوجب قدحاً فيه فإنَّ مخالفته المجتهد لغيره في المسائل الإجتهادية ليس ببدع^(١) .

بعد ذلك نقول للأستاذ فرغل إننا نضع الإمامة بعد النبوة ونتبعه بما أعطاه النبي (ص) للإمام من صلاحيات ، ولكننا لا نجعل الإمام مقاييساً يعرض عليه الكتاب والسنة بل العكس المقاييس هو الكتاب والسنة ونرمي بما خالفهما عرض الجدار ، كما أنتا لا نجيز الإجتهاد مقابل النص كما اعتبر القوشجي النبي (ص) على أنه مجتهد وقد خالف بذلك إطلاق قوله تعالى : ﴿وَمَا يُنْطَقُ عَنِ الْمُوْى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحِيَ يُوحِي﴾ الآياتان ٣ و ٤ / من سورة النجم ، ومع ذلك فإنَّ تقييم الإمام عندنا موضع استغراب ، بينما يذهب غيرنا في أتمتهم إلى ما ذكرناه عنهم ومع ذلك لا تسمع من ينقدتهم فلماذا هذا يا أستاذ فرغل ؟ هل حاولت مرة أنت أو أمثالك أن تسألو أنفسكم عن صحة عقائدكم أو تنتقدوها كما تنتقدون غيركم أم أنكم شعب الله المختار يجوز لكم ما لا يجوز لغيركم أم ماذا ؟

٥ - الأمر الخامس :

إنَّ أستاذ فرغل روایات الشيعة بأنَّها مناخ صالح للغلو ، وأريد أن أشرح للأستاذ فرغل موقف الشيعة من الغلو والغلاة : فالغلو عرفة الطبرسي في تفسيره عند شرح الآية ٧٧ من سورة المائدة : ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابْ لَا تَغْلُوْ فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ﴾ بأنه ما يقابل التقصير وهو تجاوز الحد ، فقال : إنَّ معنى الآية : لا تتجاوزوا الحد الذي حدَّه الله ، لكم إلى الإزدياد ، وضده : التقصير وهو الخروج عن الحد إلى النقصان ، والزيادة في الحد والنقصان عنه كلَّاهما فساد ، ودين الله الذي أمر به هو بين الغلو والتقصير وهو الإقتصاد - أي الإعتدال -^(٢) .

(١) جمع البيان ج ٢ ص ٢٣٠ .

(٢) الغدير للأميني ج ٦ ص ٢٢٣ .

أما مناشيء الغلو فأبرزها وأهمها في نظرنا أربعة مناشيء هي على التوالي :

أ- المنشأ الأول :

أن يغالي الإنسان بشخص أو فكرة ليتخذ من ذلك مبرراً لاختياره للإنتهاء بهذه الفكرة أو الشخص فكأنه يريد مرجحاً أمام الناس ومبرراً نفسياً ويتبلور هذا المعنى أكثر وأكثر في العقيدة بالأشخاص فإن الأتباع يحاولون رفع من يعتقدون به إلى مستويات غير عادلة وهذا المعنى موجود على الصعيد الديني والسياسي ، فقد وصف هوبيز الحاكم بأنه المعبر عن إرادة الله وإرادة الشعب ، ومنحه السلطة المطلقة في التصرف ، ولم يعط الشعب حق عزله واعتبر إرادته من إرادة الله تعالى ، وقد ذهب فلاسفة الألمان نفس المذهب فيما خلعوا على الحاكم من صفات ، وأشدتهم في ذلك : هيكل أستاذ ماركس ، فمللك عند هيكل صاحب السلطة المطلقة ، وله مركز مستقل عن مصالح الأفراد وتمثل في شخصيته الذات النهائية وهو جموع الشعب مشخص في واحد ، وهو وهو الخ . وقد سبق هؤلاء جميعاً أفلاطون حين أعطى الحاكم منازل مقدسة ، وكذلك الفارابي حيث صور رئيس المدينة بأنه متصل بالعقل الفعال حيث يقترب من الله تعالى^(١) .

إن كل هذه المواقف تبرير لاعتقاد الفكر بمنحو آخر يوجد له تصور معين .

ب- المنشأ الثاني للغلو :

رد الفعل فإن البعض قد يضطهد من أجل معتقداته ، وقد يتقصى أو يشتم أو يهزاً به فيدفعه كل ذلك إلى المغالاة بداعي رد الفعل ، وهذا رأينا القرآن الكريم في مثل هذه المواطن أخذ العوامل النفسية بعين الاعتبار إذ يقول تعالى : ﴿وَلَا تُسْبِّحُوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيُسَبِّحُوا اللَّهَ عُدُوًاً بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ / ١٠٨ الأنعام . وهذه المسألة لها تطبيقاتها على أبعاد التاريخ في كثير من الموارد ، ومن هنا ذهب دونالدسن : إلى أن القول بالعصمة هو رد فعل من الخلفاء الغاصبين وهو

(١) نظرية الإمامة ص ١٣٥ فصاعداً.

واهم بذلك^(١) .

وقد كان لردة الفعل دور كبير في تاريخ المسلمين وعقائدهم يجب أن يؤخذ بعين الاعتبار عند معالجة كثير من المواقف وتقييم النصوص في مختلف الميادين .

جـ - المنشأ الثالث :

هو الغلو الذي ينشأ من الطيبة والبراءة وحسن الظن بالآخرين فيرکن إلى مروياتهم من دون تحخيص خصوصاً من الذين اندسوا في الإسلام لسبب وأخر وأرادوا نغطية حقيقتهم فتحمموا تحسماً مشبهاً لأشخاص أو أفكار ، وهذا المنشأ : الحديث فيه طويل فإنَّ كثيراً من المندسين لعبوا دوراً بارزاً في تسجيل نظريات ومواقف تتراء إلى الغلو حتى أفسدوا على كثير من المسلمين عقائدهم لمختلف الأهداف التي كانت تدفعهم وقد كان لكل مذهب من المذاهب حصة من هؤلاء تكثُر أو تقل تبعاً لظروف المذهب نفسه وربما يمر علينا هذا المعنى مفصلاً فيما يأتي .

دـ - المنشأ الرابع عدم الدقة :

فقد يبتلي بعضهم بشبهات نتيجة فهم خاطئ ، أو تعميم غير مبرر علمياً كان يرى رأياً لشخص من طائفة فيعمم رأيه على الطائفة كلها ، وقد تذهب جماعة إلى رأي ثم تبدي وبقى الرأي فيأتي من يحمل الرأي للآخرين ، قد يكون استنتاجاً لرأي من لازم من لوازم القول لم يتضمن له صاحب القول نفسه ، وقد يكون نتيجة خطأ في تطبيق ضابط من الضوابط الكلية على بعض الجزئيات وهكذا، ولذا لا بد من التروي والحذر الشديد عند الكتابة عن فئة أو طائفة ، ولا بد من أخذ رأيها من مصادرها المتسامِل عليها ، فإذا كان بعض الشيعة في يوم من الأيام غالى بالإمام علي لقلعه بباب خير فليس كل الشيعة كذلك وإذا كان شخص قال علي وهو يخطب أنت أنت فليس كل الشيعة كذلك .

(١) عقيدة الشيعة لدونالدسون ص ٢٢٨ .

موقعنا من الغلو والغلاة

وبعد شرح مناشيء الغلو أو أهلهما نقول : إن الشيعة تبعاً ل موقف أئمتهم وقفوا موقفاً حازماً من الغلو والغلاة فسلطوا عليهم الأضواء وتبروا منهم وكافحوكم وشهروا بهم ، وهم بذلك لا يتعدون موقف أمير المؤمنين (ع) حينما يقول : « هلك في اثنان محب غالٍ وعدو قال » وموقف الإمام الصادق (ع) حينما يقول : « ما نحن إلا عبيد الذي خلقنا واصطفانا ، والله ما لنا على الله من حجة ولا معنا من الله براءة ، وإنما ليتون وموقوفون ، ومسئولون ، من أحب الغلاة فقد أبغضنا ، ومن أبغضهم فقد أحبنا ، الغلاة كفار والمفروضة مشركون ، لعن الله الغلاة ألا كانوا نصارى ألا كانوا قدرية ألا كانوا مرجة ألا كانوا حرورية » ^(١) .

والإمامية لا يورثون الغلاة وإليك نص عبارتهم في ذلك : يرث الحق من المسلمين من مبطلهم وبطلهم من محقهم وبطلهم ، الا الغلاة يرث منهم المسلمون وهم لا يرثون المسلمين كما أن الإمامية لا يغسلون موق الغلاة ولا يدفنونهم ويحرمون تزويجهم وإعطائهم الزكاة ، وتجدد هذه الأحكام موزعة في كتب فقه الإمامية في أبواب الطهارة والزكاة والإرث ، إن الإمامية لا يعتبرون الغلاة مسلمين :

يقول الشهيدان الأول والثاني في اللمعة وشرحها في باب الوقف ! عند تعريف المسلمين : والمسلمون من صلّى إلى القبلة أي اعتقاد الصلاة إليها وإن لم يصلّ لا مستحلاً ، الا الخوارج والغلاة فلا يدخلون في مفهوم المسلمين وإن صلوا إليها للحكم بكفرهم ^(٢) وألحقا بهم المشبهة والمجسمة في الحكم ، بل إنَّ

(١) بحار الأنوار للمجلسي ج ٣ ص ٥١ .

(٢) اللمعة الدمشقية ج ١ ص ٢٢٨ طبع إيران .

الإمام الصادق (ع) يعتبر الجلوس إلى الغالي وتصديقه بحديثه خرجاً من الإيمان كما روى ذلك المفضل بن يزيد قال : قَالَ لِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الصَّادِقِ وَقَدْ ذَكَرَ أَصْحَابَ أَبِي الْخَطَابِ وَالْغَلَةَ : « لَا تَقْاعِدُوهُمْ وَلَا تَؤَكِّلُوهُمْ وَلَا تَشَارِبُوهُمْ وَلَا تَصَافِحُوهُمْ وَلَا تُورِثُوهُمْ » وَقَالَ الصَّادِقُ لِرَازَمَ أَحَدِ أَصْحَابِهِ : « قُلْ لِلْغَالِيَةِ تُوبُوا إِلَى اللَّهِ فَإِنَّكُمْ فَسَاقُ مُشَرِّكِينَ »^(١) .

آراء بعض الباحثين

وانطلاقاً من ذلك يقول الشيخ المفيد : الغلة من المظاهرين بالإسلام وهم الذين نسبوا أمير المؤمنين عليًّ بن أبي طالب وذراته إلى الألوهية والنبوة ووصفوهم من الفضل في الدين والدنيا إلى ما تجاوزوا فيه الحد وخرجوا عن القصد فهم ضلال كفار^(٢) .

ولا يحتاج إلى حشد النصوص والأدلة على براءة الشيعة من الغلة وأي موقف أشد صراحة من هذه المواقف التي ذكرتها . ولا يسع مؤمناً يؤمّن بالله ورسوله ويصدر عن تعاليم الإسلام في سلوكه ثم يتزع إلى الغلو في عقيدة أو بشر إلا من ضرب الله على بصيرته . ولأجل وضوح موقف الشيعة من الغلة انطلقت الأصوات الموضوعية تشهد ببراءتهم من ذلك ، ومن هذه الأصوات : مؤلفوا دائرة المعارف الإسلامية فقد جاء في دائرة المعارف :

الزيدية والإمامية الذين يؤلفون المذهب الوسط يحاربون الشيعة الحلوين حرباً شعواء - الحلوi لا تعتبره من الشيعة كما مر - ويعتبرونهم غلاة يسيئون إلى المذهب بل يعتبرونهم مارقين عن الإسلام^(٣) .

ويقول الدكتور أحمد محمود في نظرية الإمامة عند ذكره للبابية والبهائية :

(١) الإمام الصادق لأسد حيدر ج٤ ص ١٥٠ .

(٢) شرح عقائد الصدق للشيخ المفيد باب الغلة .

(٣) دائرة المعارف الإسلامية ج٤ ص ٦٣ .

وفي البابية آراء غالبةً جعلت منها مذهبًا منشقًا تماماً عن الإسلام ، واتفق علماء الأزهر في مصر وعلماء الشيعة في العراق وإيران على تكبير البابية والبهائية وأغلق المحفل البهائي في مصر^(١) . وقد استعرض الدكتور أحمد أمين حركة الغلاة فقال : إنَّ أفراداً بسطاء هم الغلاة الذين يُؤْهِلُونَ عَلَيْاً وإنَّ الشيعة تبرأُ منهم ولا يجوز عندهم الصلاة عليهم^(٢) . هذه أمثلة بسيطة في موضوع الغلو والغلاة أضعها أمام الذين دأبوا على رمي الشيعة بالغلو ولست أنفقي أن يكون بعض من شمله اسم الشيعة يعني انتماهه إلى الفتنة التي تفضل عليناً أو قل للتتشيع بمعناه اللغوي قد نسبت له آراء وأقوال تفيد العلو وقد بادروا وبادت معهم آراؤهم ولا يوجد اليوم منهم أحد إلا في بطون الكتب ومن ذلك ما ذكره البغدادي في الفرق بين الفرق حيث قال : الإمامية من الرافضة هم خمس عشرة فرقة هي : الكاملية ، والحمدية ، الباقيمة ، والناؤوسية ، والشمسية ، والعمارية ، والإسماعيلية ، المباركة ، والموسية ، والقطعية ، والإثنا عشرية ، والهشامية ، والزرارية ، واليونسية ، والشيطانية ،^(٣) وتعقيباً على قول البغدادي نذكر أنَّ الإمامية هم الإثنا عشرية وهم جمهور الشيعة اليوم ولا يوجد من الشيعة غيرهم وغير الزيدية والإسماعيلية في هذه الآونة ، ثم إنَّ الإثني عشرية الذين هم مدار بحثنا يمتازون عن غيرهم بعقادتهم ولا يصح أن تنسَب إليهم آراء غيرهم لأنَّ يجمعه معهم الإسم وشيء آخر هو أنَّ من ذكرهم البغدادي قد يمثلون لكل فرقة ذكرها بضعة أفراد ليس إلا ، وهذا اللون من الخطط والتسلسل تعلمنا أن نرى مثله كثيراً في كتاب الفرق لابن طاهر وغيره خذ مثلاً ما يقول ابن طاهر في كتابه الفرق بين الفرق عن جابر بن يزيد الجعفي يقول :

جابر بن يزيد الجعفي من الحمدية وهم أصحاب محمد بن عبد الله بن الحسن يتظرون ظهوره وكان يقول برجعة الأموات إلى الدنيا قبل القيمة^(٤) .

(١) نظرية الإمامة من ٤٣٦ هـ.

(٢) فجر الإسلام من ٢٣٧١.

(٣) الفرق بين الفرق من ٥٣.

(٤) الفرق بين الفرق من ٤٤.

ولم يكن جابر من أتباع محمد بن عبد الله بن الحسن ، ولا كان يقول برجعة مطلق الأموات وإنما كان يقول برجعة بعض أهل البيت لروايات سمعها ليس إلا ، وهكذا يكون التحقيق عند أمثال ابن طاهر من الكتاب كأن مسألة العقائد أمر بهذه السهولة بحيث ينسب للناس ما لم يقولوه ويرجعهم إلى فتاوى ليسوا منها .

وأعود لموضوع الغلة فأقول قد انتفع للقارئ موقف الشيعة من الغلة ولكن مع ذلك تجد باحثاً كالزبيدي صاحب تاج العروس يعرف الإمامية في كتابه التاج فيقول : الإمامية هم فرقة من غلة الشيعة^(١) ، وتجد الدكتور محمود حلمي في كتابه تطور المجتمع الإسلامي العربي يقول : وقد سموا بالشيعة لأنهم شایعوا علينا وقدموه على سائر أصحاب رسول الله (ص) واستشهد أهل الشيعة بنصوص من القرآن الكريم فسروها على حسب نظرتهم وغالباً بعض الشيعة في تبرير الحقيقة على بن أبي طالب وأضفني عليه بعض صفات التقديس والالوهية^(٢) إنك تستغرب لهجة هؤلاء الكتاب خصوصاً بعض كتاب مصر فإنهم يصورون الشيعة كأنهم أناس لا إيمان لهم ولا دين يتلاعبون بالنصوص من دون رقيب من الله تعالى ولا ضوابط من علم وخلق ، وإنهم والله أولى بذلك ، وإنما الدليل على ما ذكره محمود حلمي وهذه كتب الإمامية بين يديه فليذلنا على مكان تنساب فيه الشيعة الحلوى والالوهية إلى عليٍّ وسوف لا يجد ذلك قطعاً إنهم يصدرون فيها يقولون عن عدم شعور بالمسؤولية : كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولوا إلا كذبائهم الكهف / ٥ والأنكى من ذلك أن تجد من تأثر بهؤلاء الكتاب من قريب أو بعيد وهو من الشيعة وتراه يكتب بنفس الأسلوب ورحم الله من يقول :

وظلم ذوي القربى أشد مضاضة على المرأة من وقع الحسام المهدى يقول الدكتور كامل مصطفى في كتابه : وبذلك يتبيّن أنّ الغلة وإن كانوا مغضوباً عليهم من الشيعة المعتدلين وأنتم : قد أسسوا العقائد الأصلية للتشيع

(١) تاج العروس ج ٨ ص ١٩٤ .

(٢) تطور المجتمع الإسلامي ص ٤٨ .

من بدأء ، ورجعة ، وعصمة وعلم لدُنِّي بحيث صارت مبادئ رسمية للتشيع فيما بعد ولكن على صورة ملطفة إنتهى ، وظهر لي أنَّ الدكتور كامل أخذ ذلك من تصريح ابن نوف وهو أحد أصحاب المختار وهو قد أخذها من المختار^(١) وأعيد إلى الذاكرة أنَّ العقائد قد أخذها الشيعة من القرآن والسنَّة كما برهنا عليه فيما مر ، ثم لو قدر أنَّ ابن نوف هذا أو المختار قد قالا قولًا خاصًا بها فما ذنب الشيعة ومن هو ابن نوف حتى يمثل الشيعة؟! وإذا كان الدكتور كامل يعترف بأنَّ الغلة مغضوب عليهم من الشيعة وأنهم فكيف تأخذ الشيعة منهم وهي إنما غضبت عليهم لغلوهم إذا كانت هذه العقائد من الغلو وهو ليس منه في شيء ، أليس هذا هو التناقض بعينه؟ وإذا كنا نعذر حلمي وأمثاله لأنهم لم يأخذونا من مصادرنا فيما عذر مثل كامل الشبيبي وهو من الشيعة ويعيش بين مصادرهم . وليس هذا بالإستنتاج الوحيد من الدكتور كامل الذي لا نقره عليه بل له استنتاجات كثيرة من هذا النوع ومنها : أنه عندما استعرض مصادر القول بالرجعة عند الشيعة ذكر أنَّ من مصادرها كلمات الإمام علي^(ع) وردت في نهج البلاغة عندما أظفره الله تعالى بأصحاب الجمل وقال له بعض أصحابه : وددت أنَّ أخي فلاناً كان شاهدنا ليرى ما نصرك الله به على أعدائك فقال له أمير المؤمنين^(ع) : أهوى أخيك معنا؟ قال : نعم ، قال : فقد شهدنا ، ولعل الإمام يشير إلى الآية : ﴿وَلَا تُحْسِنَ الَّذِينَ قُتُلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَالًاٌ بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْزَقُونَ﴾ /آل عمران . ولكنَّ الخبر يتوجه إلى الرجعة بكل ما فيها من عبرة وعمق بل إنَّ بقية الخبر تنفذ إلى أغوار بعيدة من فلسفة الرجمة وحكمتها فإنَّ الإمام يقول :

ولقد شهدنا في عسكرنا هذا أقوام في أصلاب الرجال وأرحام النساء سيرعرف بهم الزمن ويقوى بهم الإيمان ، ومن ذلك يبدو أنَّ علياً لا يكتفي بتقرير عودة الماضين في الجهاد ليقطفوا ثمرة جهادهم بل يقرر أنَّ المجاهدين الآتين يحضرون هذا النصر ، ليزيد ذلك من أيدهم ويربط على قلوبهم وتلك أمور فيها من

(١) الصلة بين التصوف والتشيع - فصل الغلة .

الأفلاطونية القدية والحديثة مدخل كبير انتهى كلامه^(١).

وأنا أضع هذا النص بين يدي القارئ ليرى ما هو مقدار الصواب من هذه الإستنتاجات التي أوردها الدكتور والآثار التي رتبها عليها والإكتشافات الأفلاطونية التي ذكرها ، وأعقب على ذلك بما يلي :

أولاً : إذا كان هذا النص وارداً في الرجعة فمعنى هذا أن الإمام علياً (ع) هو الذي وضع عقيدة الرجعة وليس الغلة كما يقول الدكتور كامل .

ثانياً : إن هذا النص وبكل بساطة أجنبني كما ذكره الدكتور ولا صلة له بالمرة بالمعانى التي ذكرها وكل ما في الأمر أن هذا النص يفيد معنى الرواية « من أحب عمل قوم حشر معهم وشاركهم في عملهم » ولذلك سأله الإمام علياً (ع) الرجل عن هوى أخيه هل هو مع أمير المؤمنين (ع) وأصحابه فلما أجابه بنعم قال : « لقد شهدنا » أي أنه شاركتنا بمشاعره ثم قال له الإمام : إن جميع من سيرعرف بهم الزمان وهم على رأينا سيشاركوننا بعد ذلك بحصول الثواب والفرح بالنصر ، وكم لهذا الموضوع من نظائر ، ومن ذلك ما رواه مؤرخوا واقعة الطف حيث قالوا : إن جابر بن عبد الله زار الحسين (ع) بعد قتله فقال في الزيارة : « أشهد أنا شاركتكم فيما أنتم فيه » فقال له رفيقه الأعمش : إن القوم قطعوا رؤوسهم وجاهدوا حتى قتلوا فكيف شاركتناهم نحن فيما هم فيه ؟ فقال له جابر : إن نبقي ونفيه أصحابي على ما مضى عليه الحسين وأصحاب الحسين ذكر ذلك أصحاب المزارات كافة ، هذا هو معنى كلام الإمام علياً (ع) لا كما ذهب إليه الدكتور .

أين موضع الغلو

أعود بعد ذلك لأضع بين يدي الأستاذ فرغل بعض روایات من مئات من نوعها تدلّه على موضع الغلو ليعلم أن الغلو عند غير الشيعة ، وعلى أسوأ

(١) الصلة بين التصرف والتسيع ص ١١٤ .

الفروض فإنَّ عند السنة أضعاف ما عند الشيعة ، وسأبدأ معه من الخلافة وأسلسل معه .

١ - الشاهد الأول :

ذكر الشيخ إبراهيم العبيدي المالكي في كتابه عمدة التحقيق في بشائر آل الصديق قال روي أنَّ النبي (ص) قال يوماً لعائشة : إنَّ الله لما خلق الشمس خلقها من لؤلؤة بيضاء بقدر الدنيا مائة مرة وأربعين مرة - مع ملاحظة أنَّ حجم الشمس كما يقول الفلكيون مليون وثلاثمائة ألف مرة تقريباً - وجعلها على عجلة وخلق للعجلة ثمانمائة عروة وستين عروة وجعل في كل عروة سلسلة من الياقوت الأحمر ، وأمر ستين ألفاً من الملائكة المقربين أن يجروها بتلك السلاسل مع فوتهم التي اختصهم الله بها ، والشمس مثل الفلك على تلك العجلة وهي تجول في القبة الخضراء وتجلو جمالها على أهل الغرباء وفي كل يوم تقف على خط الإستواء فوق الكعبة لأنَّها مركز الأرض :- ملاحظة : خط الإستواء ليس فوق الكعبة - وتقول يا ملائكة ربِّي إني لاستحيي من الله عز وجل إذا وصلت إلى محاذة الكعبة التي هي قبلة المسلمين أن أجوز عليها والملائكة تجر الشمس لتعبر على الكعبة ، بكل قوتها فلا تقبل منهم وتعجز الملائكة عنها فالله تعالى يوحى إلى الملائكة ومن الإهام فينادون : أيتها الشمس بحرمة الرجل الذي اسمه منقوش على وجهك المثير إلا رجعت إلى ما كنت فيه من السير ، فإذا سمعت ذلك تحركت بقدرة المالك فقالت عائشة :

يا رسول الله من الرجل الذي اسمه منقوش عليها ؟

قال : هو أبو بكر الصديق يا عائشة قبل أن يخلق الله العالم علم بعلمه القديم أنه يخلق الهواء ويخلق على الهواء هذه السماء ويخلق بحراً من الماء ويخلق عليه عجلة مركباً للشمس المشرقة على الدنيا وإنَّ الشمس تتمرد على الملائكة إذا وصلت إلى الإستواء وإنَّ الله قدر أن يخلق في آخر الزمان نبياً مفضلاً على الأنبياء وهو بعلك يا عائشة على رغم الأعداء ونقش على وجه الشمس إسم وزيره أعني أبي بكر صديق

المصطفى فإذا أقسمت الملائكة عليها به زالت الشمس وعادت إلى سيرها بقدرة المولى وكذلك إذا من العاصي من أمري على نار جهنم وأرادت النار أن تهجم على المؤمن فلحرمة حبة الله في قلبه ونقش اسمه على لسانه ترجع النار إلى ورائها ^(١).

٢ - الشاهد الثاني :

ذكر محمد بن عبد الله الجرجاني في مصباح الظلام قال : روي عن ابن عباس جاء جبرئيل وقال يا محمد اقرأ عمر السلام وأخبره أن رضاه عز ، وغضبه حلم ، ولبيك الإسلام بعد موتك على موت عمر فقال : يا جبرئيل أخبرني عن فضائل عمر وما له عند الله تعالى ؟ فقال : يا محمد لو جلست معك قدر ما لبث نوح لم أستطع أن أخبرك بفضائل عمر وما له عند الله تعالى ^(٢) .

٣ - الشاهد الثالث :

ذكر الإمام أحمد في مسنده بإسناده عن عائشة : أن أبي بكر استأذن على رسول الله (ص) وكان مضطجعاً في بيته كاشفاً عن فخذيه وساقيه فاستأذن أبو بكر فأذن له وهو على تلك الحال فتحدث ، ثم استأذن عمر فأذن له وهو كذلك فتحدث ، ثم استأذن عثمان فجلس رسول الله (ص) وسوى ثيابه فلما خرج قالت عائشة : دخل أبو بكر فلم تهش له ولم تبالغ ، ثم دخل عمر فلم تهش له ولم تبالغ ، ثم دخل عثمان فجلس وسوت ثيابك فقال : ألا تستحي من رجل تستحي منه الملائكة ^(٣) .

هذه ثلاثة نماذج من عشرات من الروايات : التي يأبها الخلفاء أنفسهم فإن لهم من مواقفهم ومناقبهم ما يكفيهم إنهم ليسوا بحاجة إلى أن تشاد لهم صروح من خيال أبله كما أن تاريختنا الإسلامي أعز علينا من أن نرضى بأن تكون

(١) عمدة التحقيق ص ١٨٤.

(٢) مصباح الظلام ج ٢ ص ٢١٦.

(٣) مصباح الظلام ج ٢ ص ١٦.

مادته من هذا التخريف ، فإن لنا من محتويات تاريخنا الناصع ما هو محل اعتراض الإنسانية وإلحاقاً بهذا أشفع لك هذه الروايات ببعض النماذج الأخرى التي خلقها التنافس بين المذاهب بدون أن يلتفت إلى أنه بذلك يحط من قيمة المذاهب كلها . يقول ابن الجوزي في كتابه *الياقونة* : إن أبو حنيفة كان في حياته يعلم الخضر ولما مات أسف الخضر وناجي ربه وقال إلهي إن كان لي عندك منزلة فأذن لأبي حنيفة حتى يعلمني من القبر على حسب عادته حتى أتعلم شرع محمد على الكمال فاحياه الله تعالى وتعلم منه العلم إلى خمسة وعشرين سنة العَمَّ^(١) . فمن هو الذي يقول بالرجعة يا مسلمون ؟

ويقول ابن الجوزي في كتاب *المناقب* عن علي بن إسماعيل قال : رأيت القيامة قد قامت وجاء الناس إلى قنطرة ولا يترك أحد يجوز حتى يأتي بخاتم ورجل جالس ناحية يختتم للناس ويعطيهم فقلت : من هذا ؟ قالوا : أحمد بن حنبل^(٢) .

وبوسعك أن تقرأ روايات في الإمام مالك وفي الإمام الشافعي وفي كثير من الفقهاء والأئمة مما نسج من الخيال ووضع في طريق القارئ يؤذن ذوقه وينخدش حسه ، وبعد ذلك فماذا يسمى مثل هذا هل هو غلوأم لا سؤال موجه للأستاذ فرغل ؟ . وسأقدم لفرغل نموذجاً واحداً فقط يقول صاحب تفسير روح البيان : عند تفسير قوله تعالى : **﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَّةٍ﴾** إن نصف الثمانية الذين ذكرتهم الآية هم أبو حنيفة ومالك والشافعي وأحمد بن حنبل ، ما يقول مولانا فرغل في ذلك ؟؟!!

(١) الإمام الصادق لأسد حيدر جه من ١١٧ .

(٢) المصدر السابق ج ٣ من ٤٧٠ .

الفصل الخامس

مِنْ عِقَائِدُنَا - الْمَهْدِي

ما رأيت كاتباً كتب عن الشيعة إلا وأخذ من عقيدتهم بالمهدي وسيلة للسخرية والتهريج ووضع للفكرة حواشي ورب عليها لوازم وأشرع سلاحة وتفيه بكلامه وصال وجال كأنه اكتشف كشفاً ضخماً وأنه وحده العبرى وأن الآخرين بلهماء ، ولنر من أين جاءت فكرة المهدي وهل أخذها الشيعة من مصدر ديني سليم أم لا ؟ وهكذا نشي مع الفكرة ، إن الذين كتبوا عن المهدي ربوا مصدر هذه الفكرة بأمررين أحدهما الفكر الوضعي والآخر العقيدة الدينية ، والذين ربوا العقيدة بالفكر الوضعي انقسموا أيضاً . وسنذكر أقوالهم حسب الشق الذي مالوا إليه ورجحوا أنه المصدر لهذه الفكرة :

١ - القسم الأول :

الذين ربوا فكرة الإمام المهدي بالفكر الوضعي في بعده النفسي يرون أن عقيدة المهدوية ليست وفقاً على الفكر الشيعي ولا على المسلمين فقط بل ولا على البيانات السماوية كلها إنما هي على مستوى الشعوب ذلك أن العامل المشترك بين كل هذه الفئات هو عامل نفسي موحد : وهو الشعور بوضعيه غير عادلة من حكم قائم بالفعل وخزين متراكم من حكام سابقين عاشوا مع شعوبهم على شكل قاهر ومقهور ، ومتسلط ومسحوق ، ورزحوا تحت نير الظلم والطغيان . ولذا كانت هذه العقيدة عند الشعوب الشرقية ونظائرها من يشتراك

مع الشعوب الشرقية بأنه مسحوق ، وحيث أن بعض هذه الشعوب عنده عقيدة دينية تبشر بالمهدي أيضاً : فإن هذه العقيدة مهمتها تدعيم هذا العامل النفسي وخلق لون من المشروعية لهذه الترفة في نفوس الناس وهذا هو المعنى الذي عبر عنه برتراند رسل بقوله :

ليس السبب في تصديق كثير من المعتقدات الدينية الإستناد إلى دليل قائم على صحة واقع كما هو الحال في العلم ، ولكنه الشعور بالراحة المستمد من التصديق فإذا كان الإيمان بقضية معينة يحقق رغباتي فأنا أتمنى أن تكون هذه القضية صحيحة وبالتالي فأعتقد بصحتها^(١) .

إذاً فالقدر الجامع بناءً على هذا هو الأمل بظهور مخلص من واقع سني تعشه الجماعة ، وفي ذلك يقول الدكتور أحمد محمود :

إن الإعتقاد بظهور مسيح أو انتظار رجعة مخلص وليد العقل الجمعي في مجتمعات تفكيراً ثنيوأرسطياً في شؤونها السياسية ، وبين شعوب قاست الظلم ورزحت تحت نير الطغيان ، سواء من حكامهم أم من غزاة أجانب ، فإذا إزاء استبداد الحاكم وفي ظل التفكير الديني تتعلق الآمال بقيام مخلص أو محمر يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً^(٢) .

فهذه العقيدة بالرغم من وجود مصادر دينية لها عند المسلمين واليهود والمسيحيين إلا أن هذه المصادر ليست هي العامل الأساسي في نظر هؤلاء بالإعتقاد بها ، وإنما تلعب دوراً مبرراً ثانياً ، ويرى الدكتور أحمد محمود أن عقيدة السنة بالصبر على الظلم وعدم الخروج عليه عمقت نزعة المهدي وتركت الوسط الديني السني الذي يعتقد بموضوع المهدي يعيش بين عامل الألم من الواقع الفاسد الذي عاشه أيام الأمويين وما تلاها من عصور ، وبين ضرورة الخلاص ، فمال إلى الخلاص في المهدي الأبعد الذي وجده في عقيدة المهدي وقد حاول إشراك

(١) نظرية الإمامة من ٤٢٠.

(٢) نفس المصدر السابق من ٣٩٩.

الشيعة في ذلك باعتبارهم صابرين على الظلم حيث قال :

إن هذه العقيدة لا يؤمن بها إلا أولئك الذين يعانون صراعاً نفسياً نتيجة السخط على تصرفات الحكام وعدم استحقاقهم لقب الخلافة لفسقهم ، ونتيجة خضوعهم من ناحية ثانية للأمر الواقع أما خشية الفتنة كما هو عند السنة ، الذين لا يرون الخروج على أئمة الجور استناداً إلى أدلة عندهم ، أو نتيجة للتخاذل بسبب فشل كثير من الحركات الثورية كما هو عند الشيعة الذين يرون الصبر على الخلفاء تقية فعقيدة المهدي مخرج لهذا الصراع ، أما الفرق التي تحمل من أصول مبادئها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالسيف كالخوارج والزيدية : فإن هذه العقيدة عندهم غير ذات موضوع ، إلى أن قال : ولذا لا تبلغ أهمية المهدي عند فرقه من الفرق كما تبلغ عند الشيعة الإثنى عشرية الذين يتطرف حكمهم على الخلفاء من ناحية كما يتطرف تحريرهم الخروج على الخلفاء من ناحية أخرى^(١) .

هذا ملخص ما قاله الدكتور أحمد محمود ولنا على مضامين هذا الفصل الملاحظات التالية :

١ - الملاحظة الأولى :

أن هذا خلط بين السبب وبعض نتائجه ذلك لأن الشعوب المرتبطة بدين معين تربط مظاهرها العقائدية بدينيها في الجملة ، فإذا لم يوجد مصدر ديني لذلك المظهر يبحث عن سببه الآخر ، ولا شك أن الأديان الثلاثة بشرت بفكرة المخلص وهو إما واحد للجميع يوحد به الله تعالى الأديان في الخلاص من الظلم ، أو متعدد لكل أمة من الأمم مهديها ، والهدف منه ومن التبشير به أن يوضع أمام كل أمة مثل أعلى يجسد فكرة العدل وتكون الشعوب على تماس مباشر مع الفكرة الحية والمثل الأعلى كما هو متصور فالأصل في فكرة المهدي النصوص الدينية ، وساعد على ترسيخها في النفوس ارتياح النفوس إليها ، خصوصاً إذا لم تقع على تجسيد العدل لسبب ما . ولكنها إذ تتخذ من فكرة المهدي وسيلة تعويضية

(١) نظرية الإمامة ص ١٢٧.

نسخ الغرض الأصلي من فكرة المهدى وهو أن تكون حافزاً يدفع الناس إلى السعي إلى دفع الظلم وفكرة قيام الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر خصوصاً إذا كانت النصوص الدينية قائمة في تحمل الإنسان مسؤولية الدفاع عن نفسه وعن مقدساته بغض النظر عن قيام المهدى وعدهم كما هو واقع التعاليم الدينية ، فلا ينبغي أن تتحول فكرة الإمام المهدى من نصب مثل أعلى لاستشعار سبل ومناهج الحياة الكريمة إلى مخدر يميت في الفنوس نزعات التطلع ووئبات الرجولة ، أو منع محفز إلى منوم .

٢ - الملاحظة الثانية :

إن إشراك الشيعة مع السنة بأنهم لا يهضون ضد الظلم نقية مغالطة صريحة ، وذلك لأن عامل صر السنة على الظلم عامل اختياري نتيجة تمسك بآحاديث يرون صحتها في حين أن صبر الشيعة على الظلم نتيجة تمسك لعدم وجود قدرة ووسيلة للنهضة ، وهذا عامل عام عند كل الناس ، أما لو وجدت عوامل النهضة فلا يتضرر الشيعة خروج المهدى ليصلح لهم الأمر بدليل أن حكم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بشروطها قائم عندهم فعلاً ، وكذلك الجهد بكل أقسامه بوجود نائب الإمام الخاص أو العام في رأي بعضهم قائم بالفعل ، أما دفاع الظالم عن النفس والمقدسات فلا يشترط فيه وجود إمام أو نائب على رأي جمهور فقهاء الشيعة لأنه دفاع عن النفس ويتعين القيام به في كل وقت من الأوقات^(١) .

إن الرجوع إلى تاريخ الشيعة يشكل أدلة قائمة على ما ذكرناه لكثرة ثوراتهم على الباطل في مختلف العصور والجهاد مع باقي فرق المسلمين في ساحات الجهاد ضد الكفر والظلم ولست بحاجة للإطالة بذلك لوضوحه .

٢ - الملاحظة الثالثة :

لا يهض اشتراك الشعوب في عقيدة المهدى دليلاً على وحدة العامل ، لأننا
 (١) شرح المعة للشهيد الثاني ج ٢ ص ٣٨١ ، وكتاب العرفان للمقداد ج ١ ص ٣٤٢ .

نرى كثيراً من المظاهر السلوكية سواء كانت مظاهر دينية أم لا تشتراك بها شعوب دون أن تصدر عن علة واحدة . خذ مثلاً ظاهرة تقديم القرابين فهي عند معتقدى الأديان السماوية شعيرة أمر بها الدين بهدف التوسيعة على الفقراء والمعوزين في حين نجدها عند بعض الشعوب بهدف اتقاء سخط الآلهة ، وعند البعض الآخر لطرد الأرواح الشريرة وعند البعض الآخر تقدم الضحايا من البشر بهدف استدرار الخير كما هو عند قدماء المصريين ، فلم تكن العلة واحدة عند الشعوب كما ترى ، إذاً فمن الممكن أن تكون فكرة الإمام المهدي ليست عملية تعويض أو تنفيض وإنما هي فكرة تستهدف وضع نصب يظل شائعاً دائماً يذكر الناس شأن الظلم قد يمهد ولكنه لا يهمل لأن الناس إذا تقاعسوا عن طلب حقوقهم فإن النساء لا تسكت بل لا بد من الإنقاص على يد مخلص ، مع ملاحظة أن الأصل في مثل هذه الحالات أن يتصدى الناس لتعقيم الإعوجاج ولذلك يقول الله تعالى : «إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم» الرعد ١٢ فإذا غالب عليهم التخاذل فإن الله تعالى لا يهمل أمر عباده ولذلك تشير الآية الكريمة وهي قوله تعالى : «حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا فنجي من نشاء ولا يرد بأسنا عن القوم مجرمين» يوسف ١١٠ وقد حام المفسرون حول هذا المعنى الذي ذكرناه عند تفسيرهم للآية المذكورة^(١) وذكروا أن النساء تتدخل عندما يطول البلاء وتتشدد الحالة ويهلك الناس إلى حد اليأس .

٢ - الشق الثاني :

الذين ربطوا فكرة الإمام المهدي (ع) بالأخذ التقليدي وقالوا إنها عبارة عن اقتباس أخذه المسلمون عن بعض الشعوب من دون أن يكون هناك عامل شعوري مشترك وسواء أخذت هذه العقيدة من هذا الشعب أو ذاك فإن جولن تسيهير ، وفان فلوتن : المستشرقان قالا إنها مقتبسة من اليهود بشكل وبآخر ، ويؤكد فان فلوتن أنها جاءت من قتبوات كعب الأحجار ووهب بن منبه وهي من

(١) صنوة البيان لخلقوق ج ١ ص ٣٩٧ ، وجمع البيان للطبرسي ج ٣ ص ٢٧١ .

الأفكار الإسرائيلية التي نشرت بين المسلمين^(١) . في حين يذهب أحد الكسروي إلى أنها مقتبسة من الفرس حيث يقول :

لا يخفى أن قدماء الفرس كانوا يعتقدون بإله خير يسمى يزدن ، وإله شر يسمى أهرین ، ويزعمون أنها لا يزالان يحكمان الأرض حتى يقوم ساوشيانات ابن زرادشت النبي ، فيغلب أهرین ويصير العالم مهدأً للخير وقد تأصل عندهم هذا المعتقد فلما ظهر الإسلام وفتح المسلمون العراق وإيران واحتلوا بالإيرانيين سرى ذلك المعتقد منهم إلى المسلمين ونشأ بينهم بسرعة غريبة ولسنا على بيته من أمر كلمة المهدي من وضعها ومتى وضعت . إنها بتلخيص^(٢) . إن هذا الرأي لا يستحق المناقشة في الواقع لأسباب كثيرة منها : افتراضه تساهل المسلمين بحيث يعتقدون بأمور لا يعرفون مصدرها ومنها عدم وجود صلة بين فكرة إلهي خير وشر وفكرة مخلص ، ومنها أن حجم مسألة المهدوة ليس بهذه البساطة فال فكرة من الفكر الكبيرة الحجم بالعقيدة الدينية .

٣ - الشق الثالث :

ربط فكرة المهدي بالفكر الوضعي في بعده السياسي ويقول أصحاب هذه الفكرة أن فكرة المهدي اخترعها بعض الحكام الذين حكموا ولم تتوفر فيهم صفات يفترضها المسلمون في الحاكم ، فافتراضوا أن هناك إماماً غالباً محراً سيظهر بعد ذلك وقد عهد إليهم بالقيام بالحكم إلى أن يظهر وقالوا إن المختار الثقي من سلك هذا الطريق وادعى أنه منصوب من قبل المهدي من آل محمد ، ومن أكذ هذا الرأي المستشرق وات^(٣) وهذا الرأي يضع الأثر مكان المؤثر فإن الذين اخذوا من فكرة المهدي سناداً لهم على فرض وجودهم بهذه الكثرة : لا بد أن تكون فكرة المهدي شائعة عند الناس قبل مجئهم فاستفادوا منها وركبوا ظهر العقيدة ، على أن نسبة هذا الرأي للمختار باعتباره جزءاً من العقيدة الكيسانية

(١) نظرية الإمامة ص ٣٩٩.

(٢) التشيع والشيعة ص ٣٥.

(٣) تاريخ الإمامية وأسلافهم ص ١٦٥.

فَنَدِهِ كَثِيرٌ مِّنَ الْمُحْقِقِينَ ، وَحْقٌ مَعَ فِرْضِ صَحَّتِهِ يَقْنِي مَتأخِرًا عَنْ وُجُودِ عِقِيدَةِ الْمَهْدِيِّ كَمَا ذَكَرْنَا . وَلَيْسَ لِلْمُخْتَارِ تِلْكَ الْمَكَانَةُ الْكَبِيرَةُ عِنْدَ فَرَقِ الْمُسْلِمِينَ حَتَّى يَأْخُذُوا عَنْهُ وَيَتَأثِرُوا بِآرَائِهِ مَعَ النَّفَاتِ الْمُسْلِمِينَ هَذِهِ .

عقيدة المسلمين بالمهدي

إِنَّ فَكْرَةَ الْإِمَامِ الْمَهْدِيِّ فِي نَطَاقِ الْعِقِيدَةِ الْدِينِيَّةِ بَغْضَ النَّظَرِ عَنْ تَفَاصِيلِهَا مَوْضِعُ اِتْفَاقِ جَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ فَإِنَّ رَوَايَاتِ الْمَهْدِيِّ وَانتِظَارِ الْفَرْجِ عَلَى يَدِيهِ وَظُهُورِهِ لِيَمْلأُ الْأَرْضَ عَدْلًا وَرَدَتْ عِنْدَ كُلِّ مَنْ شَيْعَةُ وَالسُّنَّةِ ، وَمَنْ رَوَاهَا مِنْ أَئِمَّةِ السُّنَّةِ :

الإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مَسْنَدِهِ ، وَالْتَّرمِذِيُّ فِي سَنَتِهِ ، وَأَبُو دَاوُودُ فِي سَنَتِهِ ، وَابْنُ مَاجَةَ فِي سَنَتِهِ ، وَالْحَاكمُ فِي مَسْتَدِرِكِهِ ، وَالْكَنْجِيُّ الشَّافِعِيُّ فِي كِتَابِهِ الْبَيَانِ فِي أَخْبَارِ صَاحِبِ الزَّمَانِ وَابْنِ حَجْرِ الْعَسْقَلَانِ فِي الْقَوْلِ الْمُخْتَصِّرِ فِي عَلَامَاتِ الْمَهْدِيِّ الْمُنْتَظَرِ ، وَيُوسُفُ بْنُ يَحْيَى الدِّمْشِقِيُّ فِي عَقْدِ الدَّرَرِ فِي أَخْبَارِ الْإِمَامِ الْمُنْتَظَرِ ، وَأَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ أَبْوَ نَعِيمٍ صَاحِبِ الْحَلْلَةِ فِي نَعْتِ الْمَهْدِيِّ ، وَمُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْحَمْوَيِّ فِي مَشْكَأِ الْمَصَابِعِ ، وَالسَّمْهُودِيُّ فِي جَوَاهِرِ الْعَقَدِيْنِ وَعَشْرَاتِ مِنْ أَعْلَامِ السُّنَّةِ وَغَيْرِهِمْ^(۱) لَا أُرِيدُ الإِطَالَةَ بِذِكْرِهِمْ .

وَقَدْ أَخْرَجَ أَئِمَّةُ السُّنَّةِ أَحَادِيثَ الْمَهْدِيِّ عَنْ طَرِيقِ الْإِمَامِ عَلَيْهِ السَّلَامُ (ع) وَابْنِ عَبَّاسٍ ، وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ ، وَطَلْحَةَ ، وَابْنِ مُسْعُودٍ ، وَأَبِي هُرَيْرَةَ ، وَأَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ ، وَأُمِّ سَلَمَةَ ، وَغَيْرِهِمْ .

وَمِنْ تِلْكَ الْأَحَادِيثِ مَا رَوَاهُ أَبْنُ عُمَرَ بْنَ سَنَدِهِ عَنِ النَّبِيِّ (ص) : يَخْرُجُ فِي أَخْرَ الزَّمَانِ رَجُلٌ مِّنْ وَلَدِي اسْمُهُ كَاسِمٌ وَكَنْتِهِ كَنْتِيٌّ يَمْلأُ الْأَرْضَ عَدْلًا كَمَا مَلَّتْ جُورًا ، ذَلِكَ هُوَ الْمَهْدِيُّ ، وَكَقُولُ النَّبِيِّ (ص) : الْمَهْدِيُّ مِنْ عَتْرَتِي مِنْ وَلَدِ فَاطِمَةَ ، وَقَدْ صَحَّ هَذِهِ الْأَحَادِيثُ وَغَيْرُهَا مَا وَرَدَ فِي الْإِمَامِ الْمَهْدِيِّ : أَبْنِ تَيْمَةَ

(۱) راجع أعيان الشيعة ج ۴ ص ۳۴۸ .

مستنداً إلى مستند الإمام أحمد بن حنبل وصحيحة الترمذى ، وسنن أبي داود^(١) .

وقد ذهب ابن حجر تبعاً للنصوص إلى تكفير منكر المهدي فقد أجاب في الفتاوى الحديثية حين سئل عمن ينكرون خروج المهدي المنتظر فقال : فهو لاء المنكرون للمهدي الموعود به آخر الزمان وقد ورد في حديث عن أبي بكر الأسقافى أن النبي (ص) قال : من كذب بالدجال فقد كفر ، ومن كذب بالمهدي فقد كفر ، إلى أن قال : وغلى عليك من الأحاديث المصرحة بتكذيب هؤلاء وتضليلهم وتفسيقهم ما فيه مقنع وكفاية لمن تدبّره : أخرج أبو نعيم أنه (ص) قال : بخرج المهدي وعلى رأسه عمامة ومهما مناد ينادي هذا خليفة الله فاتبعوه ، ثم آخذه بورد الأحاديث الواردة في المهدي^(٢) . هذه بعض المؤثرات السنّية في الإمام المهدي ، أما الشيعة فرواياتهم في موضوع الإمام المهدي بكل جوانبه كثيرة واردة عن النبي (ص) وأهل بيته ، وقد ألفوا في ذلك كثيرة استوفت وغطت كل التساؤلات حول موضوع الإمام المهدي : مثل كتاب الغيبة لمحمد بن إبراهيم النعماني ، وكمال الدين وتمام النعمة لمحمد بن علي بن بابويه القمي ، وكتاب الغيبة لحمد ابن الحسن الطوسي^(٣) وغيرهم كثير وقد تناولها فكتب بالمهدي كل من الصدوق في علل الشرائع ، والمرتضى في تنزيه الأنبياء والمجلسى في البحار والمفید في الفصول ، وفي الإرشاد ومن المتأخرین كتب عشرات المؤلفين بالمهدي وأشبعوا الموضوع . وقد استعرضوا الأدلة في موضوع المهدي وأذكر من أدلةهم دليلاً فقط :

١ - فمن الأدلة العقلية التي أوردوها دليل اللطف ومفاد هذا الدليل : أن العقل يحكم بوجوب اللطف على الله تعالى وهو فعل ما يقرب إلى الطاعة ويعاد عن المعصية ويرجح إزاحة العلة وقطع العذر بما لا يصل إلى حد الإلقاء لثلا يكون للناس على الله حجة فكما أن العقل حاكم بوجوب إرسال الرسل وبعثة

(١) نظرية الإمامة ص ٤٠٥ .

(٢) الإمام الصادق ج ٦ ص ١٤٦ .

(٣) أعيان الشيعة ج ٤ ص ٣٨٨ .

الأنبياء ليبينوا للناس ما أراد الله منهم وللحكم بينهم بالعدل : كذلك يحب نصب الإمام ليقوم مقامهم تحقيقاً لنفس العلة ، فإنَّ الله لا يخلِّ الأرض من حجة ، وليس زمان بأولى من زمان في ذلك ، إلى آخر ما أورده .

٢ - أما من الأدلة النقلية فذكرها ما يلي : قال الله تعالى ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لِيُسْتَخْلِفُنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيَمْكُنَّ لَهُمْ دِينَهُمْ﴾ فقد فسرت هذه الآية كما عن الإمام الصادق (ع) بخروج المهدى وتحقيق هذه الأشياء على يديه^(١) وقد قيل إنَّ لسان هذه الآية عام يشير إلى تحقيق هذه الأمور على أيدي المسلمين فأجابوا أنَّ القرآن تفيد أنَّ هذه الأمور لم تتحقق على النحو الذي ذكرته هذه الآية من جيء الإسلام حتى يومنا هذا ، ووعد الله لا بد من تحقيقه ، وتلك ترقية على تتحقق في المستقبل ، يضاف لذلك أنَّ من أساليب القرآن الكريم أن يعبر عن الخاص بصيغة العام وعن المفرد بالجمع في كثير من الموارد ، ولذلك قال الفخر الرازى عند تفسير قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْ يَرْتَدُ مِنْكُمْ عَنِ دِينِهِ فَسُوفَ يَأْتِيَ اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحَبُّونَهُ أَذْلَةً عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعْزَةً عَلَى الْكَافِرِينَ يَجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يُخَافُونَ لَوْمَةً لَا مُنْهَى﴾ الخ المائدة : ٥٧ .

قال : إنَّها نزلت في أبي بكر بقرىنه أنه هو الذي قاتل المرتدين مع أنَّ لسان الآية عام^(٢) ، ومن الأحاديث التي استدل بها الشيعة في موضوع المهدى ما رواه الطوسي في الغيبة عن النبي (ص) : لا تذهب الدنيا حتى يلي أمني رجل من أهل بيتي يقال له المهدى^(٣) ، هذه فكرة موجزة أردت بها الإشارة إلى إجماع المسلمين على موضوع المهدى . وحيثند لا يبقى قيمة لأقوال المهرجين الذين يريدون إبعاد الفكرة عن الإسلام غير عابثين بما ورد فيها من آثار ونصوص ، وإذا كان البعض قد استغل الفكرة عبر التاريخ فما ذلك بموجب لنكرانها ورمي من يعتقد بها

(١) أعيان الشيعة ج٤ ص ٣٨٩ .

(٢) تفسير الرازى ج٣ ص ٤١٦ .

(٣) أعيان الشيعة ج٤ ص ٣٩٠ .

بالتخريف ، وما أسهل نفي فكرة إذا كانت لا تلتقي مع مصلحة شخص أو كان يجهلها . على أني لا أصحح جميع ما أحاط بها من ذيول بل لا بد من الإقصار على ما تثبت صحته بالطرق المعتبرة ويجدر بالبعض أن يتعد عن التهريج الذي يصل بعضهم إلى القول :

ما آن للسرداب أن يلد الذي صيرثوه بزعمكم إنسانا
فعل عقولكم العفاء لأنكم ثلثتموا العنقاء والغيلانا
إن هؤلاء تسرعوا فقالوا بما لا يعرفون واننا نقول لأمثال هؤلاء سلاماً كما
أمر القرآن الكريم .

الم ردود الإيجابي في عقيدة المهدي

بقي أن نعرف ما هي حصيلة عقيدتنا بوجود المهدي فإن تقسيم مثل هذه الأمور يصحح كثيراً من التصورات الخاطئة عن أمثال هذه العقائد خصوصاً إذا عرفنا أن العقائد فواعل بالنفوس .

١ - الم ردود الأول :

فأول الم ردودات الإيجابية بهذه العقيدة حصول الإمتنال لأمر الله تعالى بهذه العقيدة كل العقائد ، فإن المفروض أن النصوص تحتم الإيمان بها كما ذكرنا آراء العلماء بذلك .

٢ - الم ردود الثاني :

الشعور بقيام الحجة على العباد لله تعالى بوجود الإمام إذ لو حصلت الكفاية بغيره لما حصل الخلاف بين المسلمين ، فإن قيل إن الخلاف حاصل بالفعل قيل : إن ذلك ناتج من عدم الالتزام بإمامته ، بالإضافة إلى الشعور بالتسديد في آراء العلماء لوجود الإمام بين أظهرهم وإن لم يعرفوه .

٣ - المردود الثالث :

في وجود المهدي لطف يقرب العباد إلى الله تعالى لشعورهم بأنَّ الله تعالى يبيح إلِّاقامة العدل ورفع الظلم ، فإنْ قيل إنَّ رفع الظلم يجب أن يحدث بالأسباب الطبيعية من قبل الناس : قيل إنَّ ذلك صحيح ولكن إذا تهاونوا بذلك فلا بد أن يدافع الله تعالى عن الذين آمنوا ، فإنْ قيل إنَّ ذلك يحصل بالأخرة ، قيل إنَّ مثل ذلك كمثل إقامة الحدود في الدنيا مع أنَّ المجرم لا يترك بالأخرة . هذه بعض الفوائد في موضوع الإمام المهدي وليس هي علة تامة بل حكمة ونحن نتعدد بما ورد في النصوص ، وهناك فوائد أخرى ذكرتها المطلولات وغطت أبعاد المسألة يمكن الرجوع إليها .

المردود السلبي في عقيدة المهدي

١ - المردود الأول :

إنَّ أول المردودات السلبية أنَّ هذه الفكرة تشنِّل الإنسان وتمنعه عن القيام بواجباته وتختدر الإنسان وتتركه خائفاً ذليلاً بانتظار ظهور الإمام ليأخذ له بحقه ، وقد صور بعضهم شدة هفة الشيعة لانتظار ظهور الإمام بأنَّ قسماً من الشيعة لا يصلُّون مخافة أن يخرج الإمام وهم مشغولون بالصلة فلا يستطيعون اللحاق به^(١) وهذا التصور مردود جملة وتفصيلاً فلا يحتاج إلى إكثار القول فيه بل أفت النظر إلى كتب فقه الإمامية فإنَّ الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ووجوب الدفاع عن النفس قائم بالفعل ولا يرتبط بالمهدي من قريب أو بعيد ومن ادعى خلاف ذلك فليدلنا على المصدر ، أما الدعاوى الفارغة والقول البذيء فمردود على القائل وهو به أولى ، ومن قفا مؤمناً بما ليس فيه حسبه الله تعالى في ردهة الخيال ، كما يقول الحديث النبوي الشريف^(٢) .

(١) منهاج السنة لابن تيمية ج ١ ص ٢٩ .

(٢) تفسير الفخر الرازي عند قوله تعالى «ولا تتفق ما ليس لك به علم» الخ .

٢ - المردود الثاني :

أن الإيمان بفكرة المهدى يؤدى إلى الإزدراء بالعقل لما في ذلك من مفارقات مثل طول العمر غير المعتمد ، وغيبته عن الأ بصار ، وعدم وجود فائدة في إمام كهذا وغير ذلك . والجواب على ذلك بالإختصار : أن الشيعة لا يجعلون بقاء هذه الملة أمراً طبيعياً وإنما هو معجزة لأنهم يقولون لما ثبت بالأدلة وجوده وغيبته والوعد بظهوره فلا بد والحالة هذه من الإيمان بذلك بالإضافة لعدم خلو الزمان من إمام مفترض الطاعة ، وبناءً على أن وجوده معجزة ينقل حينئذ الكلام إلى المعجزات ككل فاما أن تصدق أو تكذب وإذا كذبناها كذبنا الثابت في الإسلام أما أنه لا يرى فليس بعلوم بل يجوز أن يرى ولا يعرف ويستفاد بأوائه لأنه يشترك مع الناس بالآراء ويلقي بالرأي الصحيح ، يبقى الكلام على عدم تعليل اختفائه ، وما أكثر العقائد والأحكام التي لا نجد لها علة ونقول بضمونها مثل رمي الجمرات في الحج ، والهرولة ، ومعاقلة المرأة الرجل إلى ثلث الديبة وأعداد ركعات الصلاة وهكذا . فإنها كلها أحكام غير معللة بل معظم الأحكام هكذا ، وكذلك كثير من العقائد .

٣ - المردود الثالث :

الإزدواجية التي تحصل من وجود إمام تحب طاعته ولا يحكم وآخر يحكم ولا تحب طاعته ، والجواب أن فقهاء الإمامية بالجملة في حال غيبة الإمام يقررون حكمية الحاكم العادل الذي يرعى مصالح المسلمين ويحمي ثغورهم ويعاهد عدوهم ويرتبون المشروعية على تصرفاته بالجملة .

أما بعد فهذه إلامة موجزة بفكرة الإمام المهدى أردت أن أذكر من يكتبون عنها فيصيرون الشيعة كأنهم اقتبسوا أحكامهم من كسرى وقصص مع وفرة ما أوردناه من أحاديث حول فكرة المهدى فهل يسع مسلماً يؤم بالله تكراناً أو رميها بعيداً عن الإسلام ، اللهم إلا أن يقال إن أحاديث المهدى دسها الشيعة في كتب السنة كما قيل ذلك في موارد أخرى فإن بعضهم إذا لزمته الحجة بحديث قال ذلك ،

وعليه يجب أن نرمي كل كتب التراث بالبحر إذا كانت قابلة لهذا التصور ولا يبقى بها ثقة إرضاء لسوداءيون بعض من لا يروق له الإذعان للحق ويطربه أن يتأصل الخلاف بين المسلمين إننا مدعوون إلى حل شعار القرآن : ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ وَإِنَّا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونَا﴾ الأنبياء/٩٢ وما أروع إيماءة القرآن بالأمر للإمام بعثادة الله عقب ذكر وحدة الأمة ففي الآية إشارة إلى أنَّ كثيراً من الناس يعز عليهم وحدة الأمة لأنَّ مصلحتهم المادية في فرقتها ولأنَّ أصناماً من العصبية في رؤوسهم يبعدونها وقد أمرهم الله تعالى بنبذها وعبادته وحده لأنَّه وحده الأمة وصهرها بكلمة التوحيد .

التحقق وأحكامها

وما أصلت بالشيعة وأصبح لا يختلف عنهم عندما يخطرون في الذهن وكأنَّه عضو منهم خاصة دون باقي المسلمين : التقة ، والذي ساعد على ذلك أنَّ التشيع انفرد على مدى تاريخه بال تعرض إلى ضغط يفوق الوصف لأنَّه يشكل جبهة المعارضة في وقت لا معنى للمعارضة إلا العداء وليس كما تعطيه لفظة المعارضة من مدلول في الوقت الحاضر ، وكان اعتيادياً أن يتعرضوا إلى مطاردة وتنكيل ، وكان لا بد من المحافظة على أنفسهم من الإبادة التامة فلجئوا إلى التقة باعتبارها وسيلة يقرها الدين للإحتياء بها عند الضرورة وروروا لها سندتها من الكتاب والسنَّة وكان من الأولى أن يمدحوا على ذلك لأنَّهم استعملوا ما أمر به الشارع لحفظ النفس عند الخطر ، ولئلا يعرضوا إلى أحد أمرتين إما الإبادة ، أو الإنهايار ، والإرغاء في أحضان الظالمين كما فعل غيرهم من آوى إلى فراش الحكم والحاكم يرتع في موائدهم ويعيش في حمايتهم ويتكلف الأدلة لتصبح آراؤهم منسجمة مع الشرع ، كما قال ابن خلkan في ترجمة أبي يوسف القاضي : قال : إنَّ زبيدة زوجة الرشيد كتبت إلى أبي يوسف القاضي ما ترى في كذا ، وأحب الأشياء إلى أن يكون الحق فيه كذا فأفتتها بما أحببت فبعثت إليه بحُجَّةٍ فضةٍ فيه حقائق فضةٍ

مطبقات في كل واحد لون من الطيب وفي جام دراهم وسطها جام فيه دنانير ، والخ^(١) .

وقد كان للشيعة مندوحة عن كل ما عانوه من الجحود والظلم بشيء من مجازة الحكام ولكنهم أبوا ذلك وتصلبوا من أجل مبادئهم إلا في حالات شاذة .

على أن هناك ظاهرة أفت النظر إليها : وهي أن الشيعة منذ تعرضوا للضغط عاشت عندهم التقى على مستوى الفتوى ولم تعيش على المستوى العملي بل كانوا عملياً من أكثر الناس تضحيه ويوسع كل باحث أن يرجع إلى موقف الشيعة مع معاوية وغيره من حكام الأمويين وحكام العباسين كحجر بن عدي وميتم التمار ورشيد الهجري وكميل بن زياد ومئات غيرهم وكمواقف العلوين على امتداد التاريخ وتراثهم المتاليه .

وبعد هذا فإن القول بالتقى لم ينفرد به الشيعة بل هم في ذلك كسائر المسلمين وذلك واضح من آراء المسلمين عند شرحهم للآيات الكريمة والأحاديث الواردة في هذاخصوص . فمن الآيات الكريمة التي وردت في هذا الموضوع قوله تعالى : ﴿لَا يَتَّخِذُ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أُولَئِكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَقْوَى مِنْهُمْ نَفَّةٌ وَيَحْذِرُكُمُ اللَّهُ نَفْسُهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ آل عمران / ٢٨ وقوله تعالى : ﴿لَا مِنْ أَكْرَهٖ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌ بِالْإِيمَانِ﴾ النحل / ١٠٦ .

أما الأحاديث فمنها ما ذكره البخاري في صحيحه كتاب الأدب بباب المداراة مع الناس عن النبي (ص) أنا لنكسر في وجوه قوم وقلوينا تلعنهم^(٢) .

وك قوله : رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه^(٣) ذكر ذلك ابن العربي عند تفسيره للآية ١٠٦ من سورة النحل ، وكقول النبي (ص) :

(١) وفيات الأعيان جـ ٢ ص ٤٦٥ .

(٢) البخاري جـ ٤ ص ٤٣ .

(٣) أحكام القرآن لابن العربي ص ١١٦٦ تسلسل عام .

لَهُمْ مِنْ مُسْلِمَةً وَمِنْ مَعِهِ لَا أَرْسَلْتُهُمْ لِقْتَلٍ كَعْبَ بْنَ الْأَشْرَفَ قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنَذَنَنَا أَنَّ نَنَالَ مِنْكَ ؟ فَأَذَنَ لَهُمْ^(١) وَقَدْ انْقَسَمَ الْمُسْلِمُونَ فِي مَقَادِهِ هَذِهِ النَّصْوصِ وَدَلَالَتِهَا عَلَى التَّقْيَةِ إِلَى أَقْسَامٍ قَالَ بَعْضُهُمْ بِجُوازِهَا بِالْقَوْلِ دُونَ الْفَعْلِ ، وَعَمِّمَهَا بَعْضُهُمْ إِلَى الْفَعْلِ ، وَاتَّخَلَفُوا فِي وَجْهِهَا مُطْلَقاً ، أَوْ جُوازِهَا مُطْلَقاً أَوْ التَّفْصِيلَ فَتَجَبُ فِي بَعْضِ الْمَوَارِدِ وَتَجُوزُ فِي أُخْرَى وَسَادَ ذِكْرُ لَكَ فِي الْفَصْلِ الْقَادِمِ آرَاءَ بَعْضِ فَقَهَّاءِ الْمُسْلِمِينَ لِأَخْذِ صُورَةً عَنِ الْمَوْضُوعِ وَذَلِكَ بَعْدَ مَدْخُلِ

بِسْبِطِ لَصْلَبِ الْمَوْضُوعِ :

تَعْرِيفُ التَّقْيَةِ :

عَرَفَ الْمُفَسِّرُونَ التَّقْيَةَ بِأَنَّهَا : « إِخْفَاءُ الْمُعْتَدَدِ خَوفاً مِنْ ضَرَرِ هَالِكِ » وَمَعَاشَرَةُ ظَاهِرَةِ الْمُخَالِفِ وَالْقُلْبُ مُطْمَئِنٌ بِالْعُدَاوَةِ وَالْبُغْضَاءِ ، وَانتَظَارُ زَوَالِ الْمَانِعِ مِنْ شُقِّ الْعَصَمِ^(٢) . وَعَرَفَهَا الشِّيخُ الْمُفِيدُ فِي كِتَابِهِ أَوَّلَ الْمَقَالَاتِ بِأَنَّهَا : « كِتْمَانُ الْحَقِّ وَسْتَرُ الْإِعْتِقَادِ بِهِ وَمَكَانِةُ الْمُخَالِفِينَ وَتَرْكُ مَظَاهِرِهِمْ بِمَا يَعْبُدُ ضَرِراً فِي الدِّينِ وَالدِّينِ »^(٣) وَالْمُؤْدِي وَاحِدٌ فِي كُلِّ مَنْ تَعْرَفَ فِيهِنَّ . وَيَعْدُ تَعْرِيفُ التَّقْيَةِ أَعْوَدَ إِلَى آرَاءِ فَقَهَّاءِ الْمَذاهِبِ الْإِسْلَامِيَّةِ فِي أَحْكَامِ التَّقْيَةِ الْمُخْتَلِفَةِ .

أَقْوَالُ فَرَقِ الْمُسْلِمِينَ فِيهَا

١ - الْمُعْتَزِلَةُ :

أَجَازَ الْمُعْتَزِلَةُ التَّقْيَةَ عِنْدَ الْخَطَرِ الْمُهْلِكِ وَعِنْدَ خَوْفِ تَلْفِ النَّفْسِ وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ أَبُو الْمُهْذِلِ الْعَلَافُ : إِنَّ الْمُكْرَهَ إِذَا لَمْ يَعْرِفْ التَّعْرِيفَ وَالتَّورِيَّةَ فِيهَا أَكْرَهَ عَلَيْهِ فَلَهُ أَنْ يَكْذِبَ وَيَكُونَ وَزْرُ الْكَذْبِ مَوْضِعًا عَنْهُ^(٤) .

(١) الْمَصْرُ السَّابِقُ ج٢ ص٢٥٧.

(٢) دراسات في الفرق والعقائد ص٤٥.

(٣) أَوَّلَ الْمَقَالَاتِ ص٦٦.

(٤) الإنتصار للخياط ص١٢٨.

٢ - الخوارج :

إنقسم الخوارج حول التقية إلى ثلاثة أقسام ، فقسم وهم الأزارقة أتباع نافع بن الأزرق منعوا التقية ونددوا من يعمل بها بشدة وكفروا القاعدين عن الثورة بوجه الظلم والظالمين ، وفي ذلك يقول نافع بن الأزرق : التقية لا ت محل والقعود عن القتال كفر واضح لقوله تعالى : ﴿إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يُخْشِيُونَ النَّاسَ كَخْشَيَةَ اللَّهِ﴾ الخ النساء/٧٧ . ولقوله تعالى : ﴿مَجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَا إِيمَانَ﴾ المائدة/٥٥ . والقسم الثاني وهم النجدات أتباع نجدة بن عمير فقد أجازوا التقية في القول والعمل ولو أدى ذلك إلى قتل النفس التي حرم الله .

والقسم الثالث وهم الصفرية أتباع زياد بن الأصفر فكانوا وسطاً بين هؤلاء وهؤلاء فأجازوها في القول دون الفعل ، كما نص على ذلك عنهم الشهريستاني^(١) وأدلتهم قابلة للمناقشة ولست بصدده ذلك .

٣ - أهل السنة :

التقية عند السنة بالإجماع جائزة في القول دون العمل ، ويذهب بعضهم إلى الوجوب فيقول بوجوبها في بعض الحالات ومنهم الغزاني حيث يقول في ذلك : إن عصمة دم المسلم واجبة فمهما كانقصد سفك دم مسلم فالكذب فيه واجب^(٢) وقد اقتصر بعضهم على الرخصة بالتقية إذا كان المسلم بين كفار يخافهم على نفسه أو ماله ومن هؤلاء القائلين بالرخصة الرازي المفسر والطبرى كذلك في تفسيرهما عند قوله تعالى : ﴿إِلَّا أَنْ تَتَقَوَّمُوهُمْ تَقَاءً﴾ بينما ذهب قسم آخر من العلماء إلى أن التقية متعدنة ليست بين الكفار فقط بل حتى إذا كان المسلم بين مسلمين شابهت حالهم الحال مع الكافرين أي في حال عدم قدرة المسلم على

(١) الملل والنحل هامش الفصل ج٤ ص٦٨ .

(٢) إحياء العلوم ج ٣ ص ١١٩ .

(٣) تفسير الطبرى ج ٣ ص ٢٢٩ ، وتفسير الرازي عند تفسير الآية المذكورة .

إظهار عقیدته المذهبیة بین مسلمین من فرق اخیری و من ذهب هذَا الرأی الإمام الشافعی وابن حزم الظاهري^(۱).

و حکم التقیة کباقي الأحكام باق إلى يوم القيمة خلافاً لمن قصره على أيام ضعف الإسلام وفي ذلك يقول الفقهاء :

إنها جائزة للMuslim إلى يوم القيمة ، مستندین إلى قول النبي (ص) لعمار ابن ياسر لما قال للنبي (ص) ما ترکوني حتى نلت منك فقال له : إن عادوا فعد لهم بما قلت ، ذكر ذلك البيضاوي في تفسیره للآلية ۱۰۶ من سورة النحل فراجعه .

٤ - رأي الشیعة بالتقیة :

لا يختلف الشیعة عن السنة في القول بالتقیة فإنها عندهم وسیلة أرشد إليها الشرع لحفظ النفوس الواجب حفظها ، وحفظ باقي الأمور التي أمر الشرع بحفظها هذا كل هدف التقیة - تذهبهم لا غير ، وليس كما يقول البعض إن الشیعة اتخذوا من التقیة أداة للختل والماوغة والإزدواجية ولأجل المؤسسات السرية المدامة^(۲).

والتقیة عند الشیعة تختلف باختلاف المقام فقد تكون واجبة وقد تكون مباحة وقد تكون حمرمة ، ولذلك تجد عبارات فقهاء الشیعة قد ذكرت الحالات الثلاث يقول ابن بابویه القمي : اعتقادنا في التقیة : أنها واجبة وأن من تركها فكانما ترك فرضاً لازماً كالصلوة ، ومن تركها قبل ظهور المهدي فقد خرج عن دین الله ودين نبیه والأئمّة ، بينما يقول الشيخ المفيد محمد بن النعمان : التقیة جائزة عند الخوف على النفس وقد تخوز في حال دونه عند الخوف على المال ولضروب من الإصلاح ، وأقول إنها قد تجب أحياناً من غير وجوب وأقول إنها جائزة في الأقوال كلها عند الضرورة وليس تخوز في الأفعال في قتل المؤمنين وما

(۱) المحل لابن حزم ج ۸ ص ۳۳۵ ، والمسلة ۱۴۰۸.

(۲) ضحى الإسلام ج ۳ ص ۲۴۶ .

يغلب أنه استفساد في الدين^(١).

بينما يقول فقيه شيعي معاصر : وللتقة أحكام من حيث وجودها وعدم وجودها بحسب اختلاف موقع خوف الضرر وليس هي بواجبة على كل حال بل قد يجوز أو يجب خلافها في بعض الأحوال كما إذا كان في إظهار الحق والتظاهر به نصرة للدين وخدمة للإسلام وجihad في سبيله فإنه عند ذلك يستهان بالأموال ولا تعز النفوس ، وقد تحرم التقة في الأعمال التي تستوجب قتل النفوس المحترمة ، أورواجاً للباطل ، أو فساداً في الدين ، أو ضرراً بالغاً على المسلمين بإضلالهم أو إفشاء الظلم والجور فيهم ، إلى أن قال : إن عقيدتنا في التقة قد استغلها من أراد التشنيع على الإمامية فجعلوها من جلة المطاعن فيهم وكأنهم لا يشفى غليلهم إلا أن تقدم رقابهم - أي رقاب الشيعة - إلى السيف لاستصالحهم^(٢).

ومن هذه المقتطفات التي ذكرتها يتضح أن التقة تتبع الحالات والظروف وتكون محلاً للأحكام المذكورة تبعاً لاختلاف العناوين ، وقد سبق أن ذكرنا استدلالات الشيعة للتقة من الكتاب والسنة ، ولذلك كان الإمام الصادق (ع) يقول : « التقة ديني ودين أبيائي » وخصوصاً في عصره حيث كانت السيف هي اللغة الوحيدة ، وقد حاول بعضهم أن يفلسف أن موقف الإمام الصادق ومواقف الشيعة في التقة بـأن التقة علاج لأمرین :

١- هو أن سكوت أئمة أهل البيت عن المطالبة بحقهم والتصدي للظالمين من ناحية ، ومن ناحية أخرى إن المفروض أنهم الأئمة المفترضة طاعتهم ، إن ذلك يشكل تناقضًا لا يخرج منه إلا التقة ، قال بذلك كل من الرazi في كتابه محصل آراء المتقدمين والتأخرین والمطی في كتابه التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع^(٣).

(١) أوائل المقالات ٩٧.

(٢) عقائد الإمامية للمظفر ص ٨٧.

(٣) التنبيه والرد بحث التقة .

من أقوال الأئمة بعضهم مع
 بـ والأمر الثاني هو ما يظهر من اختلاف في أقوال الأئمة بعضهم مع
 بعض وفي أقوال الإمام الواحد في مقامات مختلفة مما يشكل علامه استشهاد ودفعاً
 لذلك قالوا بالحقيقة حتى لا يقى إشكال حتى ذلك ، يحصل توهم ذكر صاحب
 كتاب دراسات في الفرق والعقائد (٢) . إن هذا الباحث يظهر من التالية عند الأئمة أنه اختلف عليه
 القسم بالقسم ، وذلك أن المحدثين الذين ذكرها إنما من موارد تطبيق مبدأ
 التشبّيحة لا أن التقبية أنشئت من أحاجيلها ، هنا مع أن هذا الباحث وهو المذكور
 عرفان من أكثر الناس انتصافاً للشيعة فيما كتب عنهم بالقياس إلى غيره فانظر لـ
 كتبه حوله (١) . وتحت انتصاف التقبية فيه ضعف وتحاذل بينها الواقع أن الإمام الصادق (ع) من
 أصحابه من انتصاف التقبية فيه ضعف وتحاذل بينها الواقع أن الإمام الصادق (ع) من
 الشبيه عليه الحال : كان حليه الحال : يقول الخطيب البغدادي بهذه فقدت صوابها ولم يبعد لها من منطق غير المغلب
 الرشيد فقال لي : لقد مهنت أن هذه الحالات لا بد من الحكمة ، وسأذكر لك صوراً معتبرة مما
 معاوية : فسكت ، فقال لي : تكلم ، قلت : إن أردت لي ؟ قال : تتكل
 قلت : يا أمير المؤمنين قالت نعم : منا خليفة رسول الله ، وقالت عدي منا
 رسول الله ، وقالت بنو أمية : منا خليفة الخلفاء ، فابن حظكم يا بن
 والله ما حظكم إلا ابن أبي طالب فسكت (٣) لقد أحسن الرجل
 من أين يأنبه ، وهذا نقول إذا كان من ينكح حق على بالخلافة يعني
 رأى هؤلاء التضليليين في أيام الرخاء الذين لم تفتح وجوده
 الجديد .

(١) دراسات في الفرق والعقائد ص ٥٠ .

(٢) دراسات في الفرق والعقائد ص ٤٤ .

(٣) الإمام الصادق لأسد حيدر جم ص ٣١ .

يغلب أنه استفساد في الدين^(١).

بينما يقول فقيه شيعي معاصر : وللتقة أحكام من حيث وجودها وعدم وجودها بحسب اختلاف موقع خوف الضرر وليس هي بواجبة على كل حال بل قد يجوز أو يجب خلافها في بعض الأحوال كما إذا كان في إظهار الحق والظاهر به نصرة للدين وخدمة للإسلام وجihad في سبيله فإنه عند ذلك يستهان بالأموال ولا تعز النفوس ، وقد تحرم التقة في الأعمال التي تستوجب قتل النفوس المحترمة ، أو رواجاً للباطل ، أو فساداً في الدين ، أو ضرراً بالغاً على المسلمين بإضلالهم أو إفشاء الظلم والجور فيهم ، إلى أن قال : إن عقيدتنا في التقة قد استغلها من أراد التشنيع على الإمامية فجعلوها من جلة المطاعن فيهم وكأنهم لا يشفى غليلهم إلا أن تقدم رقابهم - أي رقاب الشيعة - إلى السيف لاستصالحهم^(٢).

ومن هذه المقتطفات التي ذكرتها يتضح أن التقة تتبع الحالات والظروف وتكون محل للأحكام المذكورة تبعاً لاختلاف العناوين ، وقد سبق أن ذكرنا استدلالات الشيعة للتقة من الكتاب والسنة ، ولذلك كان الإمام الصادق (ع) يقول : « التقة ديني ودين آبائي » وخصوصاً في عصره حيث كانت السيف هي اللغة الوحيدة ، وقد حاول بعضهم أن يفلسف أن موقف الإمام الصادق وموافق الشيعة في التقة بأن التقة علاج لأمرتين :

أ - هو أن سكوت أئمة أهل البيت عن المطالبة بحقهم والتصدي للظالمين من ناحية ، ومن ناحية أخرى إن المفروض أنهم الأئمة المفترضة طاعتهم ، إن ذلك يشكل تناقضاً لا يخرج منه إلا التقة ، قال بذلك كل من الرازبي في كتابه محصل آراء المقدمين والمؤخرین والمقطبي في كتابه التنبیه والرد على أهل الأهواء والبدع^(٣).

(١) أوائل المقالات . ٩٧

(٢) عقائد الإمامية للمظفر ص . ٨٧

(٣) التنبیه والرد بحث التقة .

بـ - والأمر الثاني هو ما يظهر من اختلاف في أقوال الأئمة بعضهم مع بعض وفي أقوال الإمام الواحد في مقامات مختلفة مما يشكل علامة استفهام ودفعاً لذلك قالوا بالحقيقة حتى لا يبقى إشكال في ذلك ، محصل قوله ذكره صاحب كتاب دراسات في الفرق والعقائد^(١) .

إن هذا الباحث يظهر من تصويره لمسألة التقىة عند الأئمة أنه اختلف عليه المقسم بالقسم ، وذلك أن الموردين الذين ذكرها إنما هما من موارد تطبيق مبدأ التقىة لأن التقىة أنشئت من أجدهما ، هذا مع أن هذا الباحث وهو الدكتور عرفان من أكثر الناس إنصافاً للشيعة فيها كتب عنهم بالقياس إلى غيره فانظر لما كتبه حولهم^(٢) . وقد اعتبر كثير من الكتاب أن موقف الإمام الصادق (ع) من التشديد على التقىة فيه ضعف وتخاذل بينما الواقع أن الإمام بموقفه هذا حفظ أصحابه من هجمات شريرة فقدت صوابها ولم يعد لها من منطق غير المخلب والناب وفي مثل هذه الحالات لا بد من الحكمة ، وسأذكر لك صوراً مصغرة عنها كان عليه الحال :

يقول الخطيب البغدادي بسنده عن أبي معاوية قال : دخلت على هارون الرشيد فقال لي : لقد همت أنَّ من يثبت الخلافة لعليَّ أن أفعل به وأفعل قال أبو معاوية : فسكت ، فقال لي : تكلم ، قلت : إنْ أذنت لي ؟ قال : تكلم ، قلت : يا أمير المؤمنين قالت تيم منا خليفة رسول الله ، وقالت عدي منا خليفة رسول الله ، وقالت بنو أمية : منا خليفة الخلفاء ، فأين حظكم يا بني هاشم ، والله ما حظكم إلا ابن أبي طالب فسكت^(٣) لقد أحسن الرجل الدخول وعرف من أين يأتيه ، وهنا نقول إذا كان من يذكر حق عليَّ بالخلافة يصنع به ما يصنع فما رأي هؤلاء المتفاهين في أيام الرخاء الذين لم تلتفح وجوههم النار ولم يغضبهم الحديد .

(١) دراسات في الفرق والعقائد ص ٥٣.

(٢) دراسات في الفرق والعقائد ص ٤٢.

(٣) الإمام الصادق لأسد حيدر ج ٢ ص ٣١٠.

على أن هناك شيئاً آخر وهو أن أئمة المسلمين الآخرين اضطروا إلى استعمال التقية فيها تعرضاً له من مواقف ، ومن ذلك ما ذكره أحمد بن أبي يعقوب المعروف باليعقوبي عند استعراضه ل موقف الإمام أحمد بن حنبل أيام المحنـة والقول بخلق القرآن قال : لما امتنع أحمد بن حنبل من القول بخلق القرآن وضرب عدة سياط قال إسحاق بن إبراهيم للمعتصم ولني يا أمير المؤمنين مناظرته فقال : شأنك به ، فقال إسحاق للإمام أحمد ما تقول في خلق القرآن؟ فقال الإمام أحمد : أنا رجل علمت علماً ولم أعلم فيه بهذا ، فقال : هذا العلم الذي علمته نزل به عليك ملك أم علمته من الرجال ، فقال أحمد : بل علمته من الرجال ، فقال إسحاق . علمته شيئاً بعد شيء قال نعم ، قال إسحاق : فبقي عليك شيء لم تعلمه؟ فقال : نعم ، قال : فهذا مما لم تعلم وعلمه أمير المؤمنين ، فقال أحمد : فإني أقول بقول أمير المؤمنين ، فقال إسحاق في خلق القرآن ، قال أحمد في خلق القرآن فأشهد عليه ، وخلع عليه وأطلقه إلى منزله^(١) .

ولهذا قال الجاحظ في حواره مع أهل الحديث بعد أن ذكر حنة الإمام أحمد ابن حنبل وامتحانه : فد كان صاحبكم هذا - يعني الإمام - يقول لا تقية إلا في دار الشرك فلو كان ما أقر به من خلق القرآن كان منه على وجه التقية فلقد أعملها في دار الإسلام وقد أكذب نفسه ، ولو كان ما أقر به على الصحة والحقيقة فلست منه وليس منكم على أنه لم يرسينا شيئاً مشهوراً ولا ضرب ضرباً كثيراً ، ولا ضرب إلا الثلاثاء سوطاً مقطوعة الشمار مشبعة الأطراف حتى أفصح بالإقرار مراراً ، ولا كان في مجلس ضيق ، ولا كانت حالته مؤيرة ، ولا كان مثلاً بالحديد ، ولا خلع قلبه بشدة الوعيد ، ولقد كان ينazu بالكلام ويحبب بأغليظ الجواب ويزنون ويخف ويحملون ويطيش^(٢) .

على أن سيرة المسلمين بالفعل قائمة على التقية فهناك أمور لا يقرها بعض

(١) تاريخ العقوبي ج ٣ ص ١٤٨ .

(٢) الإمام الصادق لأسد حيدر ج ٢ ص ٣١٠ .

ال المسلمين وهي قائمة عندهم . خذ مثلاً بقاء قبر النبي (ص) فإن الوهابيين لا يتركون قبراً قائماً فقد رروا في الصحاح عن أبي الهياج الأستدي قال : قال لي علي بن أبي طالب (ع) ألا أبعنك على ما بعثني عليه رسول الله (ص) ألا أدع قبراً قائماً إلا سويته ولا تثلاً إلا طمسه وعلى هذه الرواية استند الوهابيون أو هي أحد مستنداتهم في تهديم القبور^(١) ولكنهم لم يتعرضوا لقبر النبي مع أن لسان الرواية عام لم يستثن قبراً وليس ذلك إلا تقبة من المسلمين . وقد كان خبر أبي الهياج شيئاً للتهرير عند ابن تيمية على الشيعة مع أن الرواية ما ثبتت عندهم من ناحية سندتها ، لقد شحن ابن تيمية كتابه بقوارص من الشتم يأبها خلق الإسلام وأدب القرآن ومن ذلك أنه إذا مرّ بذكر العلامة ابن المظفر الحلي يسميه بابن المنجس^(٢) .

في حين كان العلامة في خصومته مع العلماء في غاية التهذيب ويوسع القاريء أن يرجع إلى الكتابين الذين طبعا معاً وأن يحكم على الأسلوبين ليرى الفرق بينهما .

والي هنا أرجو أن أكون قد وضعت بين يدي القاريء فكرة عن التقبة كافية لأنخذ صورة عن الموضوع ولا يخلو الواقع المعاصر من تقبة متجلسة عند مختلف الشعوب .

(١) منهاج السنة لابن تيمية ج ١ ص ٣٣٣ .

(٢) المصدر السابق ج ١ ص ١٣ .

الباب الرابع

من الافتراءات على الشيعة

استهدفت فيها قدمته من بحوث توضيح هوية التشيع عرقياً وفكرياً ،
و كنت قد ذكرت سابقاً أنَّ قصة عبد الله بن سبأ تؤلف جزءاً من كل براد من ورائه
مسخ صورة التشيع ولثلا يقول القاريء إنَّ مسألة ابن سبأ لا يمكن أن تكون أمراً
وهماً فإنَّ أقدم له هنا نماذج من المفتريات على الشيعة مقطوعة الكذب حتى يرى
بأم عينه صدق دعوانا .

إنَّ هذه الأمور التي سيرد ذكرها وغيرها تختتم إعادة النظر في محتوى تاريخنا
وعقائidنا ومحاولة تصحيح هذا المحتوى لأنَّ بقاء هذه الذخيرة الفاسدة في تاريخنا
سيظل يعمل عمل السوس في أساس البناء حتى ينهار البناء فجأة ولا يكون ضحية
هذا الإنهاي إلا المسلمون أنفسهم ، أما من كتب بهذه الأمور وسطرها فقد مضى
إلى ربه وسيقف أمام حكم عدل ، ولكننا نحن ملزمون في تصحيح أو ضاعنا فلا
يمجوز بحال من الأحوال أن نلقي أنفسنا وأبنائنا ضد مرض الحصبة مثلًا وهو لا
يمكث إلا بضعة أيام ، ولا نلقي أنفسنا ضد الفرقه والتناحر ، ضد الأوبيه
ال الفكرية التي تبقى ويبقى أثراً طويلاً ، وقد آن الأوان لأقدم لك نماذج من هذه
المفتريات .

النموذج الأول : في الجمع بين النساء

الجمع بين النساء وعددهن ، وجمهور المسلمين على أنه لا يجوز للمرأة أن
يجمع زيادة على أربع زوجات لقوله تعالى : ﴿فَإِنْكُحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ
مِنْ ثَلَاثٍ وَرَبَاعٍ﴾ النساء / ٣ ، وللسنة الشريفة التي حددت الزوجات بأربع
كما سيأتي ، والشيعة في ذلك كسائر فرق المسلمين لا يبيحون الجمع بين أكثر من
أربع زوجات ، وعندهم حتى لو طلق الرجل زوجة واحدة من الأربع فلا يجوز له

أن يكمل العدد برابعة حتى تنتهي عدة المطلقة ، وقد أجمعوا على ذلك وإليك
نموذجين من أقوالهم :

أولاً - يقول الشهيد الأول في اللمعة : لا يجوز للحر أن يجمع زيادة على
أربع حرائر أو حرتين وأمتين ، أو ثلاثة حرائر وأمة ، ولا للعبد أن يجمع أكثر من
أربع إماء أو حرتين أو حررة وأمتين ، ولا يباح له ثلاثة إماء وحررة^(١) .

ثانياً - يقول المقداد السيوري في كنز العرفان : الحصر في الأربع وعدم
جواز الزائد في النكاح الدائم إجماعي ، وحتى المنقطع عند كثير من فقهائنا لقول
النبي (ص) لغيلان لما أسلم وعنده عشر نسوة أمسك أربعًا وفارق سائرهن أي
باقيهن ، ولقول الإمام الصادق (ع) لا يحل لماء الرجل أن يجري في أكثر من أربعة
أرحام من الحرائر^(٢) . ويوضح القارئ أن يرجع لأي كتاب فقهي من كتب
الإمامية في باب النكاح ليرى أن هذه المسألة إجماعية عندهم ، ومع ذلك استمع
إلى بعض فقهاء المسلمين من أهل السنة الذين يجب أن يكونوا قدوة في الأمانة
والصدق :

أ - يقول ابن حزم في المحل لم يختلف في أنه لا يحل لأحد زواج أكثر من
أربع نسوة : أحد من أهل الإسلام وخالف في ذلك قوم من الروافض لا يحل لهم
عقد الإسلام^(٣) .

ب - قال محمد بن عبد الواحد المعروف بابن الهمام الحنفي : وأجاز
الروافض تسعًا من الحرائر ، ونقل عن النخعي وأبن أبي ليل - أي جواز التسع -
وأجاز الخوارج ثمانى عشرة ، وحكي عن بعض الناس إباحة أي عدد شاء بلا
حصر :

وجه الأول : أنه بين العدد المحل بمثني وثلاث ورباع بحرف الجمع

(١) شرح اللمعة ج ٢ ص ٧٣.

(٢) كنز العرفان ج ٢ ص ١٤١.

(٣) المحل لابن حزم ج ٦ ص ٤٤١.

والحاصل من ذلك تسع ، ووجه الثاني ذلك الا أنّ مثنى وثلاث ورباع معدول عن عدد مكرر على ما عرف في العربية ، فيصير الحاصل ثمانية عشر ، ووجه الثالث العمومات من نحو فانكحوا ما طاب لكم من النساء ، ولفظ مثنى وثلاث ورباع تعداد عرف في لا قيد ، كما يقال خذ من البحر ما شئت قربة أو قربتين أو ثلاثة ، ويخص الأولين تزوجه تسعًا والأصل عدم الخصوصية إلا بدليل ، إلى آخر ما أورده ، ثم شرع يقدم أداته على المحصر بأربع^(١) .

وقد اتضح من قول ابن الأهمام أمران : أولها نسبة إباحة التسع للإمامية وهو محض اختلاف ونتحدى من يذكر لنا مصدرًا واحدًا يقول بذلك من الشيعة ، وثانيها أنّ هناك من أهل السنة من يقول ببابحة التسع والأكثر من التسع كما نص عليه ، ابن الأهمام نفسه .

جـ - يقول محمد أبو زهرة في الأحوال الشخصية : إنّ بعض الشيعة يجوز الزواج بتسع حرائر لأنّ معنى قوله تعالى : «مثنى وثلاث ورباع» يعني اثنين وثلاثة وأربعة^(٢) وهذا من أبي زهرة كأمثال له كثيرة ، إنّ الرجل فيها أعرفه من مؤلفاته كثير التساهل فيها ينسبه للغير ، ولا يخاطط بالنقل وللمناقشة مكان غير هذا لأنّ موارد تساهله كثيرة تحتاج إلى جهد ومكان .

وبعد ما ذكرته سأقدم لك الأدلة على أنّ هذا الرأي عند أهل السنة وليس عند الشيعة كما مر عليك :

١ - يقول الكاساني علاء الدين في البدايع : لا يجوز للمرأة أن يتزوج أكثر من أربع زوجات من الحرائر والإماء عند عامة العلماء ، وقال بعضهم : يباح له الجمع بين التسع ، وقال بعضهم : يباح له الجمع بين ثمانية عشر ، واحتجوا بظاهر قوله تعالى : «فانكحوا ما طاب لكم من النساء» الخ فالآلوان قالوا إنه ذكر هذه الأعداد بحرف الجمع وهو الواو وجلتها تسعه ، واستدلوا أيضًا بفعل

(١) شرح فتح القدير ج ٢ ص ٣٧٩ .

(٢) الأحوال الشخصية ص ٨٣ .

رسول الله وأنه تزوج تسع نسوة وهو قدوة الأمة ، والآخرون قالوا إن المثل ضعف الإثنين والثلاث ضعف الثلاثة ، والرابع ضعف الأربعة وجلتها ثمانية عشرة ، إلى آخر ما ذكره ظاهر قوله إن هذه الآراء عند أهل السنة لأنه لو كان للشيعة رأي هنا لنص عليه كعادته^(١) .

٢ - يقول إبراهيم بن موسى الغرناطي الشاطبي صاحب المواقفات في كتابه الإعتصام : ثم أن بعض من نسب إلى الفرق من حرف - من الحرف - التأويل في كتاب الله تعالى أجاز نكاح أكثر من أربع نسوة إما اقتداءً في زعمه بالنبي حيث أحل له أكثر من ذلك ولم يلتفت إلى إجماع المسلمين أن ذلك خاص به ، وإما تحريفاً لقوله تعالى : «فانكحوا ما طاب» الخ فأجاز الجمع بين تسع نسوة في ذلك فأن بيده أجرها في هذه الأمة^(٢) وما ذكره الشاطبي هو عند السنة ولو كان عند الشيعة ، لنص عليه أولاً ، وثانياً لتغيرت هجته ، فإن هجة هذا الرجل مع الشيعة أترك لك نعتها بعد أن تسمعها فاسمع قوله : «قال : يمكى عن الشيعة أن النبي أسقط عن أهل بيته ومن دان بجهنم : جميع الأعمال ، وأنهم غير مكلفين إلا بما تطوعوا به ، وأن المحظوظات مباحة لهم كالختير والزنا والخمر وسائر الفواحش ، وعندهم نساء يسمين النوابات يتصدقون بفروجهن على المحاجين رغبة في الأجر ، وينكحون ما شاؤوا من الأخوات والبنات والأمهات لا حرج عليهم ولا في تكثير النساء ، ومن هؤلاء العبيدية الذين ملكوا مصر وأفريقية وما يمكى عنهم في ذلك أن يكون للمرأة ثلاثة أزواج وأكثر في بيت واحد يستولدونها وتنسب الولد لكل واحد منهم» إنتهى وقد عقب عليه الناشر بالحاشية بقوله : إنما يريد بعض فرق الشيعة الباطنية المارقين عن الإسلام^(٣) إني أدعو القارئ ليضع يده على أنفه لثلا يشم هذه الجيف ، وبعد ذلك أعقب على قوله بما يلي :

(١) بدائع الصنائع ج ٧ ص ٦٥.

(٢) الإعتصام ج ٢ ص ٤٤.

(٣) الإعتصام ج ٢ ص ٤٤.

أولاً - إن العبيد و غيرهم ليسوا من الشيعة الإمامية وإن كنت أعتقد
جازماً عدم صحة ما نسبه إليهم قياساً على ما نسبه لغيرهم وهو غير صحيح .

ثانياً - لسنا الذين نبيح نكاح المحارم و حكم من يقع على إحدى محارمه
عندنا القتل فراجع أي كتاب من كتب فقه الشيعة باب الحدود ، وإنما يقول
الإمام أبو حنيفة من عقد على أمّه أو أخته أو بنته ، عالماً عامداً ودخل بها فلا يقام
عليه الحد وإنما يعذر لأنّ العقد أورث شبهة^(١) .

إذاً فلسنا نحن الذين نتساهل في الإعتداء على المحارم كما أنها لا تزيد
التهريج على أبي حنيفة بل نرى رأيه هنا خطأ في تطبيق معنى الشبهة هنا على هذا
العقد . ولأنّ المحارم ليست محلّاً للعقد .

ثالثاً - أنا أسأل الله تعالى أن يجعل حصيلة هذا القول في ميزان الشاطئي
يوم يلقاه وسوف يسأله عن ذلك لأنّه تعالى يقول : «من يعمل مثقال ذرة خيراً يره
ومن يعمل مثقال ذرة شرّاً يره»^{٧٨} و من سورة الزلزال ، وأنا إنما أطلت الكلام في
هذه المسألة وهي من البديهيات تقريباً حتى أوقفك على مدى أمانة بعض الناس ،
ولست أدرى بما إذا يتعلّل هؤلاء وحولهم كتب الشيعة تملأ المكتبات فهل ذكروا لنا
كتاباً واحداً يفي بباباحة لحم الخنزير أو شرب الخمر إنّ الذي يقول بذلك غيرنا إذا
أحببت فراجع تفسير قوله تعالى : «ومن ثمرات التخليل والأعناب تتخلدون منه
سكرًا ورزقًا حسناً إنّ في ذلك لآية لقوم يعقلون» النحل / ٦٧ في تفاسير أهل
السنة لترى رأي الإمام أبي حنيفة حول النبيذ فرأيه معروف ، ودعني أذكر لك
فتوى واحدة من فتاواه توضح لك رأيه في هذا الموضوع يقول أبو زهرة في كتابه
فلسفة العقوبة :

والسبب في تساهل أبي حنيفة في موضوع بعض المسكرات هو أنه ثبت
بالرواية عنده أنّ بعض الصحابة تناول بعض هذه الأشربة ، فامتنع عن تحريمها
حتى لا يتهم الصحابة بالمعصية وقال في ذلك : لو غرقوني في الفرات لأقول إنّها

(١) بدائع الصنائع ج ٧ ص ٣٥ .

حرام ما فعلت ، حتى لا أفقّ بعض الصحابة ولو غرقو في الفرات على أن أتناول قطرة منها ما فعلت ، فالأمر بالنسبة لأبي حنيفة احتياط لكرامة الصحابة واحتياط للدين^(١) ولست أفهم معنى الإحتياط هنا فإن الحرام حرام على الصحابة وغيرهم ، إن استثناء أبي زهرة لا يقبل بحال من الأحوال وصدق في تسمية كتابه **فلسفة العقوبة** فهو فلسفة غير ذات معنى أحياناً .

٣ - الرأي الثالث الذي يدل على أن الجمع بين أكثر من أربع عند غير الشيعة ما ذكره ابن قدامة في المغني معلقاً على قول المتن :

وabis للحر أن يجمع بين أكثر من أربع زوجات أجمع أهل العلم على هذا ولا نعلم أحداً خالقه إلا شيئاً يمحى عن ابن القاسم بن ابراهيم أنه أباح تسعأ لقوله تعالى : ﴿فَإِن كَحْوا مَا طَابَ لَكُم﴾ الخ والواو للجمع ، ولأن النبي (ص) مات عن تسع ، وهذا ليس بشيء لأنه خرق وترك للسنة، فإن رسول الله قال لغيلان بن سلمة حين أسلم ونحوه عشرة نسوة : أمسك أربعاً وفارق سائرهن^(٢) ومن ذلك يظهر أن لا قول للشيعة في المسألة فيما أدرى من أين جاء من ينسب هذا القول للشيعة بهذا القول .

لقد أصبح هذا الخلط من الشاطبي وغيره زاداً دسماً للمستشرقين الذين أخذوا يؤكدون على أن الشيعة والصوفية يسقطون الشريعة ويخلون المحارم عند وصول الحقيقة ، والخ .^(٣) .

النموذج الثاني : الشك بالنبوة

وإذا كانت بعض الإفتراءات على الشيعة قيلت ثم ماتت واندثرت ، وبعضها قيلت ولكنها لم تستهر كما هو الحال في النموذج الأول الذي ذكرناه ، فإن

(١) فلسفة العقوبة لأبي زهرة ص ١٨٣ .

(٢) المغني لابن قدامة ج ٦ ص ٤٣٩ .

(٣) الخضارة الإسلامية لادم متر ج ٢ ص ٣٠ .

هذه الفرية التي سأذكرها تعيس فعلاً وقد سئلت عنها حيثاً ذهبت ، وبالرغم مما شرحته لمن سأله في أنها كاذبة ، فإنّي أعتقد أنها لم تمسح من أذهانهم ، فإذاً ما يشب عليه الإنسان ليس من السهل الخلاص منه إنّ هذه المسألة هي : أن الشيعة يعتقدون أنّ الوحي أراده الله تعالى لعليٍّ بن أبي طالب ولكن جبرائيل خان أو أخطأ فذهب بالوحي إلى النبي ، هذا ملخص الفرية المنسوبة للشيعة ولقد وضعت هذه الفرية على لسان الشعبي عامر بن شراحيل في مقالة سبق أن ذكرت مقطعاً منها وبيّنت كذب مضمونها ، والآن أذكر لك صدر الكلمة وما يتصل ب موضوعنا منها فقد ذكر ابن شاهين عمر بن أحمد في كتابه اللطف في السنة ، كما ذكره ابن تيمية في منهج السنة ، قال : حدثنا محمد بن أبي القاسم بن هارون حدثنا أحمد بن الوليد الواسطي ، حدثني جعفر بن نصير الطوسي عن عبد الرحمن بن مالك بن مغول عن أبيه قال : قال لي الشعبي : احضركم أهل هذه الأهواء المضلة وشرها الرافضة ، لم يدخلوا في الإسلام رغبة ولا رهبة ، إلى أن قال : واليهود تبغض جبرائيل ويقولون هو عدونا من الملائكة ، وكذلك الرافضة يقولون غلط جبرائيل بالوحي على محمد الخ^(١) إنّ هذه الصورة التي وضعت على لسان الشعبي : أخذها ابن حزم في كتابه الفصل في الملل والنحل فنسبها لفرقة من الغلاة سماهم الغرابة : لأنّهم قالوا إنّ علياً أشبه به محمد من الغراب بالغراب ، ولذلك غلط جبرائيل بالوحي فذهب به لحمد وهو مبعوث لعليٍّ ولا لوم عليه لأنّه اشتبه ، وبعضهم شتمه وقال بل تعمد ذلك ، هكذا رواه ابن حزم^(٢) في حين ذهب الرازمي في كتابه اعتقادات فرق المسلمين إلى أنّهم قالوا غلط ولم يتمّ^(٣) وقد عرفت أنّ منشأ الرواية الشعبي ونظراً لأهمية الموضوع فساناقش هذه الرواية وأذكر لك سخفها وإنّ الذين وضعوها لم يتفطنوا إلى ما فيها من ثغرات :

أ- أول ما يقال في هذه الرواية أنّ الشعبي عندما كان يقارن بين اليهود

(١) منهج السنة ج ١ ص ١٦.

(٢) الفصل بين الملل والنحل ج ٤ ص ١٨٣.

(٣) اعتقادات فرق المسلمين ص ٥٩.

والشيعة يسمى الشيعة بالرافضة ، وهذا اللقب الذي نبذ به الشيعة وفندناه سابقاً ، ذكر مؤرخوا السنة أنه عرف في آخر أيام زيد بن عليٍّ عندما طلب منه أفراد جيشه البراءة من الخليفتين فأبى فرفضه قوم منهم سموا بالرافضة هذه هي رواية هذا اللقب وهذه الواقعة كانت سنة مقتل زيد أي ١٢٤ هجرية في حين أنَّ الشعبي ولد سنة عشرين أو ثلاثين على رواية أخرى من الهجرة فالفرق بين وجوده والرواية سبعة عشر سنة لأنَّه مات سنة مائة وخمس من الهجرة ، فاما أن يكون لفظ الرافضة ورد قبل هذا وهو ما لا تقول به روایاتهم أو أنَّ القصة مخترعة وهو الأصح^(١) .

ب - إنَّ رجال سند هذه الرواية بين متهم مثل عبد الرحمن بن مالك بن مغول فقد قالت عنه كتب التراجم بأنه ضعيف ، وكذاب ، ووضاع ، ويقول عنه الدارقطني متزوك ، ويقول عنه أبو داود كذاب وضاع ، ويقول عنه النسائي ليس بثقة^(٢) .

ويبن مجھول : كمحمد الباهلي ولم أجده لمحمد هذا أي ذكر في لسان الميزان وتاريخ بغداد وغيرهما .

ج - سبق أن ذكرنا أنَّ الشعبي يرمى بالتشييع وقد نص على تشيعه كل من ابن سعد والشهرستاني ولا يعقل أن يقول شيء هذا القول .

د - وعلى فرض صحة جميع هذه المقدمات فمن هم مؤلاء الغرابة وكم عددهم وأين مكаниم وهل لهم من وجود خارجي ، أغلب الظن أنَّهم من المقلع الذي نحت منه عبد الله بن سبا خلقتهم نفس الأهداف التي خلقته .

ه - إنَّ الذي يدعى نبوة شخص فلا بد أن يكون هذا النبي منصوباً من رب وهنا يقال هل أنَّ هذا رب الذي أرسل رسوله لنبيه كان يعلم أنَّ هذا الرسول مغفل لا يفرق بين من أرسل إليه وغيره أم لا فإذا كان لا يعلم فهو لا

(١) راجع ترجمة الشعبي وفيات الأعوان ج ١ ص ٢٦٦ .

(٢) لسان الميزان ج ٣ ص ٤٢٧ .

يصلح للالوهية وإذا كان يعلم وأرسله مع علمه فـأي رب هذا الذي يرسل من لا ينفذ أوامره أو انه متواطئ مع جبريل فلا اشكال حينئذ .

و- أوليس القرآن الكريم يقول عن جبريل : «مطاع ثم أمين»^٤ التكوير/ ٢١ . ويقول عن النبي (ص) : «ولكن رسول الله وخاتم النبيين»^٥ الأحزاب/ ٤٠ . والشيعة مسلمون يقرؤون القرآن آناء الليل وأطراف النهار فكيف لا يفهمون ذلك ، اللهم إلا أن يقال كما قيل : إنهم يرون القرآن محرفاً ، وقد فندنا هذا القول بما أوردناه من نصوص أنَّ من الثابت عند المسلمين قول النبي (ص) لا نبي بعدي والمسلمون سمعوا منه ذلك .

ز - كل من له إمام بالتاريخ يعلم مدى طاعة الإمام علي^٦ (ع) للنبي (ص) وجهاده بين يديه فكيف يجتمع ذلك مع علمه بأنه أخذ منه الرسالة إلا أن يقال إنه لا يعلم أنَّ الرسالة هي له .

ح - إنَّ مصدر التشريع الأول والأساس هو القرآن الكريم عند كل فرق المسلمين ومنهم الشيعة فإذا نزل القرآن على مغفل وبيد خائن فأي ثقة تبقى به بعد ذلك .

ط - ألا تكفي آلاف المآثر والمساجد عند الشيعة والتي تصرخ ليل نهار أشهد أنَّ حمداً رسول الله للتدليل على أنَّ هذه القصة فرية مفتعلة كأنواعها .

ي - إنَّ كتب عقائد وفقه الشيعة عملاً الدنيا فهل يوجد في كتاب واحد منها ما يشير إلى هذه الفرية ونرضى بأن يكون حتى من المخرفين من نراهم عند فئة أخرى . إننا نطالب بمصدر واحد اعتمد عليه هؤلاء في نقل ما نقلوه . وإذا كان العوام يتلقون أقوال رجال فكرهم بالقبول منها كانت فيها بالمتقفين يعيشون نفس العقلية وما فائدة العلم إذا لم يقوم تفكير الإنسان ، وإلى كم يبقى المسلمين يجتررون ما دخل إلى أمعائهم يوماً ما ، ليت هؤلاء يصارحونا بأنَّ لهم مصالح في بقاء هذه المهازل إذا لأراحوا الأجيال ولكنوا صادقين مع أنفسهم كما صنع مروان ابن الحكم في لحظة من لحظات استيقاظ ضميره وقد سئل عن موقف الإمام علي^٧ (ع)

من عثمان بالثورة فقال : ما كان أحد أدفع عن عثمان من على فقيل له : ما لكم تسبونه على المنابر ؟ فقال : لا يستقيم لنا الأمر إلا بذلك^(١) . ويبدو أن بعض الناس لا يصدق أن هذه الإفتراءات لا أساس لها لأن تصديقه بذلك فيه تبرئة للروافض ومعناه ترك بعض الناس بدون عمل ، على أي لا أشك أن كثيراً من الناس لا مصلحة لهم في أمثال هذه التهم ولكن ليس من السهل التخلص من محتوى نفسي نشأ معهم خلال أدوار العمر ولكن ذلك لا يبرر الإصرار على الخطأ .

ك - إن الله تعالى يقول ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا﴾ وعلى عند البعثة طفل ابن سبع سنين فالآية تنص على أن النبوة لا تكون إلا لرجل .

وفي ختام هذا الفصل يحسن بنا الإشارة إلى ما كتبه جهابذة الشيعة في كتب العقائد عن النبوة وشخص النبي الكريم (ص) في كتب العقائد وأنا أفت النظر إلى عقائد الصدوق وأسائل المقالات للمفيد ، والشريف المرتضى في تزييه الأنبياء وغيرهم وأكتفي بفقرتين :

الأولى : يقول السيد محسن الأمين العاملی :

أن من شك في نبوة النبي وجعل له شريكاً في النبوة فهو خارج عن دین
الإسلام^(٢)

الثانية : يقول الرضا المظفر في عقائد الإمامية .

نعتقد أن صاحب الرسالة الإسلامية هو محمد بن عبد الله وهو خاتم النبئين وسيد المرسلين ، وأفضلهم على الإطلاق كما أنه سيد البشر جميعاً لا يوازيه فاضل في فضل ولا يدانيه أحد في مكرمة ، وأنه لعل خلق عظيم^(٣) .

(١) الصواعق المحرقة لابن حجر ص ٥٣ .

(٢) أعيان الشيعة ج ١ ص ٩٢ .

(٣) عقائد الإمامية ص ٦٤ .

النموذج الثالث : رمي التشيع بالشعوبية

والشعوبية لغة : جمع شعوي نسبة للشعب ، وقد تطلق ويراد بها التزعع العدائية للعرب ، وهي بالإطلاق الثاني مصدر صناعي ، والشعوبية في إطلاق آخر هو الذي يسوّي بين العربي وغيره ولا يفضل العربي وقد اشتق هذا الإسم من الآية الكريمة ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّنْ ذِكْرٍ وَأَنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شَعُوبًا وَبَيْانًا لِتَعْرَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَاكُمْ﴾ الحجرات / ١٣ . وذلك لأنّ وقبائل لتعارفوا إنّ أكرمكم عند الله أتقاكم .

المسلمين من غير العرب دعوا إلى التسوية وكانت هذه الآية من شعاراتهم ، ومن شعاراتهم الحديث النبوى الشريف لا فضل لعربي على عجمي كلّكم لآدم وأدم من تراب ، ثم توسع العرب فأطلقوا لفظ الشعوبية على من يحقر العرب وتتوسّعوا بعد ذلك فأطلقوه على الزنديق والملحد ، معتبرين الزندة والإلحاد مظهراً ينمّ على كره العرب لأنّه كره لدينه ، ثم أطلق بعد ذلك على الموالي .

أسباب نشوء الشعوبية :

تنقسم الأسباب إلى قسمين :

القسم الأول :

فعل والثاني رد فعل ، وهذا الأخير أعني ردّة الفعل : ملخصه أنّ العرب كانوا في الجاهلية مزقين لا تجمعهم جامعة ، وكانت الدولة لغيرهم ، ف جاء الإسلام ووحدّهم وأوطأهم عروش كسرى وقيصر فنظر العرب فجأة فإذا بهم أمة عظيمة بيدها أكثر من سلاح تخافها الأمم وينظر إليها الناس بإجلال باعتبارها المبشرة بالإسلام والحاملة لتعاليمه ، فنفخ ذلك فيهم روح الغرور وأخذوا يعاملون الشعوب التي افتحوها معاملة فيها كثير من الغطرسة والصلف ولم يسروهم بهم ، ومنعوا الموالي من الزواج بالعربية وسموا من يولد من زواج كهذا

هجيناً ، وكانوا إذا نزل عربي بحِيَّ من أحياهم فمن العار أن يباع عليه الطعام
بيعاً بل يقدم له بعكس المولى : يقول جرير الشاعر : وقد نزل ببني العنبر فلم
يضيفوه ويباعوه القرى بيعاً :

يا مالك بن طريف إنَّ بيعكم رفد القرى مفسد للدين والحسب
قالوا نبيعكم بيعاً فقلت لهم بيعوا المولى واستحيوا من العرب^(١)

وذكر ابن عبد ربه الأندلسى في العقد الفريد أن العرب كانوا يقولون : لا
يقطع الصلاة إلا ثلاثة : حمار ، أو كلب ، أو مولى ، وكانوا لا يكتنون المولى ولا
يمشون معه في الصف ولا يواكلونه بل يقف على رؤوسهم فإذا أشركوه بالطعام
خصوصاً له مكاناً ليعرف أنه مولى وكانت الأمة لا تخطب من أبيها وأخيها وإنما من
مولاهما وكانوا في الحرب يركبون الخيل ويتركون المولى مشاة^(٢) .

ومن الحق أن يشار إلى أنَّ فعل العرب هذا بالمولى هو ردة فعل لما كان
يعامل به العرب من قبل الروم والفرس ، وكان ما أشرنا إليه من معاملة للمولى
هو على مستوى سائر الناس ، أما ما كان على مستوى الحكم فكان لا يلتقي به حال
من الأحوال مع الإنسانية وخصوصاً ولاة الأمورين كالحجاج الذي لم يرفع الجزية
عن أسلم من أهل الذمة ، والذي وسم أيدي المولى وردهم إلى القرى لما
هاجروا للمدن^(٣) كل ذلك دفع هؤلاء المولى إلى تبني شعار الإسلام والدعوة
للمساواة فسموا أهل التسوية ، ثم مرت ظروف أدت إلى رفع شأن المولى
خصوصاً أيام عمر بن عبد العزيز وما بعده فتحفزوا لإثبات وجودهم وتطور الأمر
بعد ذلك أن بدأت ردود الفعل تستند فتصل إلى احتقار العرب وشتمهم .

أما القسم الثاني :

الذى هو فعل فهو امتداد للعصور السالفة عندما كان العرب أيام الأكاسرة

(١) الكامل للميري ج ٢ ص

(٢) مظاهر الشعرية لمحمد نبيه حجاب ص ٥١ .

(٣) تاريخ الطبرى ج ٨ ص ٣٥ .

والقياصرة ليس لهم شأن يذكر ، وقد اختفت هذه النظرة للعرب لفترة طويلة بعد حكم الإسلام هذه الشعوب ، ولكن عادت إلى الظهور بفضل عوامل كثيرة لا سبيل للإفاضة بها هنا ، وساعد على هذا أنَّ المولى من أمم ذات خلفية حضارية فكان أنْ نبغ مجموعة من الشعوبين في مختلف الشؤون الإدارية والعلمية فلعبوا دوراً كبيراً في أبعد المجتمع المختلفة ، يضاف لذلك أنَّ الدولة العباسية اعتمدت على كثير منهم لأمررين :

الأول : لحاجتها لتنظيم شؤون الدولة والإستفادة من خبرات هذه الأمم في التطبيق وما لهم من قدم وعراقة في ذلك وتشبيهها بهم في البذخ والترف .

والثاني : للإستعانت بهم في كسر شوكة العرب لأنهم خافوا من العرب وخصوصاً عندما شاهدوا ميل العرب للعلوم ، وقد لعب الفرس والترك دوراً شرساً في كسر شوكة العرب وتحقيق مأرب العباسين في ذلك ولكنهم بعد ذلك قفزوا على الخلافة العباسية وحتى على مظهرها العربي ، وأحالوا بغداد إلى مؤسسة امتحنت فيها آثار العروبة في تفصيل ليس محله هنا .

مظاهر الشعوبية :

المجالات التي ظهرت فيها الشعوبية أهملها الأدب بقسميه الشعر والثر ، ابتداءً من أيام الأميين حتى العصر العباسى ، وظهرت في التاريخ مرويات تحط من شأن العرب وترفع من غيرهم ، ومظاهر أخرى تجسست في إحياء طقوس وعادات وعقائد كانت عند بعض تلك الأمم التي دخلت الإسلام ، وحتى السلوك الاجتماعي عند الحكام والمواطنين في الأكل واللباس ونمط السلوك الاجتماعي الأخرى ظهرت عليها سمات غير عربية وكان طبيعياً أن يكون هناك اقتباس لواقتصر على ذلك ولكنه اقتباس يرافقه تحدي وفخر بهذا المظهر وحط من مظاهر العرب وانتقاد من انماط معيشتها وحياتها .

علاقة الشعوبية بالتشييع :

وبعد هذه الجمل الموجزة عن الشعوبية نتساءل ما هي علاقة الشعوبية بالتشييع؟ وما هو منشأ رمي التشييع بالشعوبية الأمر الذي دفع مثل الدكتور أحد أمين أن يقول : وأما التشييع فقد كان عش الشعوبية الذي يأولون إليه وستارهم الذي يسترون به^(١) .

ان رمي التشييع بالشعوبية أمر يدعو للالستغراب فليس هناك أي علاقة بين الشعوبية والتشييع ، وسنحاول استقصاء الامور التي تكون علامة أو منشأ للشعوبية لنرى أين مكان الشيعة من هذه الامور ، وبالتالي ما هي قيمة هذه التهمة :

١ - الأصل غير العربي :

لم يكن الشيعة الرواد والذين يلونهم : من الموالي أو من أي عنصر غير العنصر العربي كباً أسلفنا ذلك وذكرناه مفصلاً فيما سبق من هذا الكتاب فلا حاجة لاعادته .

٢ - مواقف الشيعة ازاءعروبة :

لقد وقف مؤلفوا ومفكرو الشيعة إزاء العروبة والعرب موقفاً جليلاً في تكريم العرب وتكرير الفكر العربي والإشادة بإسهامه في خدمة الشريعة مبرهنين على أن الله تعالى كرم العرب بحصتهم للرسالة وجعل لغة القرآن الكريم لغتهم ، واعتبر أرضهم مهدًا لأنطلاق الدعوة والذود عن حياضها وقد شرحنا موقفهم من اللغة وعروبة الخليفة وغير ذلك مفصلاً .

٣ - موقفهم من حضارة العرب :

لم يكن للشيعة موقف سلبي إزاء حضارة العرب بل العكس فالشيعة هم الرواد الأوائل في خدمة الحضارة العربية في مختلف أبعادها وإليك شريحة من

^(١) ضحي الإسلام ج ١ ص ٦٣ .

أعلامهم الذين خدموا في ميادين الثقافة فمن الرواد في علم السير والتاريخ عبد الله بن أبي رافع صاحب كتاب تسمية من شهد من الصحابة مع علي (ع)، ومحمد ابن اسحق صاحب السيرة النبوية ، وجابر بن يزيد الجعفي ومن الرواد في علم النحو : أبو الأسود المؤلي ، والخليل بن أحمد إمام البصريين ، ومحمد بن الحسين الرواسي إمام الكوفيين وأستاذ الكسائي والفراء ، وعطاء بن أبي الأسود المؤلي ، وبمحى المبرد بن يعمر العدواني ، وبمحى بن زياد الفراء ، وبكر بن محمد أبو عثمان المازني ، و محمد بن يزيد أبو العباس المبرد ، وثعلبة بن ميمون أبو إسحق النحوي ، و محمد بن بمحى أبو بكر الصوالي ، وأبو علي الفارسي الحسن بن علي ، والأخفش الأول أحمد بن عمران ، و محمد بن العباس أبو بكر الخوارزمي الذي يقول عنه الشاعري في بيته الدهر : نابغة الدهر وبحر الأدب وعيلم النظم والنشر وعالم الظرف والفضل ، كان يجمع بين الفصاحة والبلاغة ويخاضر بأخبار العرب وأيامها ويدرس كتب اللغة والنحو والشعر ، والتنورخي علي بن محمد ، والمرزباني محمد بن عمران صاحب التصانيف الرائعة في علوم العربية ، وملك النحاة الحسن بن هاني ، ومعاذ الهراء واضع علم التصريف ، وعثمان بن جنى أبو الفتح وأبان بن عثمان الأحرر ، ويعقوب بن السكريت صاحب إصلاح المنطق ، وأبو بكر بن دريد صاحب الجمهرة ، و محمد بن عمران المرزباني صاحب المفصل في علم البيان وصفي الدين الحلي صاحب الكافية في البديع والحالع النحوي الحسين بن محمد صاحب كتاب صنعة الشعر ، والبغ(١) .

تعقب

هذه مجموعة بسيطة أردت منها أن تكون مجرد مؤشر إلى سبق الشيعة في خدمة الفكر العربي والإشادة به ، وليرجع القارئ إلى المصادر لأجل المزيد من ذلك .

(١) تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام ٤٦ إلى ١٨٢، والغدير للأميني جـ ٣ ص ٣٣٠.

٤ - شعراء الشيعة :

مواقف شعراء الشيعة في النزود عن العرب والعروبة مشهورة ودافعهم عن كل ماله صلة بوجود العرب ومجدهم ، والوقوف بوجه خصوم العرب بشكل سفراً كبيراً لو جمع وساورد لك ثماذج : من مواقفهم في ذلك منهم :

أ - أبو الأسد نباتة بن عبد الله الحمانى:

لقد سكت عن تعين مذهبـه كل من أبي الفرج في الأغاني ، والعباسي في معاهد التنصيص ، وابن قتيبة في الشعر والشعراء ، ولكنه شيعي لعدة قرائن منها : أولاً ارتباطه بأهل البيت بشعره ، وولادته في محلة حمانا بالكوفة مهد التشيع ، وانقطاعه لأبي دلف القائد الشيعي ، وإليك قصيده في هجاء الشعوبية ضمن هجائه لعلي بن يحيى المنجم ، وسنتـى إمامـه القوي بالمـصطلحـات المـحلـية :

صـنـعـ مـنـ اللهـ أـنـيـ كـنـتـ أـعـرـفـكـمـ
فـمـضـتـ سـنـةـ حـتـىـ رـأـيـتـكـمـ
وـفـيـ الـشـارـيقـ مـاـ زـالـتـ نـسـاؤـكـمـ
فـصـرـنـ يـرـقـلـنـ فـيـ وـشـيـ الـعـرـاقـ وـفـيـ
نـسـيـنـ قـطـعـ الـحـلـانـيـ مـنـ مـعـادـنـهاـ
حـتـىـ إـذـاـ أـيـسـرـواـ قـالـوـ وـقـدـ كـذـبـواـ
لـوـ سـيـلـ أـوـ ضـعـهـمـ قـدـرـاـ أـوـ اـنـذـلـمـ
وـقـالـ أـقـطـعـنـيـ كـسـرـىـ وـوـرـشـنـيـ
فـقـلـ لـهـ مـهـمـ أـهـلـ لـتـرـبـيـةـ
مـاـ النـاسـ إـلـاـ نـزـارـ فـيـ أـرـوـمـتـهـاـ
وـالـحـيـ مـنـ سـلـفـيـ قـحـطـانـ اـنـهـمـ
أـمـاـ تـرـاهـمـ وـقـدـ حـطـواـ بـرـأـدـعـهـمـ
وـأـخـرـجـواـ عـنـ مـشـارـاتـ الـبـقـولـ إـلـىـ

(١) الأغاني ج ١٢ ص ١٦٧ ط الساسي .

تغلي على العرب من غيظ مراجلهم عداوة لرسول الله والدين
يقول فون كريمر في كتابه الحضارة الإسلامية ان هذه القصيدة تمثل مشاعر
الحزب العربي تمثيلاً صادقاً^(١).

ب - الشريف الرضي محمد بن الحسين :

ملاً ديوانه بالإشادة بالعرب والعروبة ومن ذلك قوله في إحدى روائعه :

أثرها على ما بها من لغب يقلقل أغراضها والحقب
وأنا نرى جوار الديار حقوقاً فكيف جوار النسب
فإن ترع شركة أحسابنا جميعاً فذلك دين العرب
إذا لبست بقوتها قوى وإن طنب من منها طنب^(٢)

ويقول في رائعة ثانية :

لنا الدوحة العليا التي نزعت لها
إلى المجد أغصان الجدود الأطاب
علونا إلى اثباتها ولغيرها
عن التكب العالي إذا رام ناكتب
فإن تر فيها صولة عجرفية^(٣)

والجدير بالذكر أن ديوان الشريف الرضي وديوان أخيه المرتضى وسائر
مؤلفاتها تعتبر من خالق الفكر العربي المتبرفة ومن رياضه الأنقة .

ج - أبو الطيب المتنبي أحمد بن الحسين :

ومتنبي عروبة متجسدة بالدم والفكر وقد عاش عمره يتطلع إلى تحقيق
الوجود العربي على مختلف المستويات ويرسم نهايات كل فضيلة على أنها بداية من
حالة عربية وكم له في ثنايا شعره من اشادة بالعرب والعروبة وفخر واعتزاز بهذا
الدم وهذه الأرومة ، يقول ، في مدح سيف الدولة :

(١) انظر مظاهر الشعوبية ص ٣١٧.

(٢) ديوان الرضي ج ١ ص ١٢٨.

(٣) ديوان الرضي ج ١ ص ١٤٥.

رفعت بك العرب العماد وصبرت
قمم الملوك مواقد النيران
أنساب فخرهم إليك وإنما

ويقول :

تهاب سيف الهند وهي حدائق
فكيف إذا كانت نزارية عربا
ونراه يتطلع إلى سيادة العرب وحكم العرب فلا خير في قوم يحكمهم أجنبي
عنهم فيقول :

ولما الناس بالملوك وما
تلفع عرب ملوكها عجم
لا أدب عندهم ولا حسب
بكل أرض وطنها أمم ^(١)

د- الحارث الحمداني أبو فراس :

من ألسنة العربية الفصاح ومن أشاد بمجدهم وقد تألم لمنابرهم إذ يفترعها
غيرهم : يقول في قصيده الشافية :

أبلغ لديك بنى العباس مالكة يدعوا ملوكها ملاكها العجم
أي المفاخر أصبحت في منابركم وغيركم أمر فيهن محظوظ ^(٢)
هذه مجرد غاذج بسيطة من مواقف شعراء الشيعة ازاء العرب والعروبة
ويوسع القاريء مراجعة دواوين شعراء الشيعة في مختلف العصور ليرى مدى
عروبة الشيعة .

هـ- الشعوبيون البارزون ليسوا بشيعة :

ان أبرز من عرف بالشعوبية في مختلف الأبعاد الفكرية والإجتماعية هم
من غير الشيعة وساذكر لك جملة قصيرة من ترجمتهم تنہض بالمطلوب .

(١) ديوان النبي ج ٤ ص ٢٦١ و ٢٧٩ .

(٢) شرح الشافية ص ٢١٩ .

أ - معمر بن المشن أبي عبيدة :

من أبرز المؤلفين ومن عرف بأنه من أئمة الشعوبية وهو من موالىبني تم بالبصرة وكان يهودي الأصل اسلم جده على يد بعض أولاد أبي بكر وهو الذي جدد كتاب مثالب العرب وزاد فيه : كان خارجياً يرى رأي الأباشية^(١).

ب - الهيثم بن عدي بن زيد :

كانت امه أمة وأبواه عربياً وكان من أبرز الشعوبين وكان كذلك خارجياً في عقيدته وقد وضع ذلك في كل كتبه منها كتاب المثالب الكبير ، وكتاب المثالب الصغير^(٢).

ج - علان الشعوبي :

وهو علان بن الحسن الوراق كان من أبرز الشعوبين وكان كما يقول الألوسي زنديقاً ثنوياً عمل كتاباً لطاهر بن الحسين بدأ فيه بمثالببني هاشم ، ثم بطون قريش ، ثم سائر العرب^(٣).

د - عبد الله بن مسلم بن قتيبة :

كان من أئمة أهل السنة ومبرزهم كان من الشعوبين كما نص على ذلك ابن عبد ربه الأندلسي في العقد الفريد ، ولكن الدكتور محمد نبيه حجاب حاول تنزييه عن الشعوبية لأنها كما يقول ورد له مدح للعرب ، في حين ورد لابن المقفع أكثر من نص في مدح العرب ومع ذلك كان الدكتور محمد نبيه إذا مر بالنصوص التي لابن المقفع في مدح العرب يقول إنه عمل ذلك للتستر ، والسبب في موقف محمد نبيه هذا : أن عبد الله بن مسلم من أهل السنة في حين لم يكن ابن المقفع

(١) معجم الأدباء ج ١٩ ص ١٥٦ وانظر سر انحلال الامة العربية .

(٢) معجم الأدباء ج ١٩ ص ٣١٠ .

(٣) معجم الأدباء ج ١٢ ص ١٩١ .

شيعياً ولكن لأنه يميل للعلويين كما يقول محمد نبيه ، وإذا عرف السبب بطل العجب^(١) .

هـ - عبد الله بن المفعع :

عده الباحثون من الشعوبين ولكن الأستاذ محمد كرد علي في كتابه أمراء البيان تصدى للدفاع عنه واعتبره من أسلم وحسن إسلامه في حين يذهب جماعة من قدامى المؤرخين كأبي الفرج الأصبهاني والمسعودي والجهميسياري إلى أنه زنديق ، أما الدكتور محمد نبيه حجاب فيرى أنه مجوس الدين ثنوی العقيدة وأنه لم يتخال عن الطقوس المجوسية ، ومع آراء المؤرخين قدامى فيه ومع رأي محمد نبيه نفسه في أنه مجوس مع كل ذلك يقول نبيه حجاب إنه علوي السياسة وذلك استناداً إلى رأي رآه هنا فاخوروي في كتابه تاريخ الأدب ، وما أدرى أين هي علويته مع ما ذكروه عنه^(٢) .

و- سهل بن هارون بن رهبون الفارسي :

كان من صنائع البرامكة ورئيس بيت الحكمة للمأمون ترجم له أكثر من واحد ومنهم ياقوت الحموي في معجم الأدباء وابن النديم في الفهرست وفريد وجدي في دائرة معارفه . وغيرهم ، وعلى هؤلاء اعتمد محمد نبيه حجاب في ترجمته ولم ينص أحد من هؤلاء الذين ذكرنا انهم ترجموا له : على أنه من الشيعة ، ولكن نبيه حجاب يقول : كان سهل علوي المذهب ميلأ إلى الإعتزال كغيره من شيعة العراق في عصره وكان فارسي التزعة ، في حين يذهب محمد كرد علي في كتابه أمراء البيان للدفاع عنه ويرئه من الشعوبية^(٣) .

ز - بشار بن برد :

كان زنديقاً يكفر الناس كلها بما فيهم الماشمين ويکفر الأمة كلها لأنها

(١) مظاهر الشعوبية ص ٤٢٢.

(٢) المصدر السابق ص ٣٩٧.

(٣) دائرة معارف وجدي ج ٢٠ ص ٥٠٥.

حدت عن الجادة في نظره فقيل له وعلي بن أبي طالب فقال متمثلاً :
وما شر الثلاثة أم عمرو بصاحبك الذي لا تصحبنا
وله مدح لابراهيم بن عبد الله بن الحسن لما خرج على المنصور وذلك بأبياته
التي يقول فيها :

أقول لبسام عليه جلاله
غداً اريجها عاشقاً للمكارم
من الفاطمين الدعاء إلى الهدى
جهاراً ومن يهديك مثل ابن فاطم
سراجاً لعين المستضيء وتارة
يكون ظلاماً للعدو المزاحم
فاستدل نبيه حجاب من هذه الأبيات على أنه من الشيعة ، مع أنه مدح
العباسيين بقصائد أكثر وأبيات أكثر حرارة وذلك كقوله :

انصفتونا فعابوا حكمكم حسداً
والله يعصمكم من غل حсад
لولا الخليفة أنا لا نخالفه
لقد دلفنا لأرواد بأرواد

ومدح غيرهم وغيرهم وذلك واضح في ديوانه ولكنه لم ينسب لمن مدحهم
ولكن مدحه لابراهيم صار شيعياً والغرض من ذلك أن يكون شيعياً وهو في نفس
الوقت شعوري حتى تنسب بعد ذلك الشعورية للشيعة : فاستمع إلى ما يقول محمد
نبيه حجاب : يقول في آخر ترجمته : هذا هو بشار الزنديق المارق الماجن المستهتر
الزرادشتى العقيدة الشيعي المذهب الشعوري المتعصب^(١) .

وتذكرني هذه العبريات المتوبة من نبيه حجاب بحكاية مثلها أذكرها لك
وقد رواها عبد الحي الكتاني في كتابه التراتيب الإدارية : قال :

كان عند أولاد تميم الداري كتاب النبي (ص) في قطعة أديم : بسم الله
الرحمن الرحيم : هذا ما أنطى محمد رسول الله تميم الداري أقطعه قربتين
جبرون ، وبيت عينون ببلد الخليل ، فبقي ذلك في يده ويشاهد الناس كتابه إلى

(١) مظاهر الشعورية ص ٢٧٤

أن غالب الإفرنج على القدس والخليل سنة ٤٩٢ هـ قال ولقد ا تعرض بعض الولاة على آل تميم أيام كنت بالشام - الحديث لأبي بكر القاضي - وأراد انتزاعها منهم فحضر القاضي حامد المروي وكان حنفياً في الظاهر ، معتزلياً في الباطن ملحداً شيعياً ، فاحتاج أولاد تميم بالكتاب فقال القاضي هذا الكتاب ليس بلازم إلى آخر القصة ^(١) . أرأيت كيف يتفق منطق المهرجين في كل عصر : قاضي من الأحناف يريد أن يدفعه عن الأحناف فيجعله تارة معتزلياً وفي نفس الوقت حنفياً وملحداً وشيعياً وهكذا انه نفس منطق نبيه حجاب . ان أمثال هذه الأقوال يجب أن ترمى في الكنasse لخلص أجيالنا من هذه الجيف .

ح - يزيد بن ضبة مولى ثقيف :

كان مع الأمويين ويرمى بالمانوية والشعوبية وانقطع للوليد بن يزيد وعده أكثر من مؤلف من الشعوبين ^(٢) .

ط - حماد بن سابور :

ابن المبارك المعروف بحماد البراوية ديلمي الأصل بكري الولاء وهو من أكابر الشعوبية ^(٣) .

ق - إسماعيل بن يسار :

كان منقطعاً لآل الزبير ثم مال لبني مروان وعده بعضهم انتهازياً وكان يعد من أبرز الشعوبين وأشدهم تعصباً على العرب ^(٤) .

ك - إسحاق بن حسان الحريبي :

لم يرد نص على أنه من النحلة الفلانية أو غيرها وكان من كبار الشعوبين

(١) التراطيب الإدارية ج ١ ص ١٥٠ .

(٢) مظاهر الشعوبية ص ١٦١ .

(٣) مظاهر الشعوبية ص ١٥٣ .

(٤) مظاهر الشعوبية ج ٢ ص ١٥٩ .

ولكن الخطيب البغدادي يقول عنه كان يتأله ويتدين فهو عنده مؤمن^(١) .

ل - إبراهيم بن حشاذ التوكلي :

وقد كان من نداماء التوكل الخليفة العباسى (محى السنة) وكان يناديه على الشراب حتى نسبه إليه ، ولم يذكر واله عقيدة خاصة ولكن انتماه إلى التوكل قد يقوم قرينة على الإتحاد في الميل وكان من كبار الشعوبية^(٢) .

م - الحسن بن هانى أبو نواس :

مولى الجراح بن الحكم اعتبره بعضهم مجرد متهتك ، واعتبره البعض الآخر زنديقاً ، واعتبره آخرون مانواً ورمواه بالشعوبية ، واعتبره نبيه حجاب كافراً ملحداً لا دين له^(٣) .

ن - ابن الرومي علي بن العباس بن جريح :

يقول عنه نبيه حجاب : ولم يشر أحد من رواة الأدب ومؤرخيه إلى ما كان عنده من عصبية لقومه ، ولكن أشعاره لا تخلو من هذه التزعة وان بدلت في أبيات قليلة ومن هذه الأبيات قوله :

ونحن بنو اليونان قوم لنا حجى ومجد وعيдан صلاح المعاجم

ومنها قوله :

وإذا ما حكيت والروم أهلي في كلام معرب كنت أهلا
أما البيت الوحيد الذي قطع فيه نبيه حجاب على شعوبية ابن الرومي فهو
البيت الآتي :

آبائى الروم توفيل وسوفلس ولم يلدني رباعي ولا شبث

(١) تاريخ الخطيب ج ١ ص ٣٢٦.

(٢) مظاهر الشعوبية ص ٣٠٧.

(٣) مظاهر الشعوبية ص ٢٨٦.

مع أن ابن الرومي لم يقصد بربعي وثبت الكلي الطبيعي وإنما أراد به شيئاً وربعاً أباه الذي ثبت أنه أحد قتلة الحسين (ع) ، وكان ابن الرومي يريد أن يقول مع أبي ابن توفيل ولكني محب لآل رسول الله ، ومع أن شيئاً وربعاً من العرب ومن رفعتهم رسالة النبي ولكنهم أعداء لآله وعلى العموم فإن ابن الرومي شيعي مشهور وهذا هو السر في أن نبيه حجاب يعتبره من الشعوبين وإلا فقد سمعت شهادة نبيه حجاب نفسه على أنه لم ينص أحد من المؤرخين وكتاب الأدب على عصبيته لقومه^(١) .

س - عبد السلام بن رغبان :

اعتبروه من الشعوبين ويقول نبيه حجاب لم نجد له بيتاً واحداً يشير إلى شعوبيته ومع ذلك فقد نص ابن خلkan على عصبيته لقومه بقوله : ما لهم - يعني العرب - فضل علينا أسلمنا وأسلموا ، وبالوقت الذي يقول فيه نبيه حجاب ما سمعته لكنه في الأخير : يقول : وإذا علمنا أنه كان متشارعاً وأنه كان ماجنا خليعاً عاكفاً على اللهو والقصف كما يقول ابن خلkan ، وهذا من مظاهر الشعوبية فقد حق لنا بعد هذا أن ننطمه في س茗 الشعوبية كما فعل الأستاذ السباعي يومي مع الخريبي وبشار وغيرهما^(٢) :

وأنا أريد أن أسأل القارئ هل لاحظ هذه الأدلة القوية على الشعوبية التي يوزعها هؤلاء العباقرة بينما وشمالاً بأدلة بهذه الأدلة . اللهم إنك تعلم اننا نأسى على الجيل الذي يربيه أمثال هؤلاء فان بلية العلم والأدب والفكر بهؤلاء عظيمة . واروع من ذلك ما سأقدمه لك في المثل الأخير وهو منطقه في الإستدلال على شعوبية دعبدل بن علي فاستمع إليه .

ع - دعبدل بن علي الخزاعي :

وهو خزاعي صليبي وليس من الموالي كما حاول البعض أن يصوره وكتب

(١) مظاهر الشعوبية ص ٣٠٩.

(٢) مظاهر الشعوبية ص ٣١٣.

الأنسب قد أكدت ذلك . وكان من مشاهير الشيعة وأدبائهم وحملة المبادئ، فيهم وهو صاحب القصائد الرائعة في مدح أهل البيت ورثائهم والتفجع لهم . وقد صورته كتب الأدب بأنه هجاء خبيث اللسان لم يسلم أحد من لسانه ، وقد استدل نبيه حجاب على أنه من الشعوبية لأنه هجا المؤمنون وفي ذلك يقول نبيه : وفي هجائه المؤمن وتطاوله عليه تجل عصبيته وشعوبته حيث فخر بقومه وبلالتهم في الحروب وآياتهم عليه في ارتقاء عرش الخلافة استمع إليه يقول : أيسوني المؤمن خطة عاجز أو ما رأى بالأمس رأس محمد

أني من القوم الذين سيفهم قلت أخاك وشرفتك بمقعد رفعوا مجلتك بعد طول خوله واستنقذوك من الحضيض الأسود

ويقول في آخر ترجمته : هذا هو دعلم الخزاعي وهذا هو لسانه السليط الذي جرده على العرب وخلفائهم^(١) .

وهذه هي الأدلة المثبتة التي تساق لسبة الشعوبية إلى الشيعة فاعطفها على ما سبقها من التهم . وبعد هذه الجولة نعود ثانية لسؤال الدكتور أحمد أمين ما هو دليله لنسبة الشعوبية للشيعة فإنه عندما نطق بالعبارة التي أثبناها في صدر هذا العنوان وعد بأنه سيبحث موضوع الشعوبية عند ذكره للمذاهب في فصل الشيعة لكنه لم ينفذ وعده لأنه لم يجد ولن يجد أي دليل على قوله ، وقد ذكرنا ذلك في هذا الفصل أسماء أبرز الشعوبين كما ينص عليهم المؤرخون والكتاب وعرفت أين هم من الشيعة .

وأختم هذا الفصل بصورة أضعها أمامك فهي قوية في تعبيرها :

يقول شكري الألوسي في كتابه بلوغ الإرب في معرفة أحوال العرب ما يلي :

قال أبو عبيد البكري في شرح أمال القالي : كتاب مثالب العرب أصله

(١) مظاهر الشعوبية ص ٣٠١.

لزياد بن أبيه فانه لما ادعى ابا سفيان أبا علم ان العرب لا تقر له بذلك مع علمهم
بنسبه فعمل كتاب المثال والصدق بالعرب كل عيب وعار وباطل وافك وبيهت ثم
ثني على ذلك الهيثم بن عدي وكان دعياً فأراد أن يغير أهل الشرف تشفيأً منهم ثم
جدد ذلك ابو عبيدة محمد بن المثنى وزاد فيه لأن اصله كان يهودياً اسلم جده على
يد بعض آل أبي بكر فانتوى الى ولاء تم ، انتهى النص كما ذكره الألوسي في
فصل الشعوبية من كتابه المذكور . ان زياداً يعتبره مؤرخوا السنة وكتابهم من اسرة
تمثل نموذجاً للحكم العربي وتطلعاته القومية وكان موقفه من العرب كما سمعت
موقف مشوه لتاريخهم طاعن في أنسابهم باحث في مطالبهم رائد من رواد الشعوبية
بأقدر صورها . وبعد هذا سأقدم لك موقف شيعي من الشيعة وان كان من اصل
غير عربي حتى تت忤ز من الموقفين مؤسراً يدل على اتجاه كل من الفريقين ازاء
الشعوبية لتعلم اين مكان الشعوبية من الفريقين :

يقول بدیع الزمان الحمدانی كنت عند الصاحب اسماعیل بن عباد يوماً وقد
دخل عليه شاعر من شعراء العجم فأشده قصيدة يفضل فيها قومه على العرب
ويندم العرب وهي :

وعن عيسى عذافرة ذمول
عنيها بالطبلول عن الطبلول
ففي است ام القضاة مع العدول
واذهبني عقار عن عقار
لتوضّح او لحومل فالذحول
فلست بشارك ايوان كسرى
بها يعوي ولبيت وسط غيل
وضب بالفلا ساع وذئب
حرشاناً بالغدأة وبالأصيل
يسلون السیوف لراس خشب
وان نحرروا ففي عرس جليل
اذا ذبحوا فذلك يوم عيد
نجار الصاحب القرم النبيل
اما لو لم يكن للفرس الا
لكان لهم بذلك خير فخر

فلما وصل إلى هذا الموضع من الانشاد قال له الصاحب فذاك ثم اشرأب
ينظر إلى الروايا والى اهل المجلس وكانت جالساً في زاوية من اليه وعلم بربني فقال

ابن ابو الفضل . فقمت وقبلت الأرض وقلت امرك فقال اجب عن ثالثتك .
قلت وما هي قال : ادبك ونسبك ومذهبك فقلت لا فسحة للقول ولا راحة
للطبع الا السرد كما تسمع ، ثم انشدت اقول :

اراك على شفا حطر مهول
 بما اودعت لفظك من فضول
متى احتاج النهار الى دليل
السنا الضاربين جزئ عليكم
متى قرع المنابر فارسي
متى عرفت وانت بها زعيم
فخرت بملء ما ضغطيك هجرا
وتفسخ ان ماكولا ولبساً
ففاخرهن في خد اسيل
فاجدد من اييك اذا تزيماً
عراة كالليوث على الخيول
متى عرف الأغر من الحجول
اكف الفرس اعراف الخيول
على قحطان والبيت الأصيل
وذلك فخر ربات الحجول
وفرع في مفارقها رسيل
عراة كالليوث على الخيول

قال فلما اتمت انشادي التفت إليه الصاحب وقال كيف رأيت . قال لو سمعت به ما صدق . قال فإذا جائزتك جوازك ، ان رأيتك بعد هذا ضربت عنقك ، ثم قال لا أدرى احداً يفضل العجم الا وفيه عرق من المجوسية يتزع اليه .^(١) واظنك تلمع مع نظرة الشيعي الایجابية التي ترى في العرب مؤثر امجاد وموقع تشريف لحملهم رسالة الاسلام وهي رسالة الخلود ولا أريد الإطالة لأنك لك ان تتمتع بأصداء هذا الموقف المشرف وتجيل ذهنك في اجوائه ، اما بعد فإني في ختام هذا البحث أرجو أن أكون قد وضعت بين يدي القارئ بطاقة واضحة عن هوية التشيع ولم يكن رائدي والله يعلم حب التهجم أو الإنقام ومن ينتقم المسلم من أخيه المسلم ؟ وذلك تفاهة وأي تفاهة وإنما كان رائدي لذلك رغبة ملحة في جلاء الضباب الذي حجب الرؤية الواضحة زماناً طويلاً لشيعة أهل البيت عن أنظار الباحثين مما سبب كثيراً من الخلط والتجريف ، والله تعالى

(١) انظر انحلال الأمة العربية ص ٢٩ لـ محمد سعيد العوفي .

هو المسؤول أن يجمع كلمة المسلمين ويلم شعثهم والحمد الله أولاً وأخراً .
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

مصادر الكتاب

حرف الألف

- ١ - الأصول العامة للفقه المقارن ، محمد تقى الحكيم طبع بيروت ١٩٦٣ .
- ٢ - أعيان الشيعة ، محسن الأمين العاملی طبع دمشق ١٩٣٥ .
- ٣ - أسد الغابة ، علي بن محمد بن الأثير طبعة أوفست وطبعة دمشق ١٩٣٨ .
- ٤ - الإستيعاب ، يوسف بن عبد الله بن عبد البر طبع حیدر آباد ١٣٣٦ .
- ٥ - إحياء العلوم ، محمد أبو حامد الغزالی طبع مصر ١٣٤٦ هـ .
- ٦ - الأحوال الشخصية لمحمد أبو زهرة ط الأولى .
- ٧ - أصول الفقه ، محمد رضا المظفر طبع النجف ١٩٧١ ومصر ١٩٧٣ .
- ٨ - الإمام علي ، عبد الفتاح عبد المقصود الطبعة الأولى ، طبع مصر .
- ٩ - الإمام الصادق ، أسد حیدر طبع بيروت ١٩٦٩ وطبع النجف ١٣٧٧ .
- ١٠ - الإمام الشافعی ، محمد أبو زهرة طبع مصر الأولى .
- ١١ - أوائل المقالات ، محمد بن محمد بن النعمان المقید طبع النجف ١٩٧٣ وليران ١٣٧١ .
- ١٢ - أحسن التقاسيم ، محمد بن أحمد الشاري طبع بربيل ١٩٠٩ .
- ١٣ - الإصابة ، أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني طبع مصر ١٩٥٨ .
- ١٤ - إعتقدات فرق المسلمين ، الفخر الرازی محمد بن عمر طبع مصر ١٩٣٨ .
- ١٥ - الأربعين ، الفخر الرازی محمد بن عمر طبع حیدر آباد ١٣٥٣ هـ .
- ١٦ - الألفين ، يوسف بن المطهر العلامة الحلی طبع النجف غير مؤرخ .

- ١٧ - أعلام الموقعين ، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية طبع مصر ١٣٧٤ هـ .
- ١٧ - أحكام القرآن : ابن العربي المالكي طبع مصر ١٣٣١ .
- ١٩ - الإنتصار : عبد الرحيم بن محمد الخطاط طبع مصر ١٣٤٤ .
- ٢٠ - الأحوال الشخصية : محمد أبو زهرة طبع مصر الثانية غير مؤرخ .
- ٢١ - الإعتصام : إبراهيم بن موسى الغزناطي الشاطبي طبع مصر ١٣٣٢ .
- ٢٢ - الأغاني : علي بن الحسين أبو الفرج الأصفهاني طبع مصر السياسي غير مؤرخ .
- ٢٣ - ابن الفوطي : محمد رضا الشبيبي ، طبع بغداد ١٩٥٠ .
- ٢٤ - آراء وأحاديث في الوطنية والقومية : ساطع الخصري ١٩٤٤ .

حرف الباء

- ٢٥ - البيان والتعريف : إبراهيم بن محمد الحنفي طبع حلب ١٣٢٩ هـ .
- ٢٦ - البيان في تفسير القرآن : أبو القاسم الخوئي طبع بيروت ١٩٧٤ .
- ٢٧ - البحار : محمد باقر المجلسي ، طبع إيران كومباني ١٣٠١ هـ .
- ٢٨ - بدائع الصنائع : علاء الدين بن أبي بكر بن مسعود الكاساني طبع مصر ١٣٢٧ .

حرف التاء

- ٢٩ - تاج العروس : محمد مرتضى الزيدى طبع بيروت ١٩٦٦ .
- ٣٠ - تاريخ ابن خلدون : عبد الرحمن بن خلدون طبع بيروت ١٩٥٦ .
- ٣١ - تاريخ الإسلام : الدكتور حسن إبراهيم طبع مصر ١٩٣٥ .
- ٣٢ - تاريخ اليعقوبي : أحمد بن أبي يعقوب طبع النجف ١٣٥٨ .
- ٣٣ - تاريخ الشعوب الإسلامية : بروكلمان طبع بيروت ١٩٦٥ .
- ٣٤ - تاريخ الطبرى : محمد بن جرير طبع مصر ١٩٣٢ ، ١٩٣٩ .
- ٣٥ - تاريخ ابن الأثير : علي بن محمد الجزري طبع مصر ١٣٠١ .
- ٣٦ - تاريخ أبي الفدا : اسماعيل بن علي بن محمود طبع مصر ١٣٢٣ .

- ٣٧ - تاريخ الخميس : حسين بن محمد الديار بكري طبع بيروت غير مؤرخ .
- ٣٨ - تاريخ المذاهب الإسلامية : محمد أبو زهرة طبع مصر دار الفكر الغربي غير مؤرخ .
- ٣٩ - تاريخ الإمامية وأسلافهم : عبد الله الفياض طبع بغداد ١٩٧٠ .
- ٤٠ - تاريخ الخطيب البغدادي : أحمد بن علي طبع مصر ١٩٣١ .
- ٤١ - ترتيب المدارك : القاضي عياض طبع بيروت ١٩٧٦ .
- ٤٢ - تفسير الطبرى : محمد بن جرير طبع مصر ١٩٥٤ .
- ٤٣ - تفسير الشعابى : أحمد بن محمد طبع مصر غير مؤرخ .
- ٤٤ - تفسير الكشاف للزمخشري محمود بن عمر جار الله طبع مصر ١٢٨١ .
- ٤٥ - تفسير المنار : محمد رشيد رضا طبع مصر ١٣٦٧ هـ .
- ٤٦ - التمهيد : الباقلاني أبو بكر بن الطيب طبع مصر ١٩٤٧ .
- ٤٧ - تهذيب التهذيب : ابن حجر أسد بن علي طبع حيدر آباد ١٣٢٥ .
- ٤٨ - التمهيد والبيان : محمد بن يحيى طبع بيروت ١٩٦٤ .
- ٤٩ - توفيق التطبيق : علي بن فضل الله الجيلاني طبع مصر ١٩٥٤ .
- ٥٠ - نطور المجتمع الإسلامي : محمود حلمي طبع مصر ١٩٧٤ .
- ٥١ - التشيع والشيعة : أحمد كسرى طبع طهران ١٣٦٤ هـ .
- ٥٢ - التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع : محمد بن أحمد الملاطى طبع لايزك ١٩٣٦ .
- ٥٣ - تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام : حسن الصدر طبع بغداد غير مؤرخ .
- ٥٤ - التراتيب الإدارية : عبد الحى الكتانى طبع بيروت غير مؤرخ .

حرف الحاء

- ٥٥ - الحضارة الإسلامية في القرن الرابع : آدم متر طبع مصر ١٣٧٧ هـ .
- ٥٦ - حياة محمد حسين هيكل طبع مصر ١٣٥٤ .

حرف الخاء

٥٧ - خطط الشام : محمد كرد علي طبع مصر ١٩٦٣ .

حرف الدال

٥٨ - دائرة معارف القرن العشرين : محمد فريد وجدي طبع مصر ١٩٢٤ .

٥٩ - الدر المثور : عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي طبع مصر ١٣١٤ هـ .

٦٠ - الدولة العربية : علي حسين الخباطي طبع مصر ١٩٦٠ .

٦١ - دائرة المعارف الإسلامية تعریف خورشید والشنیناوي طبع مصر غير مؤرخ .

٦٢ - دراسات في الفرق والعقائد الإسلامية ، عرفان عبد الحميد طبع بغداد ١٩٧٧ .

٦٣ - دراسات في الكافي والصحبيح : هاشم معروف طبع بيروت الأولى .

٦٤ - ديوان المرتضى : علي بن الحسين طبع مصر ١٩٥٨ .

٦٥ - ديوان الرضي محمد بن الحسين طبع بيروت ١٩٦١ .

٦٦ - ديوان المنبي : أحمد بن الحسين طبع مصر دار السعادة غير مؤرخ .

حرف الراء

٦٧ - روضات الجنات للخونساري طبع إيران غير مؤرخ .

٦٨ - روح المعاني : محمود الألوسي طبع بيروت تصوير غير مؤرخ .

حرف الزاء

٦٩ - الزندقة والشعوبية : سميرة الليثي طبع مصر الأولى .

٧٠ - زعماء الإصلاح في العصر الحديث : أحمد أمين طبع مصر ١٩٧١ .

حرف السين

٧١ - السيف اليماني : مصطفى البرلسى البلاقى طبع مصر ١٣٢٤ هـ .

- ٧٢ - السيرة الخلبية : برهان الدين الخلبي طبع مصر الأولى .
٧٣ - انحلال الامة العربية لمحمد سعيد العرفي ط دمشق ١٩٦٦ .

حرف الشين

- ٧٤ - شرح نهج البلاغة : عبد الحميد ابن أبي الحميد طبع مصر الأولى .
٧٥ - الشيعة والخوارج : فلهموزن طبع مصر الأولى .
٧٦ - الشيعة والرجعة : محمد رضا الطبسي طبع النجف ١٣٧٥ هـ .
٧٧ - شذرات الذهب : ابن العماد الخنبلی طبع مصر ١٣٥٠ هـ .
٧٨ - شرح عقائد الصدوق : محمد بن محمد بن التعمان المفيد طبع إيران الثانية غير مؤرخ .
٧٩ - شرح فتح القدير : محمد بن عبد الواحد بن الممام طبع مصر ١٣٥٦ هـ .
٨٠ - شرح الشافية : أحمد فخری زاده طبع إيران ١٢٩٦ هـ .

حرف الصاد

- ٨١ - صحاح الجوهری : اسماعيل بن حاد طبع مصر دار الكتاب العربي غير مؤرخ .
٨٢ - الصلة بين التصوف والتشيع الطبعة الأولى بغداد والثانية مصر ١٩٦٩ .
٨٣ - الصواعق المحرقة : أحمد بن حجر الهيثمي طبع مصر ١٣٧٥ هـ .
٨٤ - صفين : نصر بن مزاحم طبع مصر الأولى .
٨٥ - صحيح البخاري : محمد بن اسماعيل طبع مصر ١٩١٤ واسطنبول ١٣١٥ .
٨٦ - صحيح مسلم : مسلم بن الحجاج القشيري طبع مصر الأولى .
٨٧ - صفة البيان في تفسير القرآن : حسين محمد مخلوف طبع مصر ١٩٥٦ .

حرف الضاد

- ٨٨ - ضحى الإسلام : أحد أمين طبع مصر ١٩٣٨ ، ١٩٥٦ .

حرف الطاء

- ٨٩ - طبقات ابن سعد : طبع مصر ١٣٠٨ وبيروت ١٩٥٧ .
- ٩٠ - طبقات الحنابلة : القاضي أبو يعلى طبع مصر غير مؤرخ .
- ٩١ - طبقات الفقهاء : الشيرازي طبع بغداد ١٣٥٦ هـ .

حرف العين

- ٩٢ - العقيدة والشريعة : جولد تسهير طبع مصر الأولى .
- ٩٣ - عوامل وأهداف نشأة علم الكلام : يحيى فرغل طبع مصر ١٩٧٢ .
- ٩٤ - عالم الفكر تصدرها جامعة الكويت العدد الخاص باللغة .
- ٩٥ - العقد الفريد : ابن عبد ربه الأندلسي طبع مصر ١٩٥٦ .
- ٩٦ - عقيدة الشيعة : دونالدسون طبع مصر ١٩٤٦ .
- ٩٧ - عمدة التحقيق هامش روض الرياض: إبراهيم العبيدي طبع مصر ١٣١٥ هـ .

حرف الفاء

- ٩٨ - فجر الإسلام : أحد أمين طبع مصر ١٩٥٥ .
- ٩٩ - الفصل في الملل والنحل : علي بن أحمد بن حزم طبع مصر ١٣٢١ هـ .
- ١٠٠ - فرق الشيعة : الحسن بن موسى النويختي طبع النجف غير مؤرخ .
- ١٠١ - الفهرست : ابن التديم طبع بيروت ١٩٦٤ .
- ١٠٢ - الفرق بين الفرق : عبد القاهر بن طاهر البغدادي طبع مصر ١٣٢٨ هـ .
- ١٠٣ - الفصول المهمة : عبد الحسين شرف الدين طبع النجف ١٩٥٦ .
- ١٠٤ - الفقه على المذاهب الأربعة : أحمد الجزيري طبع مصر غير مؤرخ .
- ١٠٥ - فضائل الخمسة من الصاحب الستة : مرتضى الفيروزابادي طبع النجف ١٣٨٣ .
- ١٠٦ - فلسفة العقوبة : محمد أبو زهرة طبع مصر ١٩٦٣ .

حرف القاف

- ١٠٧ - القاموس الإسلامي : محمد عطية الله طبع مصر ١٩٧٠ .
١٠٨ - القومية العربية : حازم زكي نسيبه طبع بيروت ١٩٦٢ .

حرف الكاف

- ١٠٩ - الكامل هامش رغبة الأمل : المبرد طبع مصر ١٩٢٩ .
١١٠ - كنز العرفان : المداد بن عبد الله السوري طبع إيران ١٣٨٤ .
١١١ - الكني والألقاب : عباس القمي طبع صيدا لبنان ١٢٥٨ هـ .
١١٢ - كشف المراد : جمال الدين بن المظفر العلامة الحلي طبع الهند ١٣١٠ .

حرف اللام

- ١١٣ - لسان العرب : ابن منظور : طبع بيروت دار صادر .
١١٤ - لسان الميزان : ابن حجر طبع حيدر آباد ١٣٣٠ هـ .
١١٥ - اللمعة الدمشقية وشرحها : للشهيدين علي ومحمد طبع النجف ١٩٦٧ .

حرف الميم

- ١١٦ - منهاج الصالحين : أبو القاسم الخوئي طبع النجف ١٣٩٤ هـ .
١١٧ - مقدمة في تاريخ صدر الإسلام : عبد العزيز الدوري طبع بغداد ١٩٤٩ .
١١٨ - مستند الإمام أحمد : أحمد بن حنبل طبع بيروت ١٩٦٩ .
١١٩ - مفاتيح الغيب : محمد بن عمر الرازي طبع مصر الأولى ١٣٢٧ هـ .
١٢٠ - مدخل موسوعة العتبات المقدسة : جعفر الخليلي طبع بيروت ١٩٦٥ .
١٢١ - مروج الذهب : علي بن الحسين المسعودي طبع مصر ١٩٦٤ .
١٢٢ - مقدمة ابن خلدون : عبد الرحمن بن خلدون طبع بيروت ١٩٦٦ .
١٢٣ - مستدرك الحاكم : الحاكم النيسابوري طبع الرياض مطبعة النصر غير مؤرخ .
١٢٤ - معجم البلدان : ياقوت الحموي طبع بيروت ١٩٥٧ .
١٢٥ - مناقب أبي حنيفة : الموفق بن أحد المكي طبع حيدر آباد ١٣٢١ هـ .

- ١٢٦ - مناقب الشافعي : محمد بن عمر الرازى : طبع مصر الأولى .
- ١٢٧ - معجم المؤلفين : رضا كحاله طبع دمشق ١٣٨٠ هـ .
- ١٢٨ - المناظرات : محمد بن عمر الرازى طبع حيدر آباد الأولى .
- ١٢٩ - الملل والنحل : محمد بن عبد الكريم الشهري طبع مصر ١٣٢١ هـ .
- ١٣٠ - المنخول : محمد الغزالى : طبع دمشق تاريخ مقدمته ١٩٧٠ .
- ١٣١ - المقالات والفرق : سعد بن عبد الله الأشعري طبع طهران ١٩٦٣
- ١٣٢ - منهاج السنة : أحمد بن عبد الحليم بن تيمية طبع مصر ١٩٦٢ .
- ١٣٣ - معالم الفلسفة : محمد جواد مغنية طبع بيروت ١٩٦٠ .
- ١٣٤ - المستصفي : محمد الغزالى : طبع مصر ١٣٢٢ هـ .
- ١٣٥ - مظاهر الشعوبية : محمد نبيه حجاب طبع مصر ١٩٦١ .
- ١٣٦ - ميزان الإعتدال : الذهبي طبع مصر ١٩٦٣ .
- ١٣٧ - مصباح الظلام : محمد بن عبد الله الجردانى طبع مصر ١٣٤٧ .
- ١٣٨ - المحنى : علي بن أحمد بن حزم طبع مصر دار الكتاب العربي غير مؤرخ .
- ١٣٩ - المغني عبد الله بن أحمد بن قدامة طبع مصر ١٣٦٧ .
- ١٤٠ - مقتل الحسين : عبد الرزاق المقرم طبع النجف ١٩٥٦ .
- ١٤١ - بجمع البيان : علي بن الحسين الطبرسي طبع صيدا لبنان ١٣٧٩ .
- ١٤٢ - المواقف : عبد الرحمن الإيجي طبع بيروت غير مؤرخ .

حرف التون

- ١٤٣ - نظرية الإمامة : أحمد محمود صبحي طبع مصر ١٩٦٩ .
- ١٤٤ - النهاية : علي بن محمد بن الأثير طبع مصر الطبعة الأولى .
- ١٤٥ - نشأة الفكر الفلسفى : علي سامي النشار طبع مصر ١٩٦٥ .
- ١٤٦ - نهاية الإقدام : محمد بن عبد الكريم الشهري طبع أكسفورد ١٩٣٤ .
- ١٤٧ - نحو الوحدة العربية يوسف هيكل طبع مصر ١٩٤٣ .

حرف الواو

- ١٤٨ - وفيات الأعيان : ابن خلkan طبع إيران غير مؤرخ .
- ١٤٩ - وعاظ السلاطين : علي الوردي طبع بغداد ١٩٥٤ .

محتويات الكتاب

	مقدمة الطبعة الثانية
٣	مقدمة الطبعة الأولى
٥	
	تمهيد
١١	لتشييع لغة
١١	طور التشيع
١٤	
	الباب الأول
٢١	وفيه فصول
	لفصل الأول : متى بدأ التشيع
٢٣	الفصل الثاني : الأدلة على تكون التشيع أيام النبي (ص)
٢٩	الفصل الثالث : رواد التشيع الأوائل
٣٣	تعقيب على الرواد من الشيعة
٣٦	الفصل الرابع : الشيعة غير الروافض
٤٠	أسباب الشتم
٤٢	
	الباب الثاني
٤٩	وفيه فصول
	الفصل الأول : فارسية التشيع
٥١	تعقيب
٥٣	الفصل الثاني : أقوال الباحثين في فارسية التشيع
٦٢	تعقيب على الأقوال
٦٦	

٧٢	أسباب دخول الفرس للتشيع في نظر السنة
٧٥	الإجابة على أسباب دخول الفرس للتشيع
٨٠	الفصل الثالث : هوية التشيع العرقية وأراء الباحثين فيها
٨١	مقومات الهوية العرقية
٨٨	الفصل الرابع أئمة الشيعة من هم
٨٩	السنة والفرس
٩١	إيران السنة
٩٤	الفصل الخامس : اللغة والمذاهب الإسلامية
٩٤	من هم أئمة السنة وأقطابهم
٩٥	المذاهب الأربع
٩٥	أصحاب الصلاح
٩٦	شريحة ثلاثة
٩٩	غموجان من السنة الفرس
١٠٥	مثال ثالث
١٠٧	الفصل السادس : أسباب رمي التشيع بالفارسية
١١٣	كيف صار الفرس شيعة

الباب الثالث

هوية التشيع العقائدية و فيه فصول

١١٩	الفصل الأول : التوطئة
١٢٣	قول للشعبي
١٢٣	تعقيبان
١٢٥	عقائدهم بأقلامهم
١٢٩	الفصل الثاني : عبد الله بن سبأ
١٣٠	من الذي حاك عبد الله بن سبأ

رأينا في عبد الله بن سبأ ١٣٥	رأي طه حسين ١٣٧	رأي المستشرقين ١٣٨
رأي إسلامية أخرى بابن سبأ ١٣٨	الفصل الثالث : لماذا تنسب الشيعة لابن سبأ ١٤١	عصمة الأئمة وأدلتها العقلية ١٤٥
		الأدلة النقلية على عصمة الإمام ١٤٦
		موقف السنة من العصمة ١٤٨
		رأي ابن تيمية في العصمة ١٥٠
		رأي جمهور السنة في العصمة ١٥٠
		التفتازاني والعصمة ١٥٢
		شمس الدين الأصفهاني والعصمة ١٥٢
		الإيجي والعصمة ١٥٢
الفصل الرابع : مناقشة كتاب نشأة الآراء والمذاهب الكلامية ١٥٣	تعقيب ١٥٤	السنة وعلم الغيب ١٥٨
		موقفنا من الغلو والغلاة ١٦٥
		آراء بعض الباحثين ١٦٦
		أين سوضع الغلو ١٧٠
الفصل الخامس : من عقائidنا - المهدى ١٧٤	ل Murdoch الإيجابي في عقيدة المهدى ١٨٣	ل Murdoch السلبي في عقيدة المهدى ١٨٤
		لتقوية وأحكامها ١٨٦
		أقوال فرق المسلمين فيها ١٨٨

الباب الرابع

نماذج من الافتراءات على الشيعة

١٩٥	النموذج الأول : الجمع بين النساء
١٩٧	النموذج الثاني : الشك في النبوة
٢٠٢	النموذج الثالث : رمي التشيع بالشعوبية
٢٠٧	أسباب نشوء الشعوبية
٢٠٩	ظواهر الشعوبية
٢١٠	علاقة الشعوبية بالتشيع
٢١١	تعليق
٢٢٥	مصادر الكتاب
٢٣٥	محتويات الكتاب